

عِظَةُ الْمُنَاشِئَةِ

كتاب الفقه واداب واجتماع

كتبه

الشيخ مصطفى الغلاييني

« قاضي بيروت الشرعي »

« وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق »

الطبعة الخامسة

١٣٥٤ هـ — ١٩٣٦ م

حق اعادة الطبع محفوظ للمؤلف

عِظَةُ الْمَنْزِلِ الْبَيْتِ

كتاب افهوق و اداب و اجتماع

كتبه

الشيخ مصطفى الفلايبي

« قاضي بيروت الشرعي »

« وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق »

الطبعة الخامسة

١٣٥٤ هـ — ١٩٣٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ^(١) .
إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم ^(٢) ، صراط
الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين .
وبعد ، فهذه شذرات ^(٣) كنت أنشرها في جريدة النفيد ، تحت
عنوان : « عظة الناشئين » وبامضاء « أبي فياض » . وقد كان لها في
« قوس القراء » جميل الوقع ، وعظيم التأثير . وكان كثير منهم يستحسن
إن تُطبع هذه العظات في كتاب وتُتشر بين من لم يكن بطالع تلك
الجريدة . فلما قتلت هذا الأمر بقيناً ^(٤) ، عَزَمْتُ على نشرها بين
شبان الأمة ، لتكون لهم نبراساً ^(٥) ، ومُدًى . والله الموفق

الغلاييني

سنة ١٣٣١ هـ

بيروت

سنة ١٩١٣ م

-
- (١) يوم الدين : يوم الحساب والجزاء على الأعمال ، وهو يوم القيامة
(٢) الصراط : الطريق — والمستقيم : المعتدل ، ضد الموج
(٣) الشذرات : جمع شذرة ، وهي الآليء الصغار ، وقطع الذهب تُنْتَطَقُ من معدنه
يدون اذابة الحجارة ، وتشبه بها المواضع الجميلة والقطع الحسنة من الكلام
(٤) قتل الأمر بقيناً : علمه علم اليقين ، واليقين : هو ازالة الشك وتحقيق الأمر
(٥) النبراس : المصباح يستضاء

مقدمة

إخواني الناشئين :

هذه عِظَاتٌ نَافِعَةٌ ^(١) ، وَلَا لِيْ لَامَعَةٌ ، سَتَرَوْنَهَا
مَنْظُومَةً ^(٢) الْعَقْدِ فِي سِلْكِ الْعِبَرَةِ ، مَثُورَةً ^(٣) الْفَائِدَةِ بِقَلَمِ
الْحِكْمَةِ ؛ تُرْشِدُ إِلَى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ ^(٤) ، بِالْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ ^(٥) ،
وَتَهْدِي مِنْ عَمَلٍ بِهَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

أَنْشَأْتُهَا وَرَائِدِي فِيهَا الْإِخْلَاصُ ، وَصَوَايَ رِصْدُ
النِّيَّةِ ^(٦) . وَهِيَ تَحِيلُ بَيْنَ جَوَانِحِهَا ^(٨) مَوْضُوعَاتٍ شَتَّى ، مِنْ

(١) العِظَاتُ : جمع عِظَةٍ ، وهي : النصيحة والتذكير بالمواقف

(٢) مَنْظُومَةٌ : مجموعة مؤلفة

(٣) مَثُورَةٌ : مفرقة

(٤) الْمَنْهَجُ : الطريق الواضح

(٥) الْأَسْلُوبُ : الطريق ، والقن من الكلام — والحكيم : ذو الحكمة ، وهي :

الكلام الموافق للحق ، ووضع الشيء في موضعه

(٦) الرَّائِدُ : الدليل . وَأَصْلُ مَعْنَاهُ : الرُّسُولُ الَّذِي يَرْسُلُهُ الْقَوْمُ لِيُرِيَهُمْ

مَكَانًا يَنْزِلُونَ فِيهِ

(٧) الصَّوَى : حِجَارَةٌ تُنْصَبُ فِي الطَّرِيقِ لِيَهْتَدِيَ بِهَا الْمَارُّونَ . وَهِيَ جَمْعُ صَوَّةٍ ،

بُضْمُ الصَّادِ وَفَتْحُ الْوَاوِ مُشْدَدَةٌ ؛ وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْأَدَلَّةُ

(٨) الْجَوَانِحُ : الْأَضْلَاحُ تَحْتَ التَّرَائِبِ مِمَّا يَلِي الصَّدْرَ كَالْأَضْلُوحِ مِمَّا يَلِي الظُّهْرَ .

والتَّرَائِبُ : عِظَامُ الصَّدْرِ ، وَمُفْرَدُهَا تَرِيْبَةٌ

الاجتماع والأخلاق ، وتَنطوي أضالِعها^(١) على مضامين^(٢)
مُتَوَعِّية من الآداب والحكم .

فهي جعبةٌ عِبرٌ ، وكنانةٌ عظمت^(٣) ، يذراً^(٤) بها^(٥)
النَّاشيُّ عن نفسه جُيُوشَ الخُمُول ، وكتائب الضَّعة^(٦) ،
ويَدفعُ ما يَنبُتُها من عواديِّ الأمراض الاجتماعية^(٧) ،
وطواريِّ الأسقام الزَّمنية^(٨) .

فعضوا عليها ، أثيها النَّاشِئُونَ بالنَّواجِذ^(٩) ، تَكُنْ لَكُمْ دَرِيْثَةً^(١٠)
يَوْمَ تَكُونُونَ شُبَّانًا ، وَذُخْرًا حِينَ تَصِيرُونَ شَيْبًا^(١١) .
وَسَلَامٌ عَلَى مَنْ سَمِعَ عَظَمِيَّ قَوَاعِهَا^(١٢) ، وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا .

(١) تنطوي : تشتمل — والأضالع : عظام صغيرة من عظام الجنب ، وهي جم
أضلاع ، ومفرد الأضلاع ضلع

(٢) المضامين : جمع مضمون ، ومضمون الكلام : فحواه وموضوعه

(٣) الجبة والكنانة : الوعاء ؛ وأصل معناها : وعاء السهام والذئاب

(٤) يذراً : يدفع

(٥) الكتائب : الجيوش ، ومفردها كتيبة — والضمة : الانحطاط والخسة

(٦) ينبت بها : يصيبها ويأتيها مرة بعد أخرى — النوادي : التوازل

(٧) الطواري : الحوادث والدواهي

(٨) النواجذ : أفاصي الأضراس ، وهي أربعة ؛ ويقال عضاً على الأمر بنواجذه

وبناجذه : إذا حرم عليه

(٩) الدريثة : ما يستتر به الصائد ليختل الصيد ويخدعه ، حتى إذا أمكنه

الصيد رمى ؛ وهذا الأمر دريثة لي ، أي : وقاية وحفظ

(١٠) الذخر : الذخيرة . وجمه أذخار — والشيب : جمع اشيب ،

وهو من أدركه الشيب

(١١) وعاما : خفها وتديرها وقبلها

الاقدام

خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ لِيَكُونَ عَامِلًا لِّمَا يُحْيِيهِ ، سَاعِيًا فِي
مَنَاكِبِ الْأَرْضِ ^(١) ، مُتَتَفِعًا بِخَيْرَاتِهَا ، دَائِبًا ^(٢) فِيهَا يَبْعُدُ
عَلَيْهِ وَعَلَى مَجْمُوعِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ الْجَمِّ ^(٣) . وَلَا يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا
بِالْإِقْدَامِ وَبَذْلِ الْجُهِدِ ^(٤) .

إِنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ لَمْ يَتَأَخَّرْ تِلْكَ الْعَظَمَةَ الْهَائِلَةَ ^(٥) ،
وَلَمْ يُبْذَلْ تِلْكَ الْعَقَبَاتِ ^(٦) الصَّغْبَةِ الْمُرْتَقَى ، وَلَمْ يَصِلْ
إِلَى مَا يُطَاطَأُ ^(٧) عِنْدَ ذِكْرِهِ كَثْرَ رَأْسٍ ، إِلَّا بِالْإِقْدَامِ
وِاثَارَةِ الْهَمَّةِ ^(٨) .

وإِنَّ الْخَلْفَ لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ ، وَلَمْ يُقْصِرْ عَنْ

(١) الاقدام : مصدر أقدم على الامر بمعنى جرو عليه

(٢) مناكب الارض : نواحيها وجوانبها وطرقها . ومفردتها منكب

(٣) دائباً : جاداً مستمراً

(٤) الجم : الكثير الغزير

(٥) الجهد : المشقة والطاقة

(٦) الهائلة : العظيمة . والهائل من الامور : ما عظم عليك وفزعك

(٧) يذلل : ينضع ويهون — والعقبات : الصعوبات ، ومفردتها عقبة ، وأصل

معناها : المرتقى الصعب في الجبل ، والطريق في الجبل

(٨) يطأطأ : ينفض وينكس

(٩) اثارة الهمة : تحريكها وتحييها

تلك الغاية ^(١) ، إلا بعد أن تقاعس ^(٢) عن العمل النافع ^(٣) ،
وأحجم ^(٤) عن الأخذ ^(٥) بشتات الحزم ^(٦) .

إن الأثم كلها قد نبضت ، وبلغت من مختلف المنى
ما بلغت ^(٧) ؛ بعد أن كانت هباءً منشوراً ^(٨) ، وطمراً مخقوراً ^(٩) ،
وعضواً مبتوراً ^(١٠) ؛ ونحن لم نزل في سبات عميق ^(١١) ،
ومكان من التقاعس سحيق ^(١٢) ؛ وقد كنا السابقين
الأولين ، والمهادين المهدبين !

فأحيوا ، يا رعاكم الله ، هذا المجد الدائم ^(١٣) ، وأقبلوا
ذلك الشرف العاثر ^(١٤) ، وأنشروا ^(١٥) ما كان من عزكم

-
- (١) الناية : المدى ، ونهاية الأمر ، والفائدة المطلوبة . واللسبة اليها غائي ؛
وجمعا غايّ وغايات ، كما تقول : ساحة وساعٍ وساعات
(٢) تقاعس : تأخر ولم يقدم ، والتقاعس : التأخر
(٣) أحجم : كف وتأخر — والشتات : المختلف المتفرق
(٤) المنى : جمع منية ؛ وهي البنية والمراد ، وما يتناهى الانسان
(٥) الهباء : الغبار ، أو شيء يشبه الدخان ينبعث في ضوء الشمس — منشوراً : متفرقاً
(٦) الطمر : الثوب الخلق البالي ، وجهه أظمار — والمحقور : المحقر المزدول
(٧) البتور : المقطوع
(٨) السبات : النوم ، والراحة ؛ ومنه يوم السبت ، لأنه يوم راحة لليهود
ينقطعون فيه عن الاعمال
(٩) سحيق : بعيد
(١٠) الدائر : البالي المعوي
(١١) اقبلوا الشرف : انهضوا به وارفعوه . يقال عشر فلان فأقلته عشرته ،
أي : كما فرضته من كبوته
(١٢) انشروا : أحيوا ، والانشار : الاحياء بعد الموت

مَقْبُورًا ، وَلَا تَجْعَلُوهُ شَيْئًا مَهْجُورًا ؛ فَإِنِّي أَرَى ، إِنْ لَمْ
تَسْتَقِظُوا ، كَفَنًا مَنشُورًا ، وَقَبْرًا مَحْفُورًا ؛ وَهَذَا لَكَ نَدْعُو
ثُبُورًا ^(١) ، فَلَا نَجْدُ نَصِيرًا ، وَلَا نُلْفِي ظَهِيرًا ^(٢) .

فَانْهَضُوا نَهْضَةً تَمِيدُ لَهَا الرَّاسِيَاتُ ^(٣) ، وَتَسْكُنُ عِنْدَهَا
الْجَالِحَاتُ ^(٤) ؛ قَبْلَ أَنْ تَقْرَعَنَا الْقَارِعَاتُ ^(٥) ، وَتَصُخِّنَا
الصَّاحَاتُ ^(٦) ، فَتَلْتَمِسُ الْمَمَاتُ ، فَلَا نَجِدُ إِلَّا الْوَبَالَاتُ ^(٧) .
إِنَّ فِي يَدِكُمْ أَمْرَ الْأُتَمَةِ ، وَفِي إِقْدَامِكُمْ حَيَاتَهَا . فَأَقْدِمُوا
إِقْدَامَ الْأَسَدِ الْبَاسِلِ ^(٨) ، وَأَنْهَضُوا نَهْضَ الرَّوَايَا ^(٩) تَحْتَ
ذَاتِ الصَّلَاصِلِ ^(١٠) ، تَحْيَ بِكُمْ الْأُتَمَةُ .
وَاللَّهُ لَكُمْ مُعِينٌ ، وَهُوَ يَجْزِي الْمُقْدِمِينَ .

(١) الثبور : الهلاك والخسار والحية

(٢) نلفي : نجد — وظهيراً : مينا

(٣) تמיד : يضطرب وتتحرك وتزيج — والراسيات : الجبال

(٤) الجالحات : الخيول تجرح براكبها حتى تقتله عن ظهرها

(٥) تقررنا : تصينا وتفاجنا — والقارعات : المصائب والدواهي

(٦) صخنا : صرنا ، أو صرنا آذانا — والصاحات : صيحة صرير الآذان

لشدتها ، والداهية : وأصل معنى الصخ : ضرب الحديد على الحديد

(٧) الويلات : الفصائح والبلبات ، ومفردا ويلة

(٨) الباسل : الشجاع الكريه القاتل

(٩) الروايا : الدواب التي تحمل زادات الماء ، ومفردا راوية

(١٠) الصلاصل : الاصوات والرهود ، والمراد بذات الصلاصل : الزادات التي

تحمّل على الروايا ، لأنها تكون من جلد فصوت عند قيام الدابة بها وعند مشيها .

والمراد انهضوا نهوضاً شديداً

الصبر

إنَّ الرجلَ العاقلَ من يَصْبِرُ على الخُطوبِ ^(١) ، ويُقايلُها
رابطَ الجأشِ ^(٢) ، لا من يقايلُها مُشدَّوها ^(٣) ، لا يَسْتَقِرُّ على
حالٍ من التَّلَقُّ .

والنَّفْسُ العاقلةُ ، فيها مَلَكَةُ النُّوْدَةِ ^(٤) ، والثَّانِي ،
فهي تَسْعَى هادئةً لِتُزِيلَ ما أَلَمَّ بها من الخَطْبِ ^(٥) ، وتَدْفَعُ
عنها عاديةً المِحْنَ ^(٦) .

أما النَّفْسُ الجاهلةُ ، فهي دائمةُ الاضطرابِ لكلِّ خَطْبٍ
يُنْزِلُ ، وإن كان يَسِيرًا ^(٧) ؛ لِأَنَّها تَعْتَقِدُ أَنَّ لا قِبَلَ لها
بِتَلَقِّيهِ ^(٨) ، ولا طاقةَ لها بِدَفْعِهِ ، فَبِهي لا تَسْتَطِيعُ التَّمَلُّصَ
منه ، ولا تَقْدِرُ على التَّفَضِّي من عَادِيَتِهِ ^(٩) .

(١) الخطوب : الامور ، شديدة كانت او غير شديدة . والمراد بها هنا
الامور العظيمة ، ومفردُها خطب .

(٢) الجأش : النفس . وفلان رابط الجأش ، أي : يربط نفسه عن الفرار
ويتصمها لشجاعته ؛ والجمع جُوش .

(٣) مُشدَّوها : « بالبناء للمجهول » : دُهِشَ وَشُغِلَ وَحَبِرَ ، فهو مُشدَّوه .

(٤) الملكة : الصفة الراسخة في النفس — والنُّوْدَةُ : الرزاة والثاني

(٥) أَلَمَّ بها : تَوَلَّى بها .

(٦) المادية : النازلة والمصيبة — والمِحْنُ : جمع محنة ، وهي ما يتعصَّبُ به الانسان من بلية

(٧) يَسِيرًا : قليلاً مِئاً .

(٨) لا قِبَلَ له بالامر : لا طاقة له به .

(٩) التَّفَضِّي : التخلُّص والتَّمَلُّص والتفلت .

وهذا هو الفرق بين النفسين .

فَكُنْ ، أَيُّهَا النَّاشِئُ ، ذَا نَفْسٍ عَاقِلَةٍ صَابِرَةٍ ، وَذَلِكَ
بِتَعْوِيدِهَا أَكْتَسَابَ الْفَضَائِلِ ، وَتَبَذَ الرَّذَائِلِ ^(١) ، وَالتَّحَلِّيَ
بِالْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَالتَّجَمُّلَ بِحِلْيِ الرَّجُولِيَّةِ ^(٢) . وَذَلِكَ
يَسِيرٌ عَلَى مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ التَّزَوُّعَ إِلَى الْفَضِيلَةِ ^(٣) ، فَتَزَوَّعَ عَنْ
رِذَاءِ الرَّذِيلَةِ ؛ فَلَمْ يُعْطِ النَّفْسَ الصَّامِتَةَ هَوَاهَا ^(٤) ، وَلَمْ
يَسْلُبِ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ مُنَاهَا ^(٥) ، فَخَرَجَ بِذَلِكَ مِنْ مَرْتَنَعِ
الْحَيَوَانِيَّةِ ، إِلَى بَيْتَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ^(٦) .

وَاللَّهُ يُجْزِي الصَّابِرِينَ عَلَى تَهْذِيبِ النَّفْسِ ، وَيَرْفَعُهُمْ
إِلَى مَقَامِ الْمُتَهَدِّينَ ، عَنْ مَنْزِلِ اللَّبِيسِ ^(٧) .
فَإِلَى الصَّبْرِ عَلَى تَهْذِيبِ أَنْفُسِكُمْ أَدْعَوْكُمْ ؛ فَإِنَّ عَاقِبَةَ
ذَلِكَ نَجَاحُ الدَّارَيْنِ ، وَسَعَادَةُ الْحَيَاتَيْنِ ؛ وَالْفَوْزُ بِالْحُسْنَيْنِ .

(١) التَّبَذُ : الطَّرْحُ

(٢) التَّجَمُّلُ : التَّزِينُ — وَالْحِلْيَةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ : جَمْعُ حِلْيَةٍ وَهِيَ مَا يُنْحَلَى بِهِ الْإِنْسَانُ

وَيَتَجَمَّلُ بِهِ — وَالرَّجُولِيَّةُ : صِفَةُ الرِّجَالِ ، وَمِثْلُهَا الرَّجُولَةُ

(٣) تَزَوَّعَ إِلَى الْأَمْرِ تَزَوَّعًا : ذَهَبَ إِلَيْهِ وَمَالَ إِلَيْهِ

(٤) النَّفْسُ الصَّامِتَةُ : هِيَ النَّفْسُ الْجَاهِلَةُ بِالْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ

(٥) النَّفْسُ النَّاطِقَةُ : هِيَ النَّفْسُ الْعَاقِلَةُ الْمُرْشِدَةُ إِلَى الْفَضَائِلِ

(٦) الْبَيْتَةُ : الْعَالَةُ وَالْمَنْزِلُ

(٧) اللَّبِيسُ ، بِفَتْحِ اللَّامِ : الْحَمِيرَةُ ، وَالتَّبَاسُ الْأُمُورُ ، وَاخْتِلَاطُ الظَّلَامِ

النفاق

لم أرَ بينَ الخلالِ ^(١) القبيحةَ ، والصفاتِ الضارة - التي
سَرَتَ في جسمِ الأُمّةِ سرَّيانَ الكُورِباءِ في الأجسامِ - خَلَّةَ
أَفْبَحَ ، ولا صِفَةَ أَشْنَعَ ، من داءِ النِّفاقِ .

ذلك الداءُ الوَيْلُ ^(٢) ، والمرَضُ الْفَتَّاكُ ^(٣) ، أَكْثَرُ
ضَرَرًا بِالأُمّةِ من ألدِّ أَعْدَائِهَا ^(٤) ، الَّذِينَ يَتَحَيَّنُونَ ^(٥) الْفُرَصَ
لِلْإِتِّقَاضِ عَلَيْهَا ^(٦) ، وَأَتَقَاصِ بِلَادِهَا مِنْ أَطْرَافِهَا .

إِنَّ الْعَدُوَّ الْمُهَاجِمَ ، إِذَا رَأَى أَنَّهُ الأُمّةُ تَهَيَّأتْ لِدَفْعِ أَذَاهُ ،
وَصَدَّ غَارَاتِهِ ، بِمَا هُوَ عَنِيدٌ ^(٧) لَدَيْهَا مِنْ وَسَائِلِ الدِّفَاعِ ،
وَأَسْبَابِ المُصَادِمَةِ . فَإِنْ لَمْ تَتَّقِ ^(٨) شَرَّهُ كُلَّهُ ، فَإِنَّهَا تَدْرَأُ

(١) النفاق : أن يظهر المرء خلاف ما يبطن

(٢) الخلال : الخصال ، ومفرد ما خَلَّةٌ ، بفتح الحاء وفتح اللام مشددة

(٣) الويل : الشديد

(٤) الفتاك : الشديد التتك . والفتك : البطش أو القتل على حين غفلة

(٥) ألد الأعداء : هو الخصم الذي لا يميل الى الحق

(٦) يتحيفون : يترقبون

(٧) اتقضى عليه : تغير عليه

(٨) عنيد : مراً حاضراً

(٩) اتقى الشر : نحفظ منه

عنها^(١) ما تَسْتَطِيعُ دَرَأَهُ مِنْ أَوَاذِي عُدُوَانِهِ^(٢) .

أَمَّا الْمُنَافِقُ - عَدُوُّ الْأُمَّةِ الرَّابِضِ^(٣) فِي قَلْبِهَا - فَهِيَ لَا تَدْرِي كَيْفَ تُحَارِبُهُ ، وَلَا تَعْرِفُ مَنْ هُوَ لِتَقَاوِمَهُ ؛ فَهُوَ يُضْعِفُ قُوَّتَهَا الْمَعْنَوِيَّةَ ، وَيُخَدِّرُ أَنْبَاضَ نَهْضَتِهَا الْمُبَارَكَةِ^(٤) ؛ وَهِيَ حَيْرَى مِمَّا يُصِيبُهَا ، وَلَهُي^(٥) مِنْ دَاءٍ لَا تَعْرِفُ كُنْهَهُ^(٦) وَلَا مَصْدَرَهُ .

فَإِذَا دَامَتِ الْأُمَّةُ عَلَى ذَلِكَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبْحَثَ بَحْثًا دَقِيقًا ، وَتَفْحَصَ فَحْصًا حَكِيمًا ، لَتَعْرِفَ تِلْكَ الْجُرُثُومَةَ الْمَوْبُوءَةَ^(٧) ، فَتَسْعَى لِإِبَادَتِهَا^(٨) ؛ وَتَعْلَمَ كُنْهَ مَرَضِهَا ، فَتُدَاوِيَهُ بِالدُّوَاءِ النَّاجِعِ^(٩) ، كَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا - أَنْحِلَالُ الرُّوَاطِطِ ؛ وَفَسَادُ الْأَخْلَاقِ . وَهُنَاكَ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ ، الَّذِي يَمْنَحُو الْأُمَّةَ مِنْ لَوْحٍ

(١) تدرأ : تدفع

(٢) الاواذي : الامواج ، ومفرها آذي ؛ والمراد بها المضرات

(٣) الرابض : الجالس المستقر

(٤) ينحدر : يضاف - والانباض : جمع نبض ، وهو حركة القلب والبروق

(٥) ولهي : ذاهقة متحيرة فاقدة الشعور بما أصابها

(٦) كنه الشيء : حقيقته

(٧) جرثومة الشيء : وجراثيمه : أصله ، ويطلقان اليوم على اللسعات التي

يسببونها المكروب ، والجمع جراثيم - والموبوءة : التي فيها الوباء ، أو التي أصابها الوباء

(٨) الابادة : الاهلاك

(٩) الناجع : المفيد

الوجود ، فَتَكُونُ مَعَ الْهَالِكِينَ .

فَأَعِذُّكُمْ ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ؛ إِنْ تَكُونُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ .

احذَرُوا أَنْ يَدِبَ فِي قُلُوبِكُمْ دَيْبٌ هُوَ لَأَشْرَارُ^(١) ،

فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ . وَمَا هِيَ إِلَّا نَارٌ تُحْرِقُ الْأَخْضَرَ وَالْيَاسَ ،

فَتَجْعَلُ رُبُوعَ الْأُمَّةِ دَوَارِسَ^(٢) .

اعْمَلُوا ، رَعَاكُمْ اللَّهُ ، عَلَى تَعْرِيفِ الْأُمَّةِ بِهِمْ ؛ وَتَحْذِيرِهَا

كَيْدَهُمْ^(٣) ، تَكُونُوا مِنَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ .

وَاللَّهُ مَعَ السَّاعِينَ ، لِرَدِّ كَيْدِ الْمُنَافِقِينَ ، لِتَكُونَ الْأُمَّةُ

فِي أَعْلَى عَالَمِينَ^(٤) .



(١) يدب : يمشي ويسري . والدَيْبُ هنا : هو بمعنى الافكار الفاسدة التي تسري

في الانسان من حيث لا يشعر ، شبهت بالدَيْب وهي الهوام : « الحيوانات الصغيرة » التي تسري في الماء وتفسل فيه انسلا

(٢) الربع : الديار - ودوارس : محوطة الانار

(٣) الكيد : الخداع والمكر

(٤) أعلى عليمين : ارفع الدرجات . وعليون : هم اسم لأعلى الجنة ، ويعرب

اعراب جمع المذكر السالم : بالواو رفعا والياء نصبا وجرا ، لانه ملحق به

الافعال

العملُ جسمٌ رُوحُهُ الإِخلاصُ .
 إِنَّ الجسمَ متى فارقتَهُ رُوحُهُ — التي بها قِوَامُهُ ^(١) —
 كانُ جُثَّةً هَامِدَةً ^(٢) لا حَرَكَةَ فِيهَا ، ولا فائِدَةً تُرْجَى مِنْهَا ،
 فَكَذَلِكَ الْعَمَلُ إِذَا زَايَلَهُ الإِخلاصُ ^(٣) .
 كَمْ رَأَيْنَا قَوْمًا يَعْمَلُونَ ! غَيْرَ أَنَّنَا لَمْ نَرَ أَثَرًا صَالِحًا
 لِعَمَلِهِمْ . وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَمْ يُوَافِقْ فِيهَا قَصْدَ إِلَهِ ، فَظَلَّ فِي شَاطِئِهِ ،
 أَوْ خَاضَ مِنْهُ ضَحْضَاحًا ^(٤) ، وَلَمْ يَسْتَطِيعْ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْغَمْرِ ^(٥) ،
 فَتَكَصَّ عَلَى عَقِيْبِهِ ^(٦) ، خَسِرَ النَّصَبَ ^(٧) وَالذَّهَبَ .
 وَلَيْسَ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ سَبَبٍ ، إِلَّا أَنْ الإِخلاصَ لَمْ يَكُنْ
 رَائِدًا ^(٨) هَذِهِ الْفِتْنَةَ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَعْمَلْ إِلَّا لَجْرَ مَغْنَمٍ مَذْمُومٍ ،
 أَوْ كَسْبِ شَرَفٍ مَوْهُومٍ .

- (١) قِوَامُ الْأَمْرِ ، بِكسر القاف : نظامه وعماده وملاكه الذي به يقوم
 (٢) الْجُثَّةُ : شَخْصُ الْإِنْسَانِ — وَهَامِدَةٌ : مَيِّتَةٌ . وَأَصْلُهَا مِنْ هَمَدَ
 النَّارَ وَهُوَ انْطَفَأَ مَا
 (٣) زَايَلَهُ : فَارَقَهُ
 (٤) الضَّحْضَاحُ : الْمَاءُ الْقَرِيبُ الْقَمَرِ
 (٥) الْقَمَرُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ الْبَعِيدُ الْقَمَرِ ، وَالْجَمْعُ غَمَارٌ ، بِكسر الغين
 (٦) تَكَصَّ عَلَى عَقِيْبِهِ : رَجَعَ
 (٧) خَسِرَ : شَدِيدُ الْخُسْرَانِ ، وَهُوَ صِفَةُ مُبَالَغَةٍ — وَالنَّصَبُ : التَّعَبُ
 (٨) الرَّائِدُ : الدَّلِيلُ وَالْمُرْشِدُ

والسِرُّ في ذلك أن من يَعْمَلُ مُخْلِصًا في عمله لأُمته
 ووطنه تَهْوِي ^(١) إليه أُنثى الناس ، وَيَحْوِطُونَهُ ^(٢) بالتشجيع
 والتَّحْيِيد ^(٣) ، أو بالمعونة والتنفيذ ؛ فَيَزِدُّهُ بِذلك هِمَّةً
 ونشاطاً ، وَتَنُمُو ^(٤) فيه رُوحُ الجِدِّ والمُثابرة على العمل .

أما من يَعْمَلُ غَيْرَ مُخْلِصٍ ، فَإِنَّهُ ، وَإِنْ كَتَمَ ما يُضْمِرُهُ
 حيناً من الدهر ، لا بُدَّ أن يَنْكَشِفَ عَوَارِهُ ^(٥) ، وَيَفْتَضِحَ
 أَمْرُهُ ؛ فَيَنْفِرُ مِنْهُ مَنْ كَانَ لَهُ مَعِينًا ، وَيُهْمِلُهُ مَنْ شَجَّعَهُ
 وَحَبَّذَ عَمَلَهُ . وبذلك تَضَعُ هِمَّتُهُ ، وَتَفْتُرُ تَزْيِمَتَهُ ؛
 فَيَدَعُ ^(٦) ما كَانَ يَعْمَلُهُ مُضْطَرًّا ، وَتَكُونُ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ خَسَارَةً
 المادَّة والأدب ، وَبَعِيشُ عَيْشَةٍ غَيْرِ رَاضِيَةٍ .

والأمثال على ذلك كثيرة :

فَكَمْ رَأَيْنَا جَمْعِيَّاتٍ قَامَتْ ، فَمَا لَبِثَتْ ^(٧) أَنْ قَعَدَتْ !

(١) تهوي إليه : تميل إليه ؛ وأصل معناها تسقط

(٢) يحوِّطونه : يحفظونه ويشهدونه

(٣) التحييد : أن تقول للرجل : « حبذا » مادحاً عمله

(٤) تنمو : تزيد

(٥) العوار ، مثلته العين : العيب ؛ وأصل معناها : الخرق في الثوب

(٦) يدع : يترك

(٧) لبثت : مكثت

وكم شاهدنا مشروعات نهضت ، فما مكثت أن سقطت ،
وتعداد هذه الحوادث يحتاج إلى صفحات ، لا يتسع
لها صدر هذه العظات .

فكن ، أيها الناصي ، مخلصاً في عمالك ، تبلغ أقصى
أملك^(١) ، وأحذر أن تبيع الوجدان ، بالأصفر الزن^(٢) ،
فذلك دأب المنافقين^(٣) ، الذين يستبدلون الدنيا بالدن ،
والضلال باليقين .

وأعيدك بالله أن لا تكون من المخلصين

(١) أقصى : أبعد

(٢) الأصفر الزن : الذهب

(٣) الدأب : العادة

البأس

ما أَسْتَوَى البأسُ على أُمَّةٍ إِلَّا أَخَمَلَهَا ، ولا خَاصَرَ (١)
قلوبَ قومٍ إِلَّا أضعفَهَا .

ونَاهِيكَ (٢) بَضْعَ القلوبِ مُخْمِلًا ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ أَلَمًا من
مرضِ الاجسامِ ، وَشَرُّ أَثَرٍ من وَقَعِ الحُسامِ (٣) .
أَمَّا الخُمُولُ - وَهُوَ أَثَرٌ من آثارِ البأسِ - فَقَدْ يَجْعَلُ
المرءَ كالحيوانِ الاعجمِ ، لا يَعْرِفُ من هذه الحياةِ إِلَّا ما تَهْتَدِي
إِلَيْهِ البهائمُ بالسَّوْقِ الطَّبِيعِيِّ : من التَّمَتُّعِ بالمَطَاعِمِ
والمَشَارِبِ والمَلَذَّاتِ .

(١) البأس : القنوط وقطع الامل

(٢) خاصر : خالط

(٣) ناهيك : كلمة تعجب واستعظام ، كما يقال « حسيك » : وتأويلها : أنه غاية
فيها نطلبه يهاك عن طلب غيره . وهي تذكر وتؤنث وتجمع لأنها اسم فاعل . تقول
هذا رجل ناهيك من رجل ، وهذه امرأة ناهيك من امرأة ، وهؤلاء رجال
ناهوك من رجال ، ونساء نواهيك او ناهياتك من نساء ، وهذان رجلان ناهيك ، وهاتان
ارأتان ناهيتك . وان وقعت بعد النكرة كانت صفة لها كالأمثلة السابقة . وان وقعت بعد
المعرفة كانت حالا منها ، مثل : هذا عبد الله ناهيك من رجل . واعرابها في نحو :
« ناهيك بمر عادلا » : ان ناهيك : خبر مقدم ، والكاف : مضاف إليه ، وعمره : مبتدأ
مؤخر دخلت عليه الباء الجارة الزائدة ، وعادلا : حالا .

(٤) وقع الحسام : شدة ضربه . والحسام : السيف القاطع

قد قرَنَ اللهُ اليأسَ بالكُفْرَ به ، في قوله : « ولا تَبْأُسُوا
 مِنْ رَوْحِ ^(١) اللهِ ، إِنَّهُ لَا يَبْأُسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ
 الْكَافِرُونَ » ، فأنظرَ ما أعظمَ ذنبَ اليائسين !

وإيسَ هذا الذنبُ رائئاً ^(٢) ، على قلب مُرتكبه في الحياة
 الكُبرى ^(٣) فقط ، بل هو يُغشي مجترمه ^(٤) في هذه الحياة
 الصغرى أيضاً ، إذ لو عرَضت له أمورٌ يجبُ أن يقومَ
 بأعبائها ^(٥) ، فاستبْطأ نتائجها ^(٦) ، أو استكبرَ أن تكونَ ،
 لرأيتَه مُعرِضاً عنها إعراضَ الجبان ، عن مُنازلة الشُّجعان .
 معَ أَنَّهُ لو ثابَرَ على القيام بها ، وواظبَ على مُصادمة
 ما يَعتوره ^(٧) من العوامل في سبيل تحقيقها ، وثبتَ أمامَ
 العقبات ^(٨) التي دونها ، فذَلَّلها بِجِدِّ جادٍ ، وعزمٍ وقادٍ ،

(١) الروح : الرحمة

(٢) رائئاً : منطياً

(٣) الحياة الكبرى : هي الحياة بعد الحياة الدنيا التي هي الحياة الصغرى

(٤) يغشي : يغطي — ومجترمه : مكفبه

(٥) الأعباء : الاحمال الثقيلة ، ومفردُها عِبءٌ

(٦) استبْطأ الشيء : وجدَّه بطيئاً

(٧) يَعتوره : يصبه وينزل به مرة بعد أخرى

(٨) العقبات : جمع عقبة ، وهي الصخرة ، وأصلها : الطريق المصعب في الجبال

وَنُفُوزِ نَظَرٍ حَادٍ ، لِأَتْنَهْ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ ^(١) ، وَثَالٍ مِنْ
نَتَائِجِهَا مَا يَرُومُ .

وَالَكِنْ ، هُوَ الْيَأْسُ ، مُهْدِمُ الْأَمَلِ ، وَمُقَوِّضُ ^(٢)
أَرْكَانِ الْأَعْمَالِ .

لَوْ رَغِبْتَ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَنَا - مِمَّنْ يَسْتَطِيعُونَ
الْقِيَامَ بِعِظَائِمِ الْأَعْمَالِ ، الَّتِي يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى الْوَطَنِ وَأَبْنَائِهِ - أَنْ
يَقُومُوا بِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ ، لَا عَظْرَ عَنْ ذَلِكَ بَلَّا لَا يُقْبَلُ
مِنْ حُجَّةٍ ، وَمَا لَا يُؤْبَهُ لَهُ مِنْ أَعْتِذَارٍ ^(٣) .

مَا عَذَرُ مَنْ 'حُجَّتُهُ' الْيَأْسُ مِنْ نَجَاحِ الْمَشْرُوعَاتِ ،
وَبُرْهَانُهُ 'صُعُوبَةُ' نَجَاحِ الْأَعْمَالِ ؟ !

مَا ذَلِكَ ، لَعَنَرُ الْحَقِّ ، بِحُجَّةٍ ، وَمَا عَلَى قَوْلِهِمْ أَثَارَةٌ ^(٤)
مِنْ بَرَهَانٍ صَحِيحٍ .

وَلَكِنْ هُوَ الْيَأْسُ ؛ قَاتِلَ اللَّهِ الْيَأْسَ ، وَأَقَالَ الْيَائِسِينَ
عَشْرَاتِهِمْ ^(٥) ، وَأَنَافَ بِهِمْ عَلَى بَيْفَاعِ الْأَمَلِ ^(٦) ، وَاخْذُ بِأَيْدِيهِمْ
إِلَى صَالِحِ الْعَمَلِ .

(١) مُنْقَادَةً : طَائِعَةً

(٢) مُقَوِّضُ : مُهْدِمُ

(٣) لَا يُؤْبَهُ لَهُ : لَا يُعْبَأُ بِهِ وَلَا يُلْتَمَسُ إِلَيْهِ

(٤) أَثَارَةٌ : قَلِيلٌ ؛ وَأَصْلُهَا الْبَقِيَّةُ مِنَ الْعَمَلِ تَوَثَّرَ

(٥) أَقَالَ عَشْرَتَهُ : نَهَضَ بِهَا مِنْهَا

(٦) أَنَافَ بِهِمْ : رَغِبَ - وَالْبَيْفَاعُ : التَّلُّ الْمَشْرِفُ ، أَوْ مَا أَوْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ

إِنَّ الْيَأْسَ قَدْ تَمَكَّنَ مِنَ الْقُلُوبِ إِلَّا أَقَلَّهَا ؛ وَأُسْتَحْكَمَتْ^(١)
 حَلَقَاتُهُ فِي الْأَنْفُسِ ، غَيْرَ نَفْسٍ قَدْ تَدَارَكَهَا اللَّهُ بِبَصِيصٍ^(٢)
 مِنْ نُورِ الْآمَالِ ، فَأَدْرَكَتْ مَغْبَةَ الْمَالِ^(٣) ، وَسَعَتْ إِلَى تَحْسِينِ
 الْحَالِ ، لِتَجْنِيَ ثَمَرَاتِ الْأَسْتِقْبَالِ .

فَلَا تَكُونُوا ، أَيُّهَا النَّاشِثُونَ ، مِنَ الْيَأْسِينَ ،
 الْكُسَالَى الْخَامِلِينَ .

فَمَا الْيَأْسُ إِلَّا مَوْتُ فِي الْحَيَاةِ ، وَشَقَاةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ .
 فَاذْ بَحُوا الْيَأْسَ ، وَقَوُّوا الْبَأْسَ^(٤) ، نَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ .



(١) استحكمت : تمكنت

(٢) البصيص : اللعان والبريق

(٣) المغبة : العاقبة — والمآل : المرجع والمصير

(٤) البأس : القوة والشدة

الرجاء

لولا الرجاء لَمَا سعى ساعٍ نحو أُمْنِيَّة^(١) ، ولا دعا داعٍ
إلى وطنيَّة ، وَلَكانت الحياةُ أَضيقَ من 'جُحر الضَّب'^(٢) ،
وَأثقلَ على العائق من القيود والأغلال^(٣) .

ما رأيتُ أحداً يعملُ ، إلا وهو يعتقدُ أنْ يعملَ
أثراً يُحمدُ مَفْبُتُهُ^(٤) ، ومُوجيْ بُائِدَتِهِ . ولا فرقَ بينَ
أنْ تكونَ الفائدةُ خاصَّةً بالعامل ، أو عامَّةً شاملةً ، يعودُ
خيرُها على مجموعِ الأُمَمِ التي يَنْتَفِعُ بِخيراتها ، وبَحْيَا
في يَدَيْتِهَا^(٥) .

غيرَ أنْ هناكَ أمراً ، هو كلُّ الأمرِ :

ذلك ، أنْ قومًا لا يَعْمَلُونَ إلا إذا اعتقدوا ، جِدَّ الاعتقادِ ،
أنْ عملهم مُشِيرٌ لا محالةٌ ، فإنْ لَنَحُوا شُبْهَةً في نجاحِ العملِ ،
ولو كانت أوهى من بيتِ العنكبوتِ ، أَحْجَمُوا^(٦) عن الإقدامِ ،

(١) الرجاء : الأمل — والأُمْنِيَّة : ما يتمناه الإنسان ، وجمعا آماني

(٢) جحر الضب : مأواه . والضب : حيوان يري كفرخ التمساح الصغير

(٣) العائق : موضع حماله السيف من الكتف — والأغلال : القيود ؛ والمفرد غل

(٤) المَفْبُتَةُ : العاقبة

(٥) البيتة : المنزل والموطن

(٦) احجموا : تأخروا

وَأَدَّرِعُوا بِالْأَوْهَامِ^(١) . وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ دَابِّ الْحَازِمِينَ^(٢) ،
وَلَا مِنْ خُلُقِ الْعَامِلِينَ .

وما الدَّاعِي إلى إِحْجَامِهِمْ إِلَّا 'ضَعْفُ' الرِّجَاءِ فِي نَفْسِهِمْ .
وهو مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ ، يَجِبُ أَنْ يُدَاوَى بِإِيمَانَةِ
الْيَأْسِ ، فَإِنَّهُ دَاءُ الْاجْتِمَاعِ ، وَجُرْثُومَةُ الْعُمُرَانِ الْمَوْبُوءَةِ^(٣) .

فَقَدْ رَجَاءُ دَاءٍ سَارٍ فِي جِسْمٍ مُجْتَمَعِنَا ، لِذَلِكَ تَرَى
الْعَامِلِينَ قَلِيلِينَ ، وَالسُّعَدَاءَ فِي حَيَاتِهِمْ نَادِرِينَ ؛ وَقَدْ شَمِلَتْهُمْ
الْحَسَرَاتُ ، وَحَاطَتْهُمْ مِنْ شَقَاءِ الْحَيَاةِ النَّكَبَاتُ^(٤) . وَلَوْ عَقَّلُوا
اِطْرَاحُوا بِهَذَا الْخُلُقِ الشَّائِنِ الْأَرْضَ^(٥) ، وَأَسْتَمْسَكُوا بِعُرَى
الرِّجَاءِ^(٦) ، وَأَقْدَمُوا عَلَى الْعَمَلِ إِقْدَامَ الْأَشْدَاءِ ، الَّذِينَ
يَرَوْنَ أَنَّ فِي الْيَأْسِ الدَّاءَ ، وَفِي الرِّجَاءِ الشِّقَاءَ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ هُنَاكَ قَوْمًا لَا يُشَبِّطُ^(٧) هِمَمَهُمْ بَعْدُ الْغَايَةِ
الَّتِي يَقْصِدُونَ إِلَيْهَا ، وَلَا يَحُولُ ، بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَرْجُونَ ،

(١) ادرع الدرع وادرع بها : لبسها

(٢) الدَّابُّ : العادة — والحازم : من يضبط اموره ويأخذ منها بالثقة

(٣) الجرثومة : النسبة التي يسمونها المكروب — والموبوءة : التي فيها الوباء والداء

(٤) النكبات : المصائب

(٥) الشائن : العائب

(٦) العرى : جرم عروءة ، وهي كل ما يؤتق به ويحول عليه ؛ وأصلها : مقبض

الدلو والكوز ونحوهما ، وما يدخل فيه الزر من القميص وغيره

(٧) لا يشبط : لا يوقظ ولا يؤخر

ما يَعتَرِضُ رَجَاءَهُمْ ، وَيُصَادِمُ آمَانَهُمْ ؛ بَلْ يَنْدَفِعُونَ أَنْدِفَاعَ
الْقَضَاءِ الْمُنْزَلِ ، وَيُقَدِّمُونَ إِقْدَامَ الْآتِيِ الرُّسُلِ ^(١) ،
لَا يَلْوِيهِمْ عَنْ أَمَانَتِهِمْ لَأْوٍ ^(٢) ، وَلَا يَنْشِيهِمْ ثَانٍ ؛ وَأَوَّلُكَ
هُمْ الْقَوْمُ حَقًّا ، وَبِهِمْ نَحْيَا الْأُمَّةَ .

هَذِهِ الْفِئَةُ النَّاهِضَةُ ، تَعْلَمُ ، حَقَّ الْعِلْمِ ، أَنَّ رَجَاءَ الْأَعْمَالِ
دَاعِيَةُ الْإِقْدَامِ عَلَيْهَا ، وَسَبَبُ تَحْقِيقِ حُصُولِهَا ؛ فَلَا يُقْعِدُهُمْ
عَنْهَا ضَعْفُ الْأَمَلِ ، وَلَا ضَالَّةُ نُورِهِ ^(٣) .

هِيَ تَعْتَقِدُ أَعْتِقَادًا لَا يَشُوْبُهُ شَكٌّ ^(٤) ، وَلَا يُخَالِطُهُ
رَيْبٌ ، أَنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الْبَاسِ مَوْتُ ، وَتَقُولُ مَعَ الْقَائِلِ :
« مَا أَضْيَقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ » .

فَأَجْعَلُوا ، أَيُّهَا النَّاشِئُونَ ، الرَّجَاءَ شِعَارَكُمْ ، وَالْأَمَلَ
دِنَارَكُمْ ^(٥) . وَأَتَرُكُوا تَشْيِيطَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَّ الْآوِينَ ،
وَتَنِي الثَّانِينَ ^(٦) . وَكُونُوا مِنَ الرَّاجِينَ الْآمِلِينَ ، السَّاعِينَ
الْعَامِلِينَ . وَاللَّهُ لَكُمْ مُعِينٌ .

(١) الْآتِي : السَّبِيلُ الْآتِي مِنْ بَعِيدٍ

(٢) لَا يَلْوِيهِمْ : لَا يَنْشِيهِمْ وَلَا يَجْرِفُهُمْ ، وَمَا ضِيَعَهُ لَوْى ، وَمَصْدَرُهُ الْيَوَى ، وَاسْمُ

الْقَائِلِ الْإِلَاوِي (٣) ضَالَّةُ النُّورِ : ضَعْفُهُ وَقَلَّتْ

(٤) لَا يَشُوْبُهُ : لَا يَخَالِطُهُ

(٥) الشِّعَارُ : الْغَلَامَةُ ، وَثَوْبٌ يَلْبَسُ تَحْتَ الدَّنَارِ - وَالدَّنَارُ : ثَوْبٌ يَلْبَسُ

فَوْقَ الشِّعَارِ

(٦) الثَّانِي : مَصْدَرُ ثَنَاءٍ عَنِ الْأَمْرِ يَتْلُوهُ ، أَيْ : صَرَفَهُ عَنْهُ

الجبن

بَحَثَ فِي طِبَائِعِ الْبَشَرِ ، فَلَمْ أَجِدْ خُلُقًا ، مِنْ الْأَخْلَاقِ
الَّذِي نَبَذَهُ ، أَدْنَى إِلَى الصَّغَارِ ^(١) ، وَأَقْرَبَ إِلَى الْمَوْتِ فِي الْحَيَاةِ ،
عَنِ الْجَبَنِ .

ذَلِكَ الْخُلُقُ ، مَا تَأَصَّلَ فِي نُفُوسِ قَوْمٍ إِلَّا أَضْرَبَ
عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ وَالْمَسْكَنَةَ ^(٢) ، فَبَادُوا بِالْوَضَاعَةِ ^(٣) وَالْخُنُولِ ،
ثُمَّ بِالْإِنْحِلَالِ فَالْمَوْتِ .

يُدَاهِمُ ^(٤) الْأُمةَ الْعَدُوُّ ، فَتَجَبَّنُ عَنْ صَدْرِ غَارَاتِهِ ،
وَتَتَفَرَّقُ مِنْ مُنَازِلَتِهِ ^(٥) ، بِمَا تَمَرَّبَتْ عَلَيْهِ نُفُوسُ أَفْرَادِهَا
نَمِنَ الْجَبَنِ ، فَيَجُوسُ خِلَالَ الدِّيَارِ ^(٦) ، وَيَكْتَسِحُ ^(٧) ،

(١) أدنى : أقرب — والصغار : الذل والضم

(٢) تأصل : تمكنت أصوله وثبتت — والمسكنة : الضعف والذل والفر

(٣) بادوا : رجوا — والوضاعة : الحسة والانحطاط

(٤) يدهم : يأتي على حين غفلة

(٥) تفرق : تخاف وتهاب

(٦) يجوس خلال الديار : يدور فيها بالبيت والفساد

(٧) يكتسح البلاد : يستولي عليها ويأخذها

البلاد ، وَيَسْتَعِيدُ الجماعات والأفراد ، فلا يُرى له من صَادٍ ،
ولا لأفاعيله ^(١) من رَادٍ .

ويقوم فيها رَهْطٌ ^(٢) أو لَوْ فساد ، فلا يَجِدُونَ لهم
أحدًا بالمرصاد ^(٣) ، فَيُهْلِكُونَ الحَرْثَ والنَّسْلَ ^(٤) ، وَيَجْعَلُونَ
الْأُمَّةَ كَالْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ . ولولا داءُ الجبنِ لَرَدَّتْهم على أعقابهم
خاسرين ، وَخَسِرَتْهم ضَرْبَةٌ لا تقوم لهم بَعْدَهَا قَائِمَةٌ .

فَالسُّكُوتُ على عَمَلٍ من يُريدُ بِالْأُمَّةِ السُّوءَ خَلَّةٌ ^(٥)
الْجُبْنَاءِ ، وَمُناهِضَةٌ ^(٦) الظَّالِمِ من دلائل حياةِ الْأُمَّةِ ، فَإِنْ حَيَاتُهَا
بِمَا يَنْبَغُ فِيهَا مِنَ الشُّجْعَانِ ^(٧) .

فَيُحْ ، وَرَبِّ الكَعْبَةِ ، أَنْ يَقُومَ بَيْنَنَا الْجَاهِلُ فِي زِيٍّ
الْعُلَمَاءِ ، وَالْفَاجِرُ فِي مَظْهَرِ الْأَتْقِيَاءِ ، وَالْحَامِلُ فِي صُورَةِ النَّبِيَاءِ ،

(١) الافاعيل : جمع افعال ، وفرد الافعال فعل ، واكثر ما تطلق الافاعيل
على الافعال المنكرة

(٢) الرهط : ما دون العشرة من الرجال . ورهط الرجل : قومه وعشيرته .

(٣) المرصاد : الطريق ، والمكان يرصد فيه العدو

(٤) الحَرْث : الزرع — والنَّسْل : الخلق والولد والذرية

(٥) الخلَّة : الحصة والحق ، وجما خلال

(٦) المناهضة : المقاومة

(٧) ينبغ الشيء : ظهر . وبابه نصر وقطع ودخل

والعاجزُ في هَيْئَةِ الْقُدَرَاءِ^(١) ، وَالْمَيْتُ في لباسِ الْأَحْيَاءِ .

وَأَفْبَحُ من ذلك أَن نُسَلِّمَ لَهُم هذه الدَّعْوَى رِثَاءً^(٢) ،
وِنِفَاقًا ، طَمَعًا في جَرِّ مَغْنَمٍ ، أَوْ اخْوَارٍ^(٣) في النَّفْسِ ،
وَضَعْفٍ في الْأَخْلَاقِ .

وَأَشَدُّ قُبْحًا أَن نُدَافِعَ عَنِ الظَّالِمِ وَمَنْ يُرِيدُ بِالْأُмَّةِ الشَّرَّ ،
وَنَصِفَهُ بِالْخِلَالِ الطَّيِّبَةِ ، وَحَسَنِ النِّيَّةِ وَصَدَقِ الْعَمَلِ .

إِنَّ مِثْلَ هَذَا الْخُلُقِ الشَّائِنُ^(٤) — الَّذِي مَصْدَرُهُ الْجُبْنُ —
غِشٌّ لِلْأُمَّةِ ، وَتَغْرِيرٌ بِهَا^(٥) ؛ لِأَنَّهَا تَسْتَسَلِمُ إِلَى مَنْ يَكُونُ
الْقَاضِي عَلَى حَيَاتِهَا ، وَالْمَهَادِمَ مَبَانِي أَجْتِمَاعِهَا ، وَالْمَقْوُضَ^(٦)
أَرْكَانَ أَخْلَاقِهَا .

فَأَعِذُّكُمْ بِاللَّهِ ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَن تَكُونُوا مِنَ الْجُبَنَاءِ ،
السُّفَهَاءِ الْأَدْنِيَاءِ ؛ فَإِنَّ الْجُبْنَ دَاءٌ أَيْ دَاءٌ !

(١) القدراء : جمع قدير وقادر

(٢) الرثاء : النظائر بخلاف ما في الباطن

(٣) الخور : الضعف ، والفتور ، والجبن

(٤) الشائن : العائب

(٥) غرَّره تغريراً : عرضنه للهلكة

(٦) المقوض : المهدم

عَوِدُوا أَنْفُسَكُمْ الشَّجَاعَةَ ، تَعْتَادُوا الْإِيَاءَ وَالشَّمَّ ^(١) ،
وَالصِّدْقَ فِي الْقَوْلِ ، وَالنَّجَاحَ فِي الْعَمَلِ .

إِنَّ الْجَبْنَ قَدْ ضَرَّ بِالْأَمَةِ ، حَتَّى جَعَلَهَا فِي أَسْفَلِ
الدَّرَكَاتِ ^(٢) ؛ فَسَطَا عَلَيْهَا الْجَائِرُ ^(٣) ، وَأَسْتَبَدَّ بِأَمْرِهَا الْجَاهِلُ ،
وَعَرَّ بِهَا الْفَاجِرُ . فَإِنْ دَامَتِ الْحَالُ ، سَاءَ الْمَالُ ^(٤) .

فَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَلَا تُرْهِبْكُمْ سَطْوَةٌ
ظَالِمٌ ؛ فَإِنَّ فِي الْجَبْنَ الْمَوْتَ ، وَفِي الشَّجَاعَةِ الْحَيَاةَ .

إِنَّكُمْ سَتَكُونُونَ غَدًا آبَاءَ ، فَكُونُوا لِأَبْنَائِكُمْ قُدْوَةً
صَالِحَةً ، تَنْجِي بِكُمْ الْأُمَّةَ حَيَاةَ السُّعْدَاءِ .

(١) الإياء : الامتناع من كل ما يشين - والشتم : الأنتفة وعزة النفس

(٢) الدركات : جمع دركة وهي المنزلة الساقطة ؛ وهي في الأصل للنازل

كالدرجة للمساعد

(٣) سطا : سال ووثب وقهر - والجائر : الظالم

(٤) المال : المرجع والمصير

(١)

التهور

إذا كان الجبنُ 'خُلُقًا سَافِلًا' ، وَمَثَلَةً ^(٢) لِلجَبَانِ عَظِيمَةً ،
فَالْتَهَوْرُ لَا يَقِلُّ عَنْهُ 'مَنْقَصَةٌ' ؛ لِأَنَّهُ فِي كِلَا الْخُلُقَيْنِ ضَرَرٌ
لَا حَقًّا بِالْإِنْسَانِ .

الْجَبْنُ فِي الْأَعْمَالِ دَاعِيَةُ الْإِخْفَاقِ فِيهَا ^(٣) ، وَالتَّهَوْرُ فِي
الْإِقْدَامِ عَلَيْهَا ، قَبْلَ التَّرَوِّيِّ ، سَبَبٌ لِعَدَمِ التَّوْفِيقِ أَيْضًا .

رَأَيْنَا جَواهِرَ الْمُتَحَمِّسِينَ يَنْدَفِعُونَ فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ ،
ثُمَّ لَا يَلْبَثُونَ ^(٤) أَنْ يَرْجِعُوا بِخُفْيٍ 'حَنِينٍ' ^(٥) ؛ فَلَا يُوقِفُون
فِيهَا أَنْدَفَعُوا فِيهِ . وَإِنْ هَمَّهُمْ لَتَبْرُدُ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنْ
تَحَمُّسِهِمْ .

مَا سِرُّ ذَلِكَ ؟

إِنَّ السِّرَّ وَاضِحٌ لِكُلِّ 'مُفَكِّرٍ' : وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ

(١) التهور : الوقوع في الاسر بلا مبالاة

(٢) المثلة : العيب والمنفعة والمسة

(٣) الاخفاق : عدم الظفر بالمطلوب

(٤) لا يلبثون : لا يتمكنون

(٥) رجع بخفي حنين : مثل يضرب لمن رجع خائباً

من الأعمال ، منه ما يكون ، ومنه ما لا يكون . فالعاقل من يتروى في الأمر قبل الإقدام عليه ؛ فإن رأى أنه مما يكون ، وجه عزيمته إليه ، وأندفع نحوه ؛ وإن رأى أنه مما لا يكون لم يضيع الوقت عبثاً في محاولة إيجاده .

التهور ضرر . وهو كالجن في عدم حصول

الفائدة منه :

فإن رأيت رجلاً جاراً عن القصد^(١) ، وأتبع غير سبيل الرشد ، فأحجمت عن إرشاده^(٢) ، وجبنت عن إبداء النصيحة له ، ظل سائراً في طريق ضلاله ؛ فكذلك إن أردت أن تصرفه بالشدة ، وتنمعه بالجبه والقسوة^(٣) ، فلا يعير زجرَكَ أذنًا صغواء^(٤) ؛ بل رُبما تمادى في عناده ، وأزداد في طغيانه^(٥) ؛ فتضيع بذلك الفائدة التي كنت تتوخاها^(٦) ، والنتيجة التي تنشدها^(٧) .

(١) جار عن القصد : عدل عنه ومال — والقصد : استقامة الطريق ، والتوسط

في الأمور ، وهو قبيض الانراط فيها

(٢) احجمت : تأخرت

(٣) الجبه : الشدة ، وأصل معناه : ضرب الجبهة

(٤) الزجر : المنع والانهار — وصغواء : مصغية

(٥) الطغيان : مجاوزة الحد

(٦) تتوخاها : تنحراها وتسمى إليها وتتطلبها

(٧) تنشدها : تطلبها

التَّهَوُّرُ سِرٌّ عَظِيمٌ مِنْ أَسْرَارِ الْإِخْفَاقِ فِي الْأَعْمَالِ ^(١) ،
 وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ مُعْظَمُ الْأَسْبَابِ فِي ضَيَاعِ ثَمَرَاتِ مَجْهُودَاتِنَا ،
 وَإِفْلَاتِ الصَّيْدِ مِنْ بَدِنَا .
 فَاتَّقِ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، التَّهَوُّرَ ؛ فَإِنَّهُ مَدْعَاةُ الْخِيْبَةِ ^(٢) ؛
 وَتَجَنَّبِ التَّسَرُّعَ ؛ فَإِنَّ مَغْبِتَهُ الزَّلَّ ^(٣) .
 وَكُنْ أُمَّةً ^(٤) وَسَطًا ^(٥) ، تَكُنْ مِنَ الْمُفْلِحِينَ .

•••••

(١) الإخفاق : الخيبة

(٢) مدعاة الخيبة : السبب فيها

(٣) المغبة : العاقبة - والزلل : السقوط

(٤) الأمة : الجماعة تجتمعها حال واحدة • وإنما وصف به الثاني هنا رجاء

أن يكون أمة بنفسه أن شاء الله

(٥) وسطاً : معتدلاً في الأمور

الشجاعة

ملاك^(١) النَّجَاحِ فِي الْأَعْمَالِ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِ الْعَامِلِ شَجَاعَةٌ تَدْفَعُهُ إِلَى الْعَمَلِ ، فَلَا يَرْجِعُ عَنْهُ حَتَّى يَبَالَ مَا يَرِيدُ .
وَمَا أَفْلَحَ الْعَامِلُونَ إِلَّا بِهَذَا الْخُلُقِ الشَّرِيفِ ، فَهُوَ يُمَكِّنُ الْمُتَخَلِّقَ بِهِ مِنْ نَاصِيَةِ^(٢) خَطِيرِ الْأُمُورِ^(٣) ، حَتَّى تُنْقِيَ إِلَيْهِ صَعَابُهَا بِالْمَقَالِيدِ^(٤) .

الشَّجَاعَةُ : هِيَ الْحَدُّ الْوَسْطُ بَيْنَ رَذِيلَتِي الْجُبْنِ وَالتَّهَوُّرِ ، فَفِي الْجُبْنِ تَفْرِيطٌ^(٥) ، وَفِي التَّهَوُّرِ إِفْرَاطٌ^(٦) ، وَفِي الشَّجَاعَةِ السَّلَامَةُ .

الشَّجَاعَةُ : أَنْ تُقَدِّمَ حَيْثُ تَرَى الْإِقْدَامَ عَزْمًا ، وَتُحْجِمَ^(٧) حَيْثُ تَرَى الْإِحْجَامَ حَزْمًا^(٨) .

(١) ملاك الشيء : نظامه وقوامه الذي به يقوم

(٢) الناصية : مقدم الرأس ، والتكن من ناصية الأمر : كناية عن

الاستيلاء عليه

(٣) الخطير : العظيم

(٤) المقاليد : المفاتيح ، ومفردتها مفلاة

(٥) التفريط : التضييع والتقصير

(٦) الإفراط : مجاوزة الحد

(٧) تحجم : تتأخر

(٨) الحزم : ضبط الأمر والإخذ منه بالثقة

وهي قسمان : شجاعةٌ أديَّةٌ ، وشجاعةٌ مادِّيَّةٌ ؛ وكلتاُهما
من ضروريَّاتِ الحياةِ .

فالثَّانيةُ 'يَدْفَعُ' بها المرءُ عن وطنه وعن نفسه عوادي^(١)
من 'يُرِيدُ' بها السُّوءَ ؛ و'يُكَافِحُ' الأعداءَ^(٢) في سبيلِ تعزيزِ
الأمةِ ، الى أن يَفْضِيَ اللهُ أَمْرًا كان مفعولاً . فإن أُتْصِرَ
ألبسَ الوطنَ مَطارِفَ الشَّرَفِ^(٣) ، وحلَّى جِيدَهُ^(٤) ، بَعُقُودَ
الفَخْرِ . وإن لم 'يُوفِّقْ' فيما قَصَدَ اليه كان له أجرُ العاملِ المُخْلِصِ
والأولى بِرُدِّها الظَّالِمَ عن ظُلمِهِ ، والغاويَ^(٥) عن غِيهِ ؛
و'يُرْشِدُ' الأمةَ ، بِالْعِظَةِ النَّاجِعَةِ^(٦) ، إلى السَّبِيلِ القُوِيَّةِ
لِتَسْلُكِهَا ، والطَّرِيقِ اللَّاحِبِ^(٧) لَتَمْشِيَ فِيهِ .

فإنْ قُفِدَتْ هذه الشَّجاعةُ ، تَمَادَى الجَائِرُ^(٨) ، وازدادَ

(١) العوادي : النوازل

(٢) يكافح : يقاتل ، والكافة : استقبالك العدو في الحرب وجهاً لوجه ليس
دونكاً نرس أو غيره

(٣) المطارف : جمع مطرف — بكسر الميم وضمة واو — وفتح الراء — وهو رداء
من الحرير مربع ذو اعلام

(٤) الجيد : العنق

(٥) الغاوي : الضال

(٦) الناجعة : الناعة

(٧) اللاحب : الطريق الواضح المسلوك

(٨) الجائر : الظالم

ضلال الضال ، ومشت الأمة في غير منهج الصواب^(١) ،
فكانت العاقبة شراً .

وإن أضمحلت تلك^(٢) ، كانت البلاد نهياً مقسماً ؛ يصاح
في حجراتها^(٣) ، فلا يلقى للصائح مسكت^(٤) ؛ وبعث^(٥) في
أكفافها^(٦) ، فلا يرى للعائث من راد . وهناك الطامة^(٧)
الكبرى^(٨) ، التي تجعل أفراد الأمة عبيد العصا ، والبلية
العظمى التي نجتاح^(٩) مميزات تلك الأمة ، وتقضي على
حياتها الاستقلالية ، حتى تجعلها كأنفس الدابر .
هذا ، إن جئت الأمة 'جنباً معنوياً أو مادياً' .

وإن نهورت في الدفاع ، ففي الغالب أن يصيبها ما أصابها
في حال جنبها ؛ لأنها ، إن أقدمت على المصادمة ، قبل أن
تأخذ لأمراً هبته^(١٠) ، وللكفاح عدته ، كانت النتيجة شراً أيضاً

(١) المنهج : الطريق الواضح

(٢) أضمحلت : ذهبت وانحلت و تلاشت . والاشارة بذلك الى الشجاعة المادية

(٣) الحجرات : بفتح الحاء والجيم : النواحي . والمفرد حجرة بفتح الحاء . وسكون

الجيم . وقولهم : « دم عنك نهياً صبح في حجراته » هو مثل يضرب لمن ذهب من
ماله شيء . ثم ذهب ما هو أجل منه وأعظم

(٤) يماث : يفسد . والعائث : المفسد

(٥) الاكفاف : الجوانب والنواحي . والمفرد كنف ، بفتح الكاف والنون

(٦) الطامة : العصبة التي تظم ، اي : تقوى حتى تغتاب

(٧) نجتاح : تستأصل وتعمو

(٨) الأمة : العدة

فإن قيل : إن كان لابد من أحد أمرين : التهور
أو الجبن ، فأيهما خير الأمة ؟

فالجواب على هذا : أن ليس وراء الجبن خير قط ؛
وأما التهور فقد ينال صاحبه ما يريد .

والسلامة من ذلك أن توربني في الأمة روح الشجاعة ؛
فهي الحصن الحصين ^(١) والمعقل ^(٢) الأمين .

فبالشجاعة ، معشر الناشئين ، نخلفوا ، وبجلبها
أعتصموا ؛ ولا تدعوا لمرض الجبن ، وإبليس التهور ، إلى
قلوبكم سبيلاً ؛ فإن الجبن من البلادة ، والتهور من الحنق ،
والشجاعة من أخلاق المؤمنين .



(١) الحصين : المتين

(٢) المعقل : الملجأ

المصلحة المرسلة^(١)

دخل أعرابي^(٢) على هشام بن عبد الملك ، فقال :
 « يا أمير المؤمنين ، أتت علينا ثلاثة أعوام : فعام أذاب^(٣)
 الشَّحم ، وعام أكل اللحم ، وعام انتقى العظم^(٤) ؛ وعندكم
 فضول أموال^(٥) ، فإن نكُن لله فبُثُّوها في عباد الله^(٦) ، وإن
 نكُن للناس فلم نُحجب عنهم^(٧) ؟ ! وإن كانت لكم فتصدُّ قوا
 بها ، إن الله يُحبُّ المتصدِّقين » . قال هشام : « هل من
 حاجة غير هذه يا أعرابي ؟ » قال : « ما ضربتُ اليك أكبادَ
 الإبل^(٨) ، أدَّرِعُ الهجير^(٩) ، وأخوضُ الدجا^(١٠) ،
 لخاصةِ دون عام » .

فأمر له هشامُ بأموالٍ فُرِّقَت في الناس ، وأمرَ

(١) المصلحة المرسلة : هي التي يقصد بها النفع العام

(٢) انتقى العظم : أخرج فيه أي محه ، وهو ما في داخل العظم من الدسم

(٣) فضول الاموال : ما زاد منها عن الحاجة ؛ والمفرد فضل

(٤) بثوها : فرقوها

(٥) نحجب : نمنع

(٦) ضربت اليك أكباد الإبل : رحلت اليك من مكان بعيد

(٧) ادراع الهجير : البسه كالدرع — والهجير : شدة الحر

(٨) الدجا : سواد الليل . وادراع الهجير وخوض الدجا مجاز عن السير فيها

للأعرابيِ بِمالٍ فَرَّقَهُ في قومه .

إنَّ لهذا الأعرابيِّ ، أثيها النَّاشيُّ ، نفساً كبيرةً ، ووجداناً
صحيحاً ، وغيرةً على قومه وغيرِ قومه عظيمةً ؛ وذلك ما دَعَاهُ
ألاَّ تكون له الأثرةُ ^(١) بالخيرِ دونِ سواه ؛ لأنَّه عِلِمَ عِلِمَ
اليَقينِ أنَّ حياةَ الفردِ حياةَ السَّعادةِ ، وقومُهُ في الشَّقَاءِ ، لِهَيِّ
حياةِ الذُّلِّ وعيشةِ البُؤسِ ^(٢) .

كيفَ يَرْضَى العاقلُ أن يكون في بُجُوحَةٍ من الخيرِ ^(٣) ،
ومن يُحيط به من الناس في ضنكِ العيشِ ^(٤) ؟ !

بل كيفَ لا يَأْتَفُ ^(٥) أن يَرى الشَّقَاءَ قد عمَّ الأُمَّةَ ،
وهو لا يَعْجَبُ ^(٦) بما يَعْترِيها من الآلامِ ، ولا يَأْلُمُ لِمَا فِي
أَفْئِدَتِها من السِّهَامِ ^(٧) ؟ !

إنَّ ذلكَ لَمِنْ ضَعْفِ الشُّعُورِ ، وموتِ الوِجْدانِ ،
وفسادِ الأخلاقِ ! وإنَّ من يَرْضَى بذلك ، ولا يَشْعُرُ بما

(١) الأثرة : الاستئثار والاستبداد

(٢) البؤس : الشقاء والشدة

(٣) البجوحة : السعة ، ووسط الشيء

(٤) ضنك العيش : ضيقه

(٥) لا يَأْتَفُ : لا يستعفف

(٦) لا يَعْجَبُ : لا يَبْالِي

(٧) السهام : النبال ؛ والمفرد سهم

يُصِيبُ المجموع ، كَبُورٍ من البهائم ، التي لا تَعْرِفُ من الحياة
إِلَّا اللَّهْوَ وَالضَّمَامَ وَالشَّرَابَ .

وَأَكْثَرُ بَيِّمِيَّةٍ مِنْهُ ، وَأَشَدُّ وَطْأَةً ^(١) عَلَى الحياة
الاجتماعية ، مَنْ يَسْعَى لمصلحته الشخصية سَعْيَهَا ، وَهُوَ يَعْلَمُ
أَنَّ السَّهْمَ النَّافِذَ فِي صَمِيمِ المصلحة العامة ^(٢) ، والقضاء المبرم ^(٣)
عَلَى حياة المجموع !

إِنْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ عِبٌّ ^(٤) ثَقِيلٌ عَلَى المَجْتَمَعِ ،
وَمَرَضٌ وَبِيلٌ ^(٥) فِي جِسْمِ الاجْتِمَاعِ .

أَلَا يَذْهَبُ مَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الشَّاكَاةِ أَنْ عَمَلَهُ يَبُودُ
عَلَيْهِ بِالْخُسْرَانِ !

أَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ الامَّةِ الَّتِي سَعَى لِلضَّرَرِ بِهَا !
أَلَا يَفْهَمُ أَنَّ ضَرَرَ المجموعِ يَبُودُ عَلَى الْفَرْدِ !
أَمْ يَقْظُنُّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْ سُوءِ عَمَلِهِ ، مُتَقَصِّ ^(٦)
مِنْ عَاقِبَةِ شَرِّهِ !

(١) الوطأة : الضغطة والدوسة ، ويراد بها الشدة

(٢) الصميم : العظم الذي به قوام العضو

(٣) القضاء المبرم : الذي لا مَرَدَّ لَهُ

(٤) عب : حمل

(٥) وبيل : شديد

(٦) متقص : متخلص متعاص

إِنْ ظَنَّ ذَلِكَ ، فَقَدْ ظَنَّ بِاطِلَالٍ ، لِأَنَّا لَمْ نَرَ أَحَدًا
يُضِرُّ الْأُمَّةَ لِمَنْفَعَةِ نَفْسِهِ ، إِلَّا عَادَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ بِالضَّرَرِ الْمُبِينِ .
وَالْأَمْثَلُ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُخَصَّى .

أَلَا ، إِنْ هُنَاكَ قَوْمًا قَدْ ضَرَبَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَقِّ بَسُورًا ،
ظَاهِرُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَبَاطِنُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ^(١) ، فَهُمْ
يَعْمَلُونَ عَلَى خَضِّ شَوْكَةِ الْأُمَّةِ ^(٢) ، وَإِضَاعِ بَأْسِهَا ^(٣) ،
وَإِضَاعَةِ حَقِّهَا ، وَإِبْقَائِهَا فِي يَدَةِ الْخُمُولِ وَالْأَسْكَانَةِ ^(٤) .
وَمَا لَمْ فِي ذَلِكَ مِنْ فَائِدَةٍ ، وَلَيْسَ لَمْ مِنْ عَائِدَةٍ ^(٥) ، إِلَّا مَا يَنَالُهُمْ
مِنْ ثَنَاءِ حَاكِمٍ ، أَوْ بَشَاشَةٍ فِي وُجُوهِهِمْ ! وَإِنْ نَالَتْهُمْ فَائِدَةٌ
مَادِيَّةٌ ، فَهِيَ لَا تُسَمِّنُ وَلَا تُغْنِي مِنْ جُوعٍ . وَإِنَّمَا هُوَ التَّفَاقُ
وَالرَّيَاءُ ، يَدْفَعَانِ بِمِثْلِ هَوْلَاءِ النَّاسِ إِلَى تَحْيِيدِ أَعْمَالِ أَهْلِ
الْأَثَرَةِ ! وَلَيْتَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، بَلْ هُمْ
يَعْلَمُونَ كُلَّ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ وَرَاءَ إِسْقَاطِ الْأُمَّةِ سَاعُونَ ، وَنَحْوُ
مَا يُخِيلُ ذِكْرَهَا سَائِرُونَ ، وَعَلَى مَا يُمِيتُهَا عَامِلُونَ ، فَهُمْ

(١) مِنْ قِبَلِهِ : مِنْ جِهَتِهِ

(٢) خَضَّ الشَّوْكَهَ : كَسَرَهَا وَقَطَعَهَا

(٣) الْبَأْسُ : الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ

(٤) الْيَمَّةُ : الْمَنْزِلُ — وَالْأَسْكَانَةُ : الْمَسْكَنَةُ وَالذَّلُّ

(٥) الْعَائِدَةُ : الْمَنْفَعَةُ ، وَمَا يَوْصَلُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ مَعْرُوفٍ

الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ، وَأَوَائِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ^(١)
 فَتَجَنَّبُوا ، مَعَشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَعْمَالَهُمْ ، وَقُوا أَنْفُسَكُمْ
 مَعْرَةَ أَعْمَالِهِمْ ^(٢) ؛ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْفِرَاسِيِّينَ ^(٣) الْقَائِلِينَ :
 مَعَلَّتِي بِالْوَصْلِ ، وَالْمَوْتُ دُونَهُ ،
 إِذَا مِتُّ ظَلَمْنَا فَلَا تَزَلِ الْقَطْرُ
 بَلْ كُونُوا مِنَ الْمَعْرِتِينَ ^(٤) الْمُنَادِينَ :
 فَلَا هَطَلَتْ عَلَيَّ وَلَا بَارِضِي
 سَحَابٌ لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلَادَا ^(٥)
 تَكُونُوا مِمَّنْ هُدِيَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ^(٦) .

(١) البرية : المخلوقات

(٢) قوا : احتفظوا — والمرة : السوء والاثم ، والنجاة

(٣) المراد بالفرايين دعاة المنفعة الشخصية ، نسبة الى ابي فراس الحمداني الشاعر
 المشهور ابن عم سيف الدولة قائل هذا البيت

(٤) المراد بالعريين دعاة المنفعة العامة ، نسبة الى ابي العلاء العري الشاعر
 الفيلسوف العربي الشهير قائل هذا البيت

(٥) السحاب : الغمام المطر ، والمفرد سحابة — وتنتظم البلاد : تتمها وتنفذ
 الى جميع اقطارها

(٦) الصراط المستقيم : الطريق المعتدل الذي لا عوج فيه

الشرف

نَظَرْتُ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ ، وَتَقَبَّتُ عَنْ نُفُوسِهِمْ ؛ فَلَمْ
أَرَ نَفْسًا لَمْ تَدَّعِ الشَّرَفَ .

سَلِ الْعَالَمَ وَالْجَاهِلَ ، وَالصَّالِحَ وَالطَّالِحَ ، وَالْمُخْلِصَ
وَالْمُنَافِقَ ، وَكُلٌّ مِنْ أَنْصَفَ بِخَلَّةٍ ^(١) حَمِيدَةٍ أَوْ ذَمِيمَةٍ ،
يُحِبُّكَ أَتَاهُ شَرِيفُ النَّفْسِ .

لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَدَّعِيَ هَذِهِ الدَّعْوَى ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يُصَدِّقَهَا ؛ مَا لَمْ يُحَقِّقِ الْخَبَرَ الْخَيْرُ ^(٢) ؛
وِإِلَّا اخْتَلَطَ الْحَايِلُ ^(٣) بِالنَّابِلِ ^(٤) ، وَالْفَارِسُ بِالرَّاجِلِ ^(٥) .

يَزْعُمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ الشَّرَفَ إِنَّمَا هُوَ بِمَا عِنْدَ
الْإِنْسَانِ مِنَ الثَّرْوَةِ ؛ وَبِقَدْرِ مَا لَدَيْهِ مِنْهَا يَمْتَنَالُ عُجْبًا ^(٦) ،

(١) الخلَّة : الخلصة ؛ والجمع خلالات

(٢) الخبر بضم الخاء : الاختبار

(٣) الحايِل : العائد بالحيلة وهي الشبكة — والنابِل : الرامي : بالنبل

(٤) الفارس : الراكب الفرس — والراجل : الماشي على رجله

(٥) يمتنال : يتكبر ويتبخر

وَيَمِيسُ نَخَاراً^(١) . فهو يَحْتَقِرُ الضَّعْفَاءَ ، وَيَزْدَرِي الْفُقَرَاءَ .
ومن الغريب أن يَجِدَ هذا الشَّرِيفُ الْوَاهِمُ نُصْرَاءَ
يَرْفَعُونَ مِنْ مَقَامِهِ ، وَأَذِلَّاءَ يَسْجُدُونَ أَمَامَ قَدَمَيْهِ .
وَرُبَّمَا لَا يَنَالُهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ هَذَا مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى سَدِّ
عَوَازِهِمْ^(٢) ، وَإِصْلَاحِ مَعَاشِهِمْ . وَإِنَّمَا هُوَ التَّفَاقُ أَوْ الذُّلُّ .
وما ذلك إِلَّا مِنْ فُسَادٍ فِي تَرْبِيَّتِهِمْ وَفَرْصٍ فِي أَخْلَاقِهِمْ .

ولو يَعْلَمُ مِنْ يَدِّ عِي الشَّرَفِ — يَوْفُورِ ثَرَوَتِهِ^(٣) —
أَنَّهُ إِنْ يَتَلَبَّ لَهُ الدَّاهِرُ ظَهَرَ الْمَجْنُ^(٤) ، وَيُكْثِرُ لَهُ الزَّمَانُ
عَنْ نَابِهِ ، فَيُصْبِحُ فَقِيرًا بَعْدَ الْغِنَى ، مُحْتَاجًا بَعْدَ الثَّرْوَةِ ،
يَخْفُضُهُ^(٥) مَنْ كَانَ لَهُ رَافِعًا ، وَيُنْأَى عَنْهُ مَنْ كَانَ مِنْهُ دَانِيًا^(٦) ،
لَا قَلْعَ^(٧) عَنِ الْفَخَارِ ، وَلِبْسَ غَيْرِ هَذَا الدِّثَارِ^(٨) .
وَيَظُنُّ آخَرُونَ أَنَّ الشَّرَفَ هُوَ مَا أُوتِيَ^(٩) الْإِنْسَانُ مِنْ

(١) يميس : يتأبل حجاباً

(٢) العور : العاجة

(٣) الوفور : الكثرة

(٤) قلب له الدهر ظهر المجن : تغير عليه أو أساء إليه — والمجن : الترس .

وهذا مثل يضرب لمن ساءت حاله بعد الصلاح

(٥) يخفضه : جواب الشرط ، وهو : « ان يقلب »

(٦) يأن : يبعد — ودانياً : قريباً

(٧) لا قلع : جواب « لو »

(٨) الدثار : الثوب

(٩) أوتي : أعطى

قُوَّةٍ فِي بَدَنِهِ ، فَهُوَ يَحْتَقِرُ الضَّعْفَاءَ ، وَإِنْ كَانَ لَدَيْهِمْ مِنَ
الْعَقْلِ مَا يَطُولُونَ بِهِ الْجُوزَاءَ ^(١) .

وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ الْأَسَدَ أَجْرًا مِنْهُ وَأَقْوَى ، وَأَنَّ الْجَمَلَ
أَصْلَبُ عُدُوًّا ، وَأَضَخَمُ جِسْمًا ، وَأَرْوَعُ هَيْئَةً ^(٢) ، فَهُمَا
أَوَّلَى مِنْهُ بِذَلِكَ ، لَرَجَعَ عَمَّا يَدَّعِيهِ صَاحِرًا ، وَتَرَكَ الْفَخَارَ
بِالْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ .

وَيَخَالُ قَوْمٌ أَنَّ الشَّرَفَ فِي أَنْ يَشْفَى الْمَرءُ بِمَرَضِ
الْأُمَةِ ، وَيَحْيَا بِمَوْتِهَا ، وَيَقْوَى بِضَعْفِهَا ، وَيَرْتَفِعَ بِأَنْحِطَاتِهَا ،
وَيَعِزَّ بِذُلِّهَا ، وَيَمْجِدَ بِسَفَالَتِهَا ^(٣) .

وَلَوْ فَكَّرُوا قَلِيلًا لَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ ، وَفِي غُرُورِهِمْ ^(٤)
يَعْمَهُونَ ^(٥) . فَالشَّرِيفُ إِنَّمَا يَشْرَفُ بِشَرَفِ الْأُمَةِ ، وَيَحْيَا
بِحَيَاتِهَا ، فَإِنْ هَانَتْ هَانَ ، وَأَنْ مَاتَتْ مَاتَ .

إِنَّ الشَّرَفَ الصَّحِيحَ ، وَالْمَجْدَ الرَّجِيحَ ^(٦) ، لَا يَكُونَانِ

(١) يطولون بالون - والجوزاء : برج في السماء

(٢) أروع : أعجب وأفزع

(٣) يمجد : يشرف

(٤) الغرور : الباطل ، وتزيين الخطأ بما يوم انه صواب

(٥) يعمهون : يتعبدون ويترددون في الضلال

(٦) الرجيح : الرزين

إِلَّا لِمَنْ تَوَفَّرَتْ ^(١) فِيهِ الرُّوَّةُ ^(٢) وَالشَّهَامَةُ ^(٣)
 وَطَهَارَةُ الْوُجْدَانِ ، وَنَالَ قِسْطًا مِنَ الْعِلْمِ ، وَنَشَطَ الدَّاعِينَ
 إِلَيْهِ . فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مِمَّنْ طَابَتْ سِرِّيَّتُهُمْ ^(٤) ،
 وَزَكَتْ بَيْنَ النَّاسِ سِرِّيَّتُهُمْ ^(٥) .

هِيَئَاتَ ^(٦) أَنْ يَكُونَ شَرِيفًا مَاجِدًا ، مَنْ كَانَ جَاهِلًا
 سَفِيهًا ؛ يَزْدَرِي النُّبِيَاءَ ، وَلَا يُبَالِي الْعُقَلَاءَ ، وَلَا يَأْتِيهِ الْعُلَمَاءُ ^(٧) ،
 وَيَكْرَهُ لَأُمَّتِهِ الْأَرْتِقَاءَ .

لَيْسَ مِنَ الشَّرَافِ وَالْوَجَاهَةِ فِي شَيْءٍ مَنْ يَسْتَبِدُّ بِمِرَافِقِ
 الْأُمَّةِ ^(٨) ، وَيَسْتَأْثِرُ بِمَنَافِعِهَا ^(٩) ، وَيَحْقِرُ مَجْمُوعَهَا ^(١٠) ،

(١) توفرت : كثرت واتسعت

(٢) الروة : للتخوة ، وكمال الرجولية ، وهي مجموعة آداب تقانية تحمل
 مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجبل العادات

(٣) الشهامة : الحرص على مباشرة أمور عظيمة تستلزم الذكر الجليل

(٤) السرية : ما يُسرّه الانسان ويكتنه خيراً كان او شراً . وفلان طيب
 السرية : سليم القلب صافي النية ؛ والجمع سرائر

(٥) زكت : طابت وصلحت — والسيرة : ما يسير عليه الانسان من الاعمال

(٦) هيات : اسم فعل ماض بمعنى جسد ، مبني على الفتح ؛ ويجوز بناؤه
 على الكسر ايضاً

(٧) لا يأتيه : لا يكثر ولا يبالي

(٨) المرافق : المنافع

(٩) يستأثر بمنافعها : يسبقها ويغصبها قه دون غيره

(١٠) يحقر : يحقر

وَيَنْتَدِمُ كَيْفَ أَنْهَا ^(١) .

الشَّرِيفُ مَنْ يَخْدُمُ الْوَطَنَ خِدْمَةً صَحِيحَةً تُغْلِي
شَأْنَهُ ، وَتَرْفَعُ مِنْ مَكَانِهِ ، وَيَهْوُنُ ^(٢) فِي سَبِيلِ إِعْزَازِهِ ،
وَيَمُوتُ بُغْيَةً إِيَّاهُ .

هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْحَقُّ ، مَقْشَرِ النَّاشِئِينَ ، فَأَعْتَصِمُوا
بِحَبْلِهِ ^(٣) ؛ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ ، وَالْأَجْتُمُعُوا إِلَى حِصْنِهِ ؛ فَإِنَّهُ
حِصْنُ اللَّهِ الْحَصِينِ .

إِنَّ الْوَطَنَ يَدْعُوكُمْ إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَأَجِيبُوهُ ؛ وَالْأُمَّةَ
بَاسِطَةً إِلَيْكُمْ أَبْدِيَهَا ، فَمُدُّوا إِلَيْهَا أَسْبَابَ التُّهُؤُصِ ^(٤) ؛
وَأَعِينُوهَا مِنْكُمْ بِقُوَّةٍ ، تَحْيَ بِكُمْ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَتَحْرِقَ
إِلَى أَعْلَى عَلَّيْنِ ^(٥) .

•••••

(١) كيان الامر : ما يكون عليه

(٢) يهون : يذل

(٣) اعتصموا : تمسكوا

(٤) الاسباب : الوسائل ؛ وأصل معناها الحبال ؛ والمفرد سبب

(٥) أعلى عليين : أعلى المراتب — وهليون : اسم لأعلى الجنة

(١)

الرجعة والبقظة

للأُم ، كما للأفراد ، هجماتٌ وَيَنْظَاتٌ :

فتارةً تَتَغَلَّبُ عليها الأولى فتُخِلُّها ، وطوراً تهَيِّجُها ^(١)

الأخرى فتُثَبِّتُها . وقد كان هذان العاملان ، ولم يَزَالَا ، في
تَنَازُعٍ وَخِصَامٍ . ولم يَكُنْ ، ولا يَكُونُ ، بَيْنَهُمَا سَكِينَةٌ
وسلامٌ ؛ ذلكَ لأنهما ضِدَّانِ . والضِدَّانِ لا يجتمعان .

وإنَّ لهذه الغلبةِ أسباباً وَعِلَلًا ، رُبَّمَا اُخْتَلَفَتْ في الظاهر ،
ولكنَّها مُتَّفَقَةٌ من حيثُ الحقيقةُ ، إذ إنها تُنتِجُ نَتِيجَةً واحدةً ،
هي تَنْبِيَةُ الأُمَّةِ أو إِخْمَالُهَا . وَيَخْتَلِفُ التَّنْبِيُّ أو الخمولُ ، قُوَّةً
وَضَعْفًا ، بِاُخْتِلَافِ أسبابِها المؤثرةِ في نُفُوسِ الأُمِّ ، التي
أُنْشِرتَ فيها تلكَ العِلَالُ أو الأسبابُ .

أما الأسبابُ التي تَجْعَلُ الأُمَّةَ خاملةً ، مُتَقَهِّرةً ^(٢)
ساقطةً ، فهي كَثْرَةٌ :

(١) الهبة : النخلة وأصلها من المَجُوع ، وهو النوم ليلًا — والبقظة : الخبء ،

وهي بفتح الياء وسكون القاف ، أما في الجمع فتفتحان

(٢) تهيجها : تُنَحِّرُ كما

(٣) متقهرة : متأخرة راجعة إلى الخلف

منها : 'جُمُودُ' كثير من 'علماء الأديان' ، و'وقوفهم سداً'
 منيعاً أمامَ تيارِ الأُمّةِ المندفعةِ إلى التّقدّمِ ، لتَكُونَ من
 كُبرياتِ الأُممِ الحَيّةِ . ومنهم من يَتَّخِذُونَ الدِّينَ وسيلةً
 لِمآرِبِهِمْ ، و'شُرَكَاءُ' ^(١) يصطادون به عُقُولَ العَامّةِ ، لِيَرِجُوهُمْ عن
 نُصرةِ المُصلِحينَ ، و'مُتَابِعَةِ' 'علماء الكونِ والأجتماعِ' ، فيكفِرُونَ
 و'يُفَسِّقُونَ' ، و'يُجَلِّلُونَ' و'يُجَرِّمُونَ' ، و'رُبَّمَا دِمَاءُ الأبرارِ
 يُبَيِّحُونَ' ^(٢) . وما ذلك إِلَّا نَتِيجَةُ من نتائجِ جَهْلِهِمْ أو غُرُورِهِمْ
 أو ضَعْفِ أخلاقِهِمْ ، لو كانوا يَعْلَمُونَ .

ومنها أَسْتِبدادُ الرُّؤُوساءِ وأربابِ النُّفُوزِ ، و'ظَلْمُ' الحُكَّامِ
 و'اضْطِهَادُهُمْ' ^(٣) من يُريدُ أَنْ يَنْهَضَ بِالأُمّةِ من دَرَكَاتِ ^(٤)
 السَّفَالَةِ ، و'هُوَى' الجَهْلِ ^(٥) ، و'أَخَادِيدِ' الخَوْلِ ^(٦) ، إلى
 مُستَوَى ^(٧) الفضيلةِ والعلمِ والتَّسَنُّبِ .
 وهناك أسبابٌ أُخَرُ لَا يَسَعُ المَقَامُ ذِكْرَها . وهي ،

(١) الشرك : المصيدة

(٢) الأبرار : الأخيار المحسنون

(٣) الاضطهاد : القهر والايذاء

(٤) الدركات : جمع دَرَكة ، وهي : المنزلة الساقطة ؛ وهي في الأصل

لنازل كالدرجة للصاعد

(٥) الهوى : جمع هَوًى ، وهي الحفرة العميقة ، وما بين الجبلين

(٦) الأخاديد : جمع أخدود ، وهي : الحفرة المستطيلة في الأرض

(٧) المستوى : المستقر

مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَسْبَابِ ، نُخِلِ الْأُمَّةَ ، وَتَسْوُقُهَا إِلَى
مَجَازِرِ^(١) الْهَوَانِ وَالتَّأَخُّرِ .

فَإِنَّكَ هِيَ حَالَةُ الْأُمَّةِ فِي هَجْعَاتِهَا ، وَهَذِهِ هِيَ الْأَسْبَابُ
الَّتِي تَجْعَلُهَا قَيْدَ سُلْطَانِهَا^(٢) .

وَأَمَّا حَالَتُهَا فِي يَقْظَاتِهَا ، فَهِيَ عَلَى غَيْرِ مَا تَقَدَّمَ ، لِأَنَّهَا
تَكُونُ ، إِذَا ذَاكَ ، أُمَّةً رَفِيعَةَ الشَّانِ ، سَامِيَةَ الْمَقَامِ ، عَزِيزَةَ
الْجَانِبِ ، مَنِيعَةَ الْحَمَى^(٣) ، جَهْوَريَّةَ الصَّوْتِ^(٤) ، مُتَمَدِّدَةَ السُّلْطَةِ
وَلَا تَكُونُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَّا إِذَا تَقَدَّمَ مِنْهَا أَسْبَابُ
تَوَصُّلِهَا إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا .

وَإِنَّ هَذِهِ الْأَسْبَابَ كَثِيرَةٌ أَيْضًا :

مِنْهَا : بُؤُغٌ^(٥) أَفْرَادٍ فِي الْأُمَّةِ ، يُؤَلِّمُهُمْ بَقَاةَ أُمَّتِهِمْ
فِي الْجَهْلِ وَالْخُمُولِ وَالسُّقُوطِ ، فَيُبْثِنُونَ^(٦) فِي الْأُمَّةِ رُوحَ الْهَمَّةِ
وَالنَّفَرَةِ مِمَّا يَضُرُّ بِهَا ، وَيُوقِدُونَ فِيهَا نَارَ الْعَزِيمَةِ وَالْأَسْتِعْدَادِ

(١) المَجازِرُ : جمع مجزِر ، وهو مكان الجزر ، أي الذبح

(٢) القيد : حبس ونحوه يجعل في رجل الدابة يمسكها . وفلان قيد فلان ، أي :
هو في قبضته — والسلطان : السطة والتسلط

(٣) الحمى : ما يجمع به الإنسان من شيء

(٤) جهورية الصوت : مرتفعته ، نسبة إلى الجهورية . والجهور : العالي

الصوت كالجهوري

(٥) البوغ : الخروج والظهور في عظمة وشأن . والثابغة : العظيم الشأن

(٦) يبثنون : يبلشرون . والبث : النثر

لِتَعَالَى الْأُمُور ؛ حَتَّى إِذَا نَهَيَّا لَهُمْ مَا يَرْيَدُونَ ، حَمَلُوا
 الْحُكُومَةَ وَرَجَالَ الْأُسْتَبْدَادِ بِالْأَمْرِ - مِنَ الْعُظَمَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ
 وَأَرْبَابِ النُّفُوزِ - عَلَى تَغْيِيرِ الْحَالَةِ الْأَجْتَمَاعِيَةِ الْفَاسِدَةِ ،
 وَأُسْتَبْدَالِ غَيْرِهَا بِهَا . وَبِذَلِكَ تُزَالُ الْبِرَازِخُ^(١) الَّتِي تَحُولُ
 دُونَ تَمَرُّقِ الْأُمَّةِ .

وَمَتَى تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ ، أَدْرَكُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَجْتَازُوا^(٢) فِي
 سَبِيلِ الْإِصْلَاحِ عَقَبَةَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا سَيَعْتَرِضُهُمْ
 مِنَ الْعَقَبَاتِ ؛ لِأَنَّ إِزَالََةَ الظُّلْمِ وَالْأُسْتَبْدَادِ ، وَتَغْيِيرَ نِظَامِ
 الْأَجْتِمَاعِ ، لَا يَكْفِيَانِ لِرَفْعِ الْأُمَّةِ ، إِنْ بَقِيَتْ جَاهِلَةٌ خَامِلَةٌ ؛
 فَإِنَّ جَهْلَ الْأُمَّةِ أَشَدُّ وَطْأَةً^(٣) مِنْ ظُلْمِ الْحُكُومَةِ ، وَإِنْ
 خُمُوَهَا عَقَبَةُ كَوُودٍ^(٤) فِي سَبِيلِ جَعْلِهَا أُمَّةً حَيَّةً يُشَارُ
 إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ^(٥) . وَهَذِهِ الْعَقَبَةُ أَشَدُّ أَعْتِرَاضًا مِنْ عَقَبَاتِ
 الْمُسْتَبْدِينَ ، وَرَجَالِ الدِّينِ الْجَامِدِينَ .

وَمَتَى أَدْرَكَ النَّابِغُونَ مِنَ الْأُمَّةِ ذَلِكَ فَكَّرُوا فِي
 الْوَسَائِلِ الَّتِي تُزِيلُ حِجَابَ الْخَمُولِ وَالْجَهْلِ عَنْهَا ، وَمَا هِيَ

(١) البرازخ : الحواجز ؛ والمفرد برزخ

(٢) اجتازوا : قطعوا

(٣) الوطأة : الشدة ، والضعفة ، والدوسة

(٤) العقبة : الطريق في الجبل . والعقبة الكوود : الشاقة الصعبة المرتقى

(٥) البنان : الاصابع او اطرافها ؛ والمفرد بنانة

إلا إيقاد نيران الثورة الأدبية^(١) ، التي تلتهم^(٢) أخلاقها
الفاسدة ، وعاداتها الضارة .

ولا دواء أنجع^(٣) في هذه الثورة من أنتشار الجرائد
الحرّة الصادقة ، التي لا تتبع الشرف والوجدان بدريهمات
ياكلها أصحابها ظلماً وسحتاً^(٤) . ومن ذلك أيضاً أنتشار الكتب
النافعة بين طبقات الأمة . وربما كان لها في بعض الأحيان
تأثير عظيم أشد من تأثير الجرائد .

فعلى المفكرين أن يكثروا من نشر الكتب النافعة ،
التي توقظ شعور الأمة ، وتنبيهها من هجماتها ، وأن يعضدوا
الصحائف الوطنية الصادقة ، والمجلات المفيدة النافعة ، وذلك
بتزغيب الأمة فيها ، والسعي لتكثير سواد من يبتاعها^(٥) ،
لتسير الأمة في سبيل المجد ، وتسلّك طريق السعادة .

فتنبهوا ، رعاكم الله ، معشر الناشئين ، ولا تكونوا من
الحاملين ، وأقرءوا من الصحف أشدها وطنية ، ومن الكتب
أسمها موضوعاً وأسلوباً ، تكونوا من السعداء .

(١) اقرأ العظة الآتية (٢) تلتهم : تبتلع

(٣) أنجع : أنفع

(٤) السحت : الحرام ، أو ما خبت وفج من المكاسب فترم عنه المار ، كالذي
يؤخذ رشوة أو خداهاً أو نحوهما

(٥) السواد : الجماعة ، والعدد الكثير - ويبتاعها : يشتريها

التورة الادبية

الأمُّ في حال مرَضها الاجتماعي ، تكونُ حاجتُها الى
إصلاح ما فسدَ فيها من الأخلاق ، وتقويم ما أعوجَّ من
فُرُوع الاجتماع ، أكثرَ من حاجة المريض الى الدواء .

يَمْرَضُ إنسانٌ ، فَلَجَأُ أَهْلُهُ وَذَوُوهُ الى طَبيبٍ يَثْقُونُ
به ؛ فَيَصِفُ له من الأدوية ما يراه مُفيداً له .

وَتَمْرَضُ الأمةُ جَمْعاً ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ، فَلَا
تَلْجَأُ الى طَبيبِ الاجتماعِ لِيُدَاوِيَ أَمْرَاضَهَا ؛ وَيُخَفِّفَ
أَوْصَابَهَا ^(١) ، وَيُخَلِّصَهَا مِمَّا أَصَابَهَا .

وذلك ناشئٌ من أحد أمرين : إمَّا جَهْلُهَا بِدَائِهَا ،
فَتَظُنُّ — وهي على وَشك الموتِ بما يَفْتِكُ فيها من الداء —
أَنَّهَا سليمةٌ من الأمراض ، نَقِيَّةٌ من الأَوْصَابِ ؛ وإمَّا أَنَّهَا
تَدْرِي كُلَّ الدَّرَايَةِ ما فيها من الآلام ، وما يَتَتَوَرَّها من
الأدواء ^(٢) ؛ غيرَ أَنَّهَا لَا ثِقَّةَ لها بما يُحِيطُ بها من الأَطْبَاءِ ؛

(١) الأوصاب : الأمراض ؛ والمرد وصب ، بفتح الواو والصاد

(٢) يتتورها : ينزل بها مرة بعد أخرى — والأدواء : جمع داء

أَوْ أَنَّهَا اعْتَرَاهَا^(١) مَا مَنَعَهَا التَّفَكُّرَ فِي طَلَبِ الطَّبِيبِ .

وَتُرْسَلُ الْأُمَّةُ كَثِيرًا مِنْ أُنْبَاءِهَا إِلَى مَدَارِسِ الطَّبِّ ،
لِيَطْبُؤُوا^(٢) ، بَعْدَ تَعْلُمِهِمْ ، أَجْسَامَهَا . وَلَا تَبْعَثُ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ ،
إِلَّا الْقَلِيلَ النَّادِرَ ، إِلَى مَدَارِسِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَجْتِمَاعِ ،
لِيُدَاوُوا ، بَعْدَ تَرْبِيَتِهِمْ ، أَخْلَاقَهَا ، وَهَذَا بَوَالِغُ نِظَامِ أَجْتِمَاعِهَا .
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ فُسَادِ النُّفُوسِ ، الَّتِي تُقَدِّمُ الْمَادَّيَّاتِ
عَلَى الْأَدْبِيَّاتِ .

الْأَمَّةُ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْقِسْمَيْنِ مِنْ هَوْلَاءِ الْمُتَعَلِّدِينَ ؛ وَلَكِنْ
حَاجَتَهَا إِلَى أَطِبَّاءِ الْأَجْتِمَاعِ ، وَحُكَمَاءِ الْأَخْلَاقِ ، أَكْثَرُ
مِنْ حَاجَتِهَا إِلَى مَنْ يُدَاوِي أَجْسَامَهَا .

إِنْ مَرَضَتِ الْأَمَّةُ مَرَضًا وَبِيلًا قَتَاكَ ، فَذَلِكَ لَا يَنْضِي
إِلَّا عَلَى حَيَاةِ عَشْرَةٍ فِي الْأَلْفِ مِنْ مَجْمُوعِهَا ؛ ثُمَّ يَكُونُ
الدَّاءُ دَوَاءً . وَإِنْ مَرَضَتْ مَرَضًا أَجْتِمَاعِيًّا قَضَى مَرَضُهَا عَلَى
تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ . وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَنَّ
الْقَضَاءَ عَلَى حَيَاةِ الْأَفْرَادِ أَسْهَلُ مِنَ الْقَضَاءِ عَلَى حَيَاةِ الْمَجْمُوعِ .

وَبَعْدُ ، فَلَا يُمَكِّنُ شَعْبًا مِنَ الشُّعُوبِ أَنْ يَنْهَضَ ، إِلَّا

(١) اعترأها : أصابها

(٢) ليطبوا : ليداووا . طبه يطبه : داواه ؛ وهو من باب : شدء يشدء

إِذَا كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ ^(١) مِنْ يُدَاوِيهِ أَخْلَاقُهُ ، وَيَدْفَعُهُ
إِلَى التَّرْقِي ، وَيَهَيِّجُ مِنْهُ عَاطِفَةَ التَّنْبِيهِ ، وَيُثِيرُ فِيهِ
كَامِنَ الْمَعَالِي ^(٢) :

وَيَقْدَرُ مَا لَدَيْهِ مِنْ هَوَلاءِ الْمُدَاوِينَ يَكُونُ مَقْدَارُ
تَنْبِيهِهِ أَوْ خُمُولِهِ .

الْأُمَمُ لَا تَنْهَضُ إِلَّا بِتَرْقِيَةِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ،
وَأَسْتِصَالِ ^(٣) كُلِّ خُلُقٍ فَاسِدٍ مِنْ نُفُوسِهَا ، وَتَهْذِيبِ نِظَامِ
اجْتِمَاعِهَا . وَمَتَى تَمَّ لَهَا ذَلِكَ هَانَ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَهُ : كَتَغْيِيرِ
أَنْظِمَتِهَا ^(٤) السِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ ^(٥) وَالْعُمُرَانِيَّةِ

وَلَا يُمَكِّنُهَا تَنْمِيَةُ الْأَخْلَاقِ ^(٦) الْعَالِيَةِ ، وَإِصْلَاحُ
مَا اخْتَلَّ مِنْ قَوَاعِدِ الْجَمَاعِ ، إِلَّا بِالثَّوْرَةِ الْأَدَبِيَّةِ ، الَّتِي
يَهَيِّجُهَا فِي نُفُوسِ الْأُمَّةِ أَوْلَئِكَ الْمُصْلِحُونَ مِنْ أَطْبَاءِ الْجَمَاعِ ،
وَالْأَخْلَاقِ ، رُؤُوداً وَرُؤِيداً ، حَتَّى 'تَسْتَأْصِلَ شَأْفَاتُ' ^(٧)

(١) بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ : فِي وَسْطِهِ

(٢) يَهَيِّجُ وَيُثِيرُ : يَجْرِّكُ — وَكَامِنٌ : مُخْفِيٌّ

(٣) الْأَسْتِصَالُ : قَلْعُ الشَيْءِ مِنْ أَسْوَاحِهِ

(٤) الْأَنْظِمَةُ جَمْعُ نِظَامٍ ، وَيَجْمَعُ أَيْضاً عَلَى أَتَافِيمٍ وَنُظُمٍ « بَضْعُ النَوَلِ وَالظَّاءِ »

(٥) السِّيَاسَةُ : عِلْمُ تَدْبِيرِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ وَالرَّعِيَّةِ — وَالْاِقْتِصَادُ : عِلْمُ تَنْمِيَةِ الثَّرْوَةِ

(٦) تَنْمِيَةُ الْاِخْلَاقِ : تَرْبِيَتُهَا لِتَنْمُو غَاءٍ حَسَناً

(٧) الشَّافَاتُ : الْأَصُولُ ، وَالْمُفْرَدُ شَافَةٌ

الأخلاق الفاسدة ، فَيَحُلَّ مَحَلَّهَا صَالِحُ الْعَادَاتِ .
 الثَّورَةُ الْأَدِيَّةُ : قِيَامُ أَفْرَادٍ مِنَ الْأُمَّةِ - حَسُنَتْ
 أَخْلَاقُهُمْ ، وَصَفَتْ سَرَائِرُهُمْ ، وَزَكَتْ أَعْرَاقُهُمْ ^(١) - لِيُغَيِّرُوا
 فِيهَا حَالَتَهَا الْأَجْتِمَاعِيَّةَ وَالْخُلُقِيَّةَ . فَيُهَيِّبُونَ ^(٢) بِهَا لِتَنْهَضَ ،
 وَيُثَبِّرُوهَا لِتَتْرُكَ مَا أَلْقَتْهُ مِنَ الْعَادَاتِ الضَّارَّةِ ، وَالْأَخْلَاقِ
 الْمُنْحَطَّةِ . وَلَا يَزَالُونَ يَهَيِّبُونَ وَيَتَعَبُونَ ، وَيَسْعَوْنَ
 وَيَنْصَبُونَ ^(٣) ، حَتَّى يَبْنَالُوا مَا يُرِيدُونَ .
 وَالشَّرْطُ كُلُّ الشَّرْطِ ، أَنْ تَكُونَ الْبِدَاءُ ^(٤) بِذَلِكَ
 حَسَبَ مُقْتَضَى الْحَالِ . حَتَّى إِذَا أُسْتَعِدَّتْ الْأُمَّةُ لِمَا هُوَ
 أَرْقَى أَفْرَغُوا مَا لَدَيْهِمْ مِنْ جَعَبَاتِ الْأَفْكَارِ الصَّحِيحَةِ ،
 وَكِسَانَاتِ ^(٥) الْآرَاءِ الصَّائِبَةِ . وَإِلَّا كَانَتْ إِثَارَتُهَا شَرًّا مِنْ
 بَقَائِهَا عَلَى حَالَتِهَا الْقَدِيمَةِ .

وَلْيَكُنْ إِقْدَامُهُمْ عَلَى الْعَمَلِ كإِقْدَامِ الطَّبِيبِ عَلَى مُدَاوَاةِ
 الْمَرِيضِ : لَا يَصِفُ لَهُ الطَّعَامَ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَنَالَ مِنَ الصِّحَّةِ
 مَنَالًا يُمَكِّنُهُ مِنْ تَنَاوُلِهِ . حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشَدَّهُ مِنَ الصِّحَّةِ ،

(١) زَكَتْ : طَابَتْ - وَالْأَعْرَاقُ : الْأَصُولُ ؛ وَالْمُفْرَدُ عِرْقٌ

(٢) يَهَيِّبُونَ بِهَا : يَصْرِخُونَ بِهَا وَيُزْجِرُونَهَا

(٣) يَنْصَبُونَ : يَتَعَبُونَ

(٤) الْبِدَاءُ : الْإِبْتِدَاءُ

(٥) الْجَمْعُ وَالْكِسَانَةُ : الرِّعَاءُ ؛ وَاصْلُهَا : الرِّعَاءُ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ السَّهَامُ

جَعَلَهُ حُرًّا فِي تَنَاوُلِ مَا لَا يَضُرُّ بِالْأَصْحَاءِ . فَلْيَتَنَبَّهْ إِلَى
ذَلِكَ الْمُرْشِدُونَ الْمُصْلِحُونَ .

الْأُمَّةُ فِي حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى الثَّوْرَةِ الْأَدْبِيَّةِ ، لِإِصْلَاحِ
حَالِهَا ، وَالنُّهُوضِ بِهَا مِنْ وَهْدَةِ الْأَنْحِطَاطِ ^(١) . وَأَنْتُمْ ، مَعْشَرَ
النَّاشِئِينَ ، أُولَئِكَ الْأَطْبَاءِ الْأَجْتِمَاعِيِّينَ . وَسَيَكُونُ يَدُكُمْ
أَمْرُ الْأُمَّةِ . وَسَتُوكَلُّ إِلَيْكُمْ إِثَارَةُ أَفْكَارِهَا ، وَبَثُّ ^(٢)
الْأَخْلَاقِ الصَّحِيحَةِ فِيهَا .

فَكُونُوا ، مِنْذُ الْآنَ ، رِجَالًا حَازِمِينَ . وَضَعُوا
نُصْبَ ^(٣) عِيُونِكُمْ أَنْكُمْ سَتَكُونُونَ إِطْبَاءَهَا النَّاصِحِينَ ، وَمُرْشِدِيهَا
الْمَخْلَصِينَ ، وَوَعَاظَهَا الْعَامِلِينَ ، تَكُنْ لَكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

.....

(١) الوعدة : العفرة

(٢) البث : النشر

(٣) نصب عيونكم : اماما ، والنصب : الشيء المنسوب ، وهذا المعنى

نصب عيني ، أي قائم في نظري

الامة والحكومة

شأنُ الأممِ شأنُ الأفراد : فالقرْدُ المُعْتَمِدُ على غيره -
 لِيَكْفِيَهُ ما يحتاج اليه - هو فردٌ ساقطٌ سافلٌ ضعيفٌ ؛
 فكذلك الأمةُ التي لا تُغْنِي إِشْوَثُونَ نَفْسِهَا^(١) ، ولا تسعى
 في سبيل الجِدِّ - لتتالَ قَصَبٌ - السبقُ هي أمةٌ مُنْحَطَّةٌ
 سافلةٌ ، ليست من الحرِّيَّةِ في شيء ؛ بل هي مُقَيَّدَةٌ
 بسلاسلِ العبوديَّةِ .

الحكومةُ تُريدُ من الأمة أن تكونَ قَيِّدَ أُمُورِها ،
 لا تَحِيدُ عن خُطَّتِها ، التي تَرُسمُها لها ، قَدَرٌ شَبْرٌ . فإن
 اجَّاءت الأمةُ الى الحكومة ، وطلبتَ مَعُونَتَها في كلِّ أمرٍ من
 أُمُورِها ، فلا بُدَّ أن تُقَيِّدَ نَفْسَها بِقُيُودِها ؛ وتَجْريَ في
 حَيَاتِها الاجتماعيَّةِ والعِلْمِيَّةِ حَسَبَ رَغَائِبِها . ولا ريبَ أن
 الحكومةَ إنما تُكَوِّنُ رجالاً يَصْلُحُونَ لِإِخْدَامِها ؛ لا رجالاً
 يَصْلُحُونَ لأن يَقُومُوا بما تحتاجُ اليه الأمة . وإِن تَبَغَّ

(١) لا تغني : لا تنفي

في مدارسها أو مصالحها رجالٌ شُعبيون^(١) - وذلك قليلٌ نادرٌ - فهم ممن تَعَلَّمُوا الحياةَ الاجتماعيَّةَ الوطنيَّةَ من يَدَيْهِمْ^(٢) ، لا من أَسَاتِذَتِهِمْ ، ولا من الكُتُبِ التي وُضِعَتْ لِتَعْلِيمِهِمْ .

فإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَكُونَ أُمَّةً صَالِحَةً رَاقِيَةً ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَسْعَى لِتَرْقِيَةِ الْأُمَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْأُمَّةِ ، لا مِنْ طَرِيقِ الْحُكُومَةِ ، بِمَا نَبْذُلُهُ مِنَ الْهِمَّةِ فِي تِلْكَ السَّبِيلِ ؛ كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي الْأُمَمِ الْمُتَعَمِّدَةِ الْيَوْمَ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُؤَسِّسُ الْمَدَارِسَ ، وَتُنْشِئُ الْمَعَامِلَ وَالْمَصَانِعَ^(٣) ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَطْلُبَ مِنْ حُكُومَاتِهَا أَنْ تُمَدَّ إِلَيْهَا يَدُ الْمَعُونَةِ . وَلَوْ فَعَلَتْ ذَلِكَ لَطَلَّتْ مُتَأَخِّرَةً كَمَا ظَلَمْنَا .

أَيُّهُ أُمَّةٌ اعْتَمَدَتْ فِي إِِنْجَاحِ مَقَاصِدِهَا عَلَى الْحُكُومَةِ ، فَهِيَ عَالَةٌ عَلَيْهَا^(٤) ، مَقْلُوبَةٌ بِأَغْلَالِهَا^(٥) . وَمَتَى كَانَتِ الْأُمَّةُ مُقَيَّدَةً مُحْتَاجَةً إِلَى غَيْرِهَا فَلَيْسَتْ بِأُمَّةٍ حُرَّةٍ . وَإِذَا كَانَتْ غَيْرَ حُرَّةٍ ، فَمِنْ أَيْنَ لَهَا أَنْ تَرُقِيَ ؟ وَأَتَى لَهَا أَنْ تَنْهَضَ ؟ !

(١) شعبيون : يعملون لحياة الشعب

(٢) من يديهم : من محيطهم الذي فيه يعيشون

(٣) المصانع : جمع مصنع ، وهو دار الصناعة

(٤) العالة : العيال ؛ والمفرد عيل (بفتح العين وتشديد الياء المكسورة) وهو

من يجب النفقة عليه من زوجة وولد واتباع

(٥) مقلوبة : مقيدة - والاغلال : القيود

الحكومة 'جزء' من الأمة أختص بأعمال خاصة . وهو يستمد دائماً قوته منها ، وعليها يعتمد في كل شأن من الشؤون ؛ لأن القليل يعتمد على الكثير ، وما سمعنا أن كثيراً اعتمد على قليل ، إلا إذا كان ضعيفاً خاملاً جباناً .

إن أرادت الأمة أن تكون لها حكومة سالمة راقية ، فعليها أن تصلح هي أولاً ، وتنهض للأخذ بأسباب الترقى والقلاح . حتى إذا ما صلحت وترقت ، وترقت معها الحكومة ؛ لأن الجزء تابع للكل ؛ ولأن الحكومة هي صورة الأمة ومirrorها . فإن كانت الأمة سالمة فهي سالمة ، والعكس بالعكس . فلو فرطنا صلاح الحكومة وفساد الأمة ، لا تلبث الحكومة أن تفسد . وإن كانت الأمة سالمة والحكومة فاسدة ، فلا تترك هذه أن تصلح وتتبع الأمة في سيرها .

و'خلاصة القول أن الحكومة تابعة للأمة رقيقاً وأنحطاطاً ، وعلماً وجهلاً ، وصلاحاً وفساداً . فعلى أن لا نعتمد إلا على أنفسنا ، ولا نأمل إلا ما نبذله من الجِدِّ والهمة . هذا ، إذا أردنا أن نكون قوماً صالحين ، لتكون لنا حكومة سالمة .

فإليكم أبسطُ يدَ الرجاءِ ، أثيها الناشئون ، أن تجعلوا
 هدَفكم ^(١) خدمةَ الأمةِ خدمةً صادقةً ، والسَّعيَ في إنجاحها
 وترقيتها ؛ حتى يعودَ إليها مجدُها الدائر ^(٢) ، وشرَفُها
 الغابر ^(٣) ؛ فتُكوِّنَ حكومةً تُناسِبُها رُقياً اجتماعياً
 وعِلمياً واقتصادياً وعمرانياً . وبذلك تكونون وطنيين حقاً .

حَقَّقَ اللهُ فيكمُ الرجاءَ ؛ وحَاطَكم بِبعضته ونوفيقه ؛
 إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

(١) الهدف : الغرض الذي يوضع ليرى إليه

(٢) الدائر : الباقي المعهود

(٣) الغابر : الماضي

(١)

الفُرور

ضَعُافُ النُّفُوسِ يَرَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُمْ فِيهَا :
يَرَوْنَ أَنََّّهُمْ عَظَمَاءُ ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ أَسْبَابِهَا ^(٢) تَقِيرٌ
وَلَا قِطْمِيرٌ ^(٣) .

وَيَرَوْنَ أَنََّّهُمْ عُلَمَاءُ ، وَالْجَهْلُ قَدْ خَيَّمٌ عَلَى نَفُوسِهِمْ ،
كَالضَّبَابِ فِي يَوْمٍ دَاجِنٍ ^(٤) ، أَلْبَسَ الْأَرْضَ وَأَقْطَارَ السَّمَاءِ
أَرْدِيَةَ الْعَمَاءِ ^(٥) .

وَيَرَوْنَ أَنََّّهُمْ أَنْاسِيٌّ ^(٦) ، وَالْمَلَائِكَةُ ^(٧) الْحَيَوَانِيَّةُ قَدْ
مَلَكَتْ أَعْيُنَهُ نَفُوسِهِمْ ^(٨) ، وَأَخَذَتْ بِأَزِمَةٍ أَفْئِدَتِهِمْ ^(٩) ،
وَسَبَطَتْ عَلَى طِبَاعِهِمْ ، وَتَرَكَتْ سَبَاعَ شَهَوَاتِهِمْ تَفْتَرِسُ

(١) الفرور : ان يرى الانسان في نفسه من الفضائل ما ليس فيها

(٢) الضمير في اسبابها يعود الى العظمة المفهومة من العظماء

(٣) التقير : الثقرة في ظهر بذرة التمر ونحوه — والقطمير : القشرة الرقيقة بين البذرة والثمرة . ليس له تقير ولا قطمير : ليس له شيء

(٤) الضباب : السحاب يغطي الارض كال دخان — ويوم داجن : كثير الغمام

(٥) أقطار السماء : نواحيها وجوانبها — والاردية : جمع رداء — والعماء :

السحاب الكثيف

(٦) الاناسي : الناس ، والمفرد انسان

(٧) الملائكة : جمع ملكة ، وهي الصفة الراسخة في النفس

(٨) الالهة : جمع عنان ، وهو سير اللجاء الذي تمسك به الدابة

(٩) الازمة : جمع زمام وهو العنان — والافئدة : القلوب ، ومفردا فؤاد

عقولهم ، وَتَمَزَّقُوا رِداءَ إنسانيتهم . فهم في الضلال يَهيمون ^(١) ؛ وفي ظلمات الفسوق والعصيان يَتَسَكَّمون ^(٢) .
وما ذلك كله إلا من غرور النفس وطمعها بالباطل .
وهو 'خلق سافل' ، يُودِي بما في النفوس من ذمائم الفضيلة ^(٣) ،
وَيَقْضِي على ما فيها من أمل السعادة ، وَيَنْحُو ما لِأصحابها من
بَقِيَّةِ الحُرْمَةِ في نفوس العقلاء .

وَمِمَّا 'يُؤَثِّرُ' في النفس تأثيراً غير صالح ، أَنَّ طائفة من
الشبان — الذين هم عماد الأمة ، ودعامة حياتها القابلة ، ورُكنُ
سعادتها في الآتي — قد أصابهم نصيبٌ وافرٌ من هذا الخلق
— 'خلق الغرور الغرور' ^(٤) — ، وَمرُّنوا على هذه العادة ^(٥) ،
حتى صارت لهم طبيعةٌ يَضْعُبُ استئصالها ^(٦) ، لأنها استأصلت
في نفوسهم ^(٧) ، وَتَمَكَّنَتْ 'جذورها' من قلوبهم ^(٨) . فنفرت
منهم ، بسبب ذلك ، الأمة ، وجفاهم من كان منهم قريباً ،
وَأَجْتَوَاهُمْ من كان لهم صديقاً حميماً ^(٩) .

(١) يهيمون : يذهبون لا يدرون أين يتوجهون

(٢) يتسكَّمون : يتخبطون لا يهتدون لوجههم

(٣) يودي به : يهلكه ويذهب — والذمائم : بقية الروح

(٤) الغرور بفتح الغين : ما يغرُّ الإنسان ويدفعه الى الباطل

(٥) مرُّنوا : اعتادوا (٦) استئصالها : زعها

(٧) استأصلت : ثبتت أصولها وتمكنت

(٨) جذورها : أصولها

(٩) اجتواهم : كرههم — والحميم : الصديق كل الصديق

يَدْرُسُ أَحَدُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَسَائِلَ قَلِيلَةً لَمْ يُتَقَنَّ دَرَسَهَا ، وَلَمْ يُحْكَمْ^(١) فَهَيْمَهَا ، فَيُرِيكَ أَنَّهُ عَلَامَةُ الزَّمَانِ ، وَفِيلْسُوفُ الْوَقْتِ .
وَيَقْرَأُ قَلِيلًا مِنَ الْأَدَبِ أَوْ التَّارِيخِ ، فَيَضَعُ نَفْسَهُ
مَوْضِعَ كِبَارِ الْأُدْبَاءِ .

وَيَنْظِمُ كَلَامًا عَلَى وَزَانِ الْبُحُورِ الْمَعْلُومَةِ ، أَوْ يَكْتُبُ
سُطُورًا يَنْشُرُهَا فِي الْجَرَائِدِ ، وَلَيْسَ فِي نَظْمِهِ شَيْءٌ مِنَ الشِّعْرِ ،
وَلَا فِي كِتَابَتِهِ مَغْزًى تَصْبُو إِلَيْهِ النَّفْسُ^(٢) . وَأَكْثَرُ
مَا يُسَيِّيه شِعْرًا أَوْ أُنْشَاءً ، يَفِيضُ خَطَأً مَعْنَوِيًّا أَوْ لَفْظِيًّا ، أَوْ
يَكُونُ مَنَلُوهَا مَعًا ، وَهُوَ - مَعَ هَذَا - يَدْعِي ، غَيْرَ
خَجَلٍ ، أَنَّهُ أَكْتُبُ كُتَابَ الْعَصْرِ ، وَأَشْعُرُ شُعْرَاءَ الزَّمَانِ ،
لَا يُطَاوِلُهُ^(٣) فِي ذَلِكَ مُطَاوِلٌ ، وَلَا بُنَازِلُهُ مُنَازِلٌ .

وَيَتَصَدَّرُ قَوْمٌ فِي الْمَجَالِسِ الْعَامَّةِ وَالنَّدَوَاتِ الْخَاصَّةِ^(٤) ،
فَيَتَكَلَّمُونَ فِي كُلِّ مَوْضُوعٍ ، وَيَهَيِّمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ . فَتَارَةً
تَرَاهُمْ مُحَلِّقِينَ فِي السَّمَاءِ ، وَطَوَّارًا غَائِرِينَ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ ،
وَأَوَّانَةً يَبْحَثُونَ فِي تَارِيخِ الْأُمَمِ ، مَا مَضَى مِنْهَا وَمَا حَضَرَ ، ثُمَّ
يَنْتَقِلُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى عُلُومِ الْأَدَبِ وَتَارِيخِهَا ، ثُمَّ إِلَى عُلُومِ

(٢) تصبو : تميل

(١) لم يحكم : لم يقن

(٣) لا يطاوله : لا يفاخره

(٤) الندوات : جمع ندوة وهي المجلس

الدِّينَ وَتَفَارِيعَهَا ، ثُمَّ إِلَى الْفَلَسَفَةِ بِأَقْسَامِهَا ؛ فَيَخْبِطُونَ فِي كُلِّ ذَلِكَ
 خَبْطَ عَشْوَاءٍ ^(١) ، فِي لَيْلَةٍ عَمِيَاءَ ، لِيَقُولَ النَّاسُ إِنَّهُمْ عُلَمَاءُ .
 وَتَرَى شَرْدِمَةً مِنَ الْأَنَانِيِّينَ ^(٢) ، قَدُمُهَا فِي الْمَاءِ ،
 وَأَنْفُهَا فِي السَّمَاءِ ، وَهِيَ حَثَالَةُ السُّفَهَاءِ ^(٣) ، تَخْتَالُ ^(٤) أَخْتِيَالَ
 الْجَبَابِرَةِ ^(٥) ، وَتَبْطُشُ بَطْشَ الْقَسَاوِرَةِ ^(٦) ، وَتَجْلِسُ جِلْسَةَ
 الْأُكَاكِرَةِ ^(٧) ، وَتَمْشِي مَشْيَةَ الْقِيَاصِرَةِ ^(٨) ؛ وَهِيَ لَا فِي
 الْعَبْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ^(٩) .

وَإِنْ سَأَلْتَ أَحَدَهُمْ لَاءَ الْأَنَانِيِّينَ عَنْ سَبَبِ هَذِهِ الْكِبَرِيَاءِ ،
 أَجَابَكَ : إِنَّ هَذَا مِنَ الْإِيَاءِ ^(١٠) . وَمَا الْإِيَاءُ ، لَوْ يَعْلَمُ ، إِلَّا

(١) خَبْطُ خَبْطِ عَشْوَاءَ : مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَتَصَرَّفُ فِي الْأُمُورِ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ —
 وَالْعَشْوَاءُ : النَّاقَةُ الَّتِي لَا تَبْصُرُ لَيْلًا

(٢) الْأَنَانِي : الَّذِي لَا يَرَى غَيْرَ نَفْسِهِ ، فَهُوَ يَقُولُ : أَنَا أَنَا

(٣) الْحَثَالَةُ : سَفَلَةُ النَّاسِ ؛ وَأَصْلُ مَعْنَاهَا : مَا يَخْرُجُ مِنْ قَفَرِ الذَّمِّ وَنَحْوِهِ

(٤) تَخْتَالُ : تَمْشِي مَشْيَةَ الْخَبَلَاءِ وَالْعَجَبِ وَالْكِبَرِ

(٥) الْجَبَابِرَةُ : جَمْعُ جَبَّارٍ ، وَهُوَ الْقَهَّارُ ، وَالْمَعَالِي عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ ، وَمَنْ يَجْبِرُ

قَعِيمَهُ بِأَذْعَانٍ مُزَلَّةٍ مِنَ الْعَالِي لَا يَسْتَحْقُّهَا ، وَهَذَا لَا يُقَالُ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الذَّمِّ .

وَأَمَّا الْجَبَّارُ فِي صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَهُوَ صِفَةُ مَدْحٍ ، لِأَنَّهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، يُسِيرُهُمْ
 بِحَسَبِ مَشِئَتِهِ وَارَادَتِهِ

(٦) الْقَسَاوِرَةُ : الْأَسْوَدُ ؛ وَالْمُفْرَدُ قَسُورَةٌ

(٧) الْأُكَاكِرَةُ : جَمْعُ كَرِيٍّ ، وَهُوَ لَقَبٌ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الْفُرْسَ

(٨) الْقِيَاصِرَةُ : جَمْعُ قَيْصَرٍ ، وَهُوَ لَقَبٌ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الرُّومَ

(٩) الْعَبْرُ : الْقَائِلَةُ مِنَ الدَّوَابِّ تَحْمِلُ الْمِيرَةَ — وَالنَّفِيرُ : الْقِيَامُ الْعَامُّ لِقِتَالِ الدُّوَرِ . وَقَوْلُهُمْ :

« هُوَ لَا فِي الْعَبْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ » : مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَخْطُ أَمْرَهُ ، وَيَصْغُرُ قَدْرُهُ ، وَلَا يَصْلُحُ لَهُمْ

(١٠) الْإِيَاءُ : الْأَمْتَاعُ مَا يَشِينُ

تطهيرُ النَّفْسِ مِنَ الْأَدْنَسِ^(١) ، وَتَنْزِيهَا عَنِ الْأَرْجَاسِ^(٢) ، وَحَمْلُهَا
عَلَى مَعَالِي الْأُمُورِ لِتَأْتِيَ الضَّيْمَ^(٣) ؛ فَلَا تُقِيمُ عَلَى الْخَسَفِ^(٤) ،
وَلَا تَرْضَى بِالذُّلِّ ، وَلَا تَمِيلُ إِلَى شَأْنِ الْأَفْعَالِ ؛ بَلْ تَأْخُذُ
بِزِمَامِ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَتَسِيرُ فِي مَنَاهِجِ^(٥) فَاضِلِ الْأَخْلَاقِ .

إِنْ عَمِلَ تِلْكَ الشِّرْذِمَةُ لَهْوً مِنْ صَغَرِ النَّفُوسِ ، وَلَوْثُمْ
الطَّبَاعُ ، وَخَفَّةِ الْأَحْلَامِ^(٦) ، وَدَنَاءَةِ التَّوْبَةِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْأَوْهَامِ .
فَأَعْبِدْكَ ، أَيُّهَا النَّشْءُ الصَّالِحُ ، مِنَ الْغُرُورِ ؛ فَإِنَّهُ يَسُوقُ
إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ ، وَيُزَيِّنُ لَكَ تِلْكَ الْأَعْمَالَ الدَّنِيَّةَ ،
وَيَحْمِلُكَ عَلَى مَرَكَبِ الْهَوَانِ .

اعْرِفْ حَدَّكَ ، وَأَسْعَ إِيمَا هُوَ فَوْقَهُ ، بِمَا تَبَذُّهُ مِنْ
الْجِدِّ وَالْعَمَلِ وَأَكْتَسَابِ الْفَضَائِلِ . فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ
حَدَّهُ فَوَقَفَ عِنْدَهُ .

أَخَذَ اللَّهُ بِيَدِكَ ، وَأَزَاحَ عَنْ قَلْبِكَ الْغِشَاوَةَ^(٧) ،
وَهَذَاكَ أَقْوَمَ طَرِيقَ .

(١) الادناس : الاوساخ ؛ والمفرد دنس ؛ يفتح الدال والتون

(٢) الارجاس : الانجاس ؛ والمفرد رجس ، بكسر الراء وسكون الجيم

(٣) الضيم : القهر والظلم والذل

(٤) الخسف : تحوُّل ما يكره ، والقيصة ، والذل

(٥) المناهج : جمر منهج وهو الطريق الواضح

(٦) الاحلام : العقول ومفرد ما حلم ، بكسر الحاء وسكون اللام

(٧) الغشاوة : الغطاء

التجديد

التَّجَدُّدُ هو الحياة . وهو سنة^(١) عامة في كل حي .

الأجسام الحية تتجدد في كل مدّة معلومة . فتفتن ذرّاتها ، التي لم تبق صالحة للبقاء ؛ وينشأ غيرها مما هو قابل للحياة . ولولا هذا التجدد ، لما أمكنها أن تحيا أكثر من عشر سنين . ثم تكتب بعدها في سفر الفناء^(٢) .

إن الموت هو طارئ على الأجسام يمنع تجددّها . فهو قد يكون ضعيفاً ؛ فيعمل على منع التجدد تدريجاً ؛ حتى إذا استحكمت جراثيمه^(٣) بلغت ما تريد . وقد يكون قوياً ، فيكون منه الموت الفجائي ، الذي يقضي على نسمات^(٤) التجدد قضاة سريعا .

وهذا هو الشأن في النبات أيضاً ؛ فإنه من الأجسام

(١) السنة : الطبيعة

(٢) السفر : الكتاب ؛ والجمع أسفار

(٣) استحكمت : تمكنت — والجراثيم : الأصول ؛ وتطلق اليوم على

ما يسمى المكروب

(٤) النسمات : الأناص ، جمع نسمة ، وهي نفس الروح

ذوات الحياة . فالْبُسْتَانُ الذي يَتَعَمَّدُهُ مِحْرَاتُ الْحَارِثِ ^(١) ،
وَتَعْمَلُ فِيهِ يَدُ الْبَاحِثِ ؛ فَتَقْلَبُ أَرْضُهُ ، وَتَسْقِي أَغْرَاسُهُ ،
وَتَشْدِبُ أَغْصَانَهُ ^(٢) ، وَتُنْقِي ثَمَرَتَهُ مِنَ الْحَشَرَاتِ الضَّارَّةِ
وَالنَّبَاتَاتِ الْفَاسِدَةِ ، تَسْرِي فِيهِ رُوحُ التَّجَدُّدِ ؛ فَيُورِثُ أَكْلَهُ
مَوْفُورًا ^(٣) ، وَيُفِيضُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ أَشْهَاءًا ،
وَمِنَ الْفَاكِهَةِ أَطْيَبًا .

وَالْبُسْتَانُ الذي يُهْمِلُهُ الْبُسْتَانِيُّ - فَلَا يَفْلَحُهُ ، وَلَا
يَسْقِيهِ ، وَلَا يَتَعَمَّدُهُ بِالْحِيطَةِ ^(٤) ، وَلَا يَنْفِي عَنْهُ مَا يَضُرُّ بِهِ
مِنَ حَشَرَاتٍ وَنَبَاتٍ ، وَلَا يَمُدُّ إِلَيْهِ مِنْجَلَ التَّطْهِيرِ - تَمْرَضُ
ثَمَرَتُهُ ، فَلَا تَقْوَى عَلَى الْإِنْبَاتِ ، وَتَضَعُفُ أَشْجَارُهُ ، فَلَا
تَسْتَطِيعُ الثَّبَاتُ ، وَتَذُبُلُ أَغْصَانُهُ ، فَلَا تَجُودُ بِالثَّمَرَاتِ .
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِفَقْدِ أَسْبَابِ التَّجَدُّدِ . وَالتَّجَدُّدُ
مِرَّةُ الْبَقَاءِ .

الْأُمَّةُ هِيَ الْأَشْجَارُ فِي بُسْتَانِ الْحَيَاةِ ، وَرُشْدُهَا هُمُ

(١) يَتَعَمَّدُهُ : يَتَقَدَّدُهُ - وَالْمِحْرَاتُ : السَّكَاةُ الَّتِي تَحْرَثُ بِهَا الْأَرْضُ أَيُّ : تَشَقُّ
بِهَا - وَالْحَارِثُ : الزَّارِعُ ؛ وَالْجَمُّ حَرَاتٌ

(٢) تَشْدِبُ أَغْصَانَهُ : تَصْلَحُهَا بِقَطْعِ شَدِّهَا ، وَهُوَ مَا تَفْرُقُ مِنْ عِيدَانِهَا
مَا لَمْ يَكُنْ صَالِحًا

(٣) مَوْفُورًا : تَامًا

(٤) الْحِيطَةُ : الْخِطَّةُ وَالْتَقَدُّ

الجرّاث . فإن أهملوا شأنَ تربيّتها - فترَكوا أمرَ تعلّمها ، ولم يُرَقِّقوا عقولها ، ولم يُهذِّبوا أخلاقها ، ولم يَنْفُخوا عنها ما يَطرأ عليها من فساد العادات وضرر الأَخلاق ، ولم يَتَعَهَّدوها بما يَحْدُثُ من جديد المَحارث ، وحديث الوسائل المُحيية ، ولم يُهيِّبوا بها ^(١) لِتَنْهَضَ وتُحْيَا حياةً سَعِيدَةً - كانت عاقبتها الخُمول ، فالذُّبُول ، فاليأس ، فالاستئصال من بُستان الحياة ^(٢) .

التَّجَدُّدُ يكونُ في المَعْقُولات ، كما يكونُ في المَحسُوسات . فإذا كانت الأَجسام الحَيَّةُ مُحْتَاجَةً إلى التَّجَدُّدِ - لِتُحَافِظَ على حياتِها - فكذلك مَعنَوِيَّاتُ الأُمَّةِ ، يَجِبُ أن تَتَجَدَّدَ يَتَجَدَّدُ حاجَاتِها .

وإن كان البُستان - وإن بالغَ البُستانيُّ يَتَعَهَّدُهُ وتَجْوِيده - لا بُدَّ أن يَظْهَرَ بينَ نَباتِهِ الطَّيِّبِ نَباتٌ فَاسِدٌ وَحَشَرَاتٌ ضَارَّةٌ ، فكذلك الأَخلاقُ والعاداتُ ، لا تَلْبَثُ أن يَنْدَسَ فيها ^(٣) من الأَوْضارِ ما يُشَوِّهُ ^(٤) مُحَاسِنَهَا ، وَيُنْسِدُ صَالِحَهَا .

(١) اهاب به : يهيب : صرخ به وذرعه

(٢) الاستئصال : القلع والذرع

(٣) يندس : يدخل ويندف

(٤) الأوضار : الأوساخ ؛ والمراد بها الأخلاق الفاسدة ؛ والمفرد وضر

(بفتح الواو والضاد) - ويشوه : يفسد

فالبستاني لا يجوز له أن يُهمل ذلك النبات الفاسد ،
ولا تلك الحشرة الخبيثة ، كيلا تُفسد النبات كله .

والأمة يجب أن تشبه لكل خلق خلق
بالرُّفُض^(١) ، وكل عادة جديرة بالطرح ؛ فتعمل على
محوهما ، حتى لا يتعدى ضررهما الى فاضل الأخلاق
وحسن العادات .

التَّجَدُّدُ سُنَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ إِلَهِيَّةٌ ؛ لذلك كان الله سبحانه
يرسل الرُّسُلَ ، الواحد إثر الواحد ، حتى يُجَدِّدَ الْإِلَاحَ
مَعَالِمَ مَا جَاءَ بِهِ السَّابِقُ^(٢) ؛ مع زيادات تقتضيها الحال ،
وتدعو اليها الحاجة . والى ذلك الإشارة في الحديث :
« بَعَثَ اللهُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ عَامٍ مُّجَدِّدٌ لِهَذِهِ
الْأُمَّةِ أَمْرًا دِينَهَا » .

متى سرت روح التجدد في الأمة ، تنور^(٣) على
ما فسد من أخلاقها ، وتهيج على ما أختل من أنظمتها^(٤) ،

(١) خلق : جدير

(٢) المعالم : الآثار ، والمفرد معلم

(٣) تنور : تهيج وتنشرك

(٤) الانظمة : القوانين التي توضع لتسير الأمة في سبيلها ؛ والمفرد نظام . والنظام

في الاصل : قوام الامر الذي به يقوم . وأصل معناه : الحيط الذي يُنظم فيه اللؤلؤ .

وَتَقْضِي عَلَى مَا شَاخَ ^(١) مِنْ عَادَاتِهَا ^(٢) ؛ حَتَّى تَرْجِعَ ^(٣) ذَلِكَ
كُلَّهُ بِنَهَادِي فِي مَطَارِفِ الشَّبَابِ ^(٤) ، وَيَخْطِرُ فِي
حُلَلِ الْكَمَالِ .

إِنَّ الْأُمَّةَ ، أَثَمَهَا النَّشْءُ الصَّالِحُ ، فِي الْحَاجَةِ الْقُضْوَى
إِلَى التَّجَدُّدِ . فَقَدْ أَشْتَعَلَتْ رُوسُ عَادَاتِهَا وَأَخْلَافِهَا وَأَنْظَمَتِهَا
وُلُغَتِهَا وَسَائِرُ مَقَوِّمَاتِهَا شَيْئًا .

فَأَنْهَضُ ، رَعَاكَ اللَّهُ وَحَاطَكَ بِمَعُونَتِهِ ، بِأُثْمِكَ ، بِمَا
تَبَّهَ فِيهَا مِنْ رُوحِ التَّجَدُّدِ ؛ فَإِنَّ التَّجَدُّدَ سِرُّ الْحَيَاةِ .

(١) شاخ : هرم ويلي

(٢) رجه يرجه : اعاده ، وارجه لغة غير فصيحة

(٣) ينهادى : يقبض - وانظارف : ثياب من الحرير مريمة لها اعلام ؛

والفرد مطرف

(١)

الترف

ما وجدَ التَّرفُ سبيلاً الى نُفوسِ أمةٍ إلاّ أفسدها ،
وجعلَ عاليَ سعادَتِها سافلها ، وبدّدَ ما لدَيَها من ثروة ^(٢) ،
وأسقطَ ما لها من رفعة ، ودَمَّرَ ما عندها من عُمران ^(٣) .

المُتَرَفُونَ ^(٤) في كل أمةٍ تَفْسُدُ أخلاقُهم ، بما يَكْثُرُ
لَدَيْهِمْ من دواعي التَّشَمُّعِ ، وما يُحِيطُ بِهِمْ من أسبابِ الفُسُوقِ
عن سُنَنِ اللَّهِ ^(٥) .

التَّرفُ يُسَوِّقُ الى السَّرَفِ ؛ والسَّرَفُ دَاعِيَةُ التَّلَفِ .
فالمُتَرَفُونَ ضَعْفَاءُ العقولِ ، ضَعْفَاءُ الجُسُومِ ، ضَعْفَاءُ الإرادةِ ،
خَامِلُو الأذهانِ ؛ لا يَعْرِفُونَ للحياةِ معنى ، سوى ما تَسُوِّقُهُم اليه
الشَّهَوَاتُ الحيوانِيَّةُ ، وتَدْفَعُهُم اليه اللذاتُ البهيمِيَّةُ . فلا
يَسْمَعُونَ لِمَا يُفِيدُ الأُمَّةَ ، ولا يُفَكِّرُونَ فيما يَعْمرُ البلادَ .
فالمَعْرُوفُ عندهم منكورٌ ؛ والمنكورُ مشهورٌ ؛ والخيرُ مقبورٌ ؛

(١) الترف : التوسع في التمتع . يقال : أثرتة النعمة ، أي : أطفته وأبطرته .

(٢) بدد : أذهب وفرق .

(٣) دمر : قوّم وهدّم .

(٤) المترفون : المتعممون .

(٥) الفسوق : الخروج والعدول عن الامر ، والعمل المنكر .

وَالشَّرُّ مَنْشُورٌ . فَإِنْ دَعَوْا نَهْمٌ لِتَخْفِيفِ مُصَابِ الْأَشْقِيَاءِ ^(١) ،
وَتَجْفِيفِ دَمْعَةِ الْفُقَرَاءِ ، وَبَذْلِ الْمَالِ لِتَعْلِيمِ الْجُهَلَاءِ ،
غَضَّتْ حُلُوفَهُمْ ، وَشَرُّ قُورٍ بِرِيقِهِمْ ، وَأَمَالُهَا أَعْنَقَهُمْ ، وَلَوْوَاهَا
رُؤُوسَهُمْ ^(٢) . وَإِنْ طَلَبُوا لِبَذْلِ الْأَمْوَالِ فِي سَافِلِ الْأَفْعَالِ ،
اسْتَبَقُوا مُلْكَيْنِ ، وَأَقْدَمُوا مُسْرِعَيْنِ ، وَأَجَابُوا الدَّاعِينَ ،
كَأَنَّهُمْ السَّهْمُ الْمُرْسَلُ ، أَوْ الْقَضَاءُ الْمُنْزَلُ .

مَا مِنْ فُسَادٍ يَنْتَشِرُ فِي الْأُمَّةِ ، إِلَّا كَانَ هَوْلًا
الْمُتَرَفُونَ مَنْشَأَهُ . وَمَا مِنْ بَلِيَّةٍ تَحُلُّ بِهَا ، إِلَّا كَانُوا
جَرَائِمَ أَوْبَائِهَا ^(٣) . وَمَا مِنْ فُسُوقٍ إِلَّا كَانُوا عِمَادَهُ
وَذِرْوَةَ سَنَامِهِ ^(٤) .

إِنَّ النُّفُوسَ لَتَضُرِّي بِالشَّهَوَاتِ ^(٥) حَتَّى تَسْتَحُودَ
عَلَيْهَا ^(٦) ؛ فَلَا تَتْرُكُ فِيهَا مَنَفَذًا إِلَّا وَلَجَتْهُ ^(٧) ، وَلَا مُتَسَعًا
إِلَّا مَلَأَتْهُ . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنَ التَّرَفِ ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى التَّبَسُّطِ

(١) الاشقياء : جمع شقي وهو البائس المحتاج

(٢) لوَّوا رؤوسهم : أمالوها وأداروها

(٣) الأوباء : الأمراض والمفرد وبأ ؛ وأما الوباء فجمعه أوبئة

(٤) ذروة كل شيء : أعلاه — والسنام في الاصل : ما ارتفع من ظهر

الجل ؛ والجمع أسنمة

(٥) تضرى بالشهوات : تنوع بها حتى تتنادها

(٦) تستحود عليها : تستولي عليها

(٧) ولجته : دخلته

في المذات^(١) ، وإعطاء النفس الأثارة هواها ، وإجابة ميولها .
ومتى آتت الأمة بأهوائها^(٢) ، واشتغلت بشهواتها ، وعشت
بمراقفها^(٣) ، وغفلت عن مقومات حياتها ؛ أسرع إليها
الفساد ، وعمتها البلاء ؛ وحاطتها الأرزاء^(٤)

عج بطرفك^(٥) نحو الأمم الخالية ، تجد أن الترف
قد قضى عليها ، حتى جعلها عبرة لمن يأتي بعدها .

هذه الأمة الرومانية ، والأمة الفارسية ، والأمة العربية ؛
فإنها ، بعد أن كانت في ذرا المجد والسعادة ، قد هوى بها
الترف إلى مكان سحيق^(٦) ، وتزل بها التبسط في هوى
النفس إلى الحضيض^(٧) . وربما كان هذا السبب منزوجاً بغيره
من الأسباب التي تدعو إلى الانحلال ؛ ولكنه السبب الأول ،
الذي يجر وراءه غيره من الأسباب .

وقس على هذه الأمم غيرها من الأمم الماضية ؛ وأبحث
تجد أن هذه العلة هي جرثومة الجرائم ، وعلة العلل .

(١) التبسط : الاجترار وترك الاحتشام

(٢) الاهواء : جمع هوى النفس

(٣) عشت : هزأت واشتغلت ولعبت — والمراقق : المنافع والمصالح

(٤) الارزاء : المصائب ؛ والفرد رزء

(٥) عج بطرفك : اعطته وأدبره

(٦) سحيق : بعيد

(٧) الحضيض : الارض ، وأسفل الجبل

فَارِنِ الْيَوْمَ بَيْنَ أَخْلَاقِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَأَخْلَاقِ سُكَّانِ الْحَوَاضِرِ ؛
وَقَائِسِ بَيْنَ جُسُومٍ هُوَ لَاءٌ وَجُسُومٍ أُوْلُكٌ ؛ ثُمَّ أَنْظُرْ إِلَى مَا عِنْدَ
الْبَادِيَيْنِ ^(١) مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ ، وَالْوَفَاءِ ، وَالْعِفَّةِ ، وَالْكَرَمِ ،
وَالشَّجَاعَةِ ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَإِلَى مَا عِنْدَ هَوَ لَاءِ
الْمُتَمَدِّينِ مِنْ أَضْدَادِهَا ؛ وَأَحْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَا يَجْرُءُ
التَّرَفُّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَمْرَاضِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَجْسَامِ .

فَإِنْ لَا نَدْعُو إِلَى الْبِدَاوَةِ . وَلَكِنْ نَدْعُو إِلَى التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ
أَهْلِهَا ؛ وَنُهِيبُ ^(٢) بَيْنَ يُسَيِّ نَفْسَهُ إِنْسَانًا أَنْ يُقْلِعَ عَنْ سَافِلِ
الْعَادَاتِ ، وَبِتَجَنُّبِ سَفِيَةِ الْأَخْلَاقِ ، وَبِإِبْتِعَادِ عَنِ التَّرَفِّ ؛
فَهُوَ يَجْرُفُ الْفَضَائِلَ ، وَبُقِي عَلَى الرِّذَائِلِ ، وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَ
ذَلِكَ وَسَطًا ، كَيْلَا يَكُونَ أَمْرُهُ ^(٣) فُرْطًا .

فَتَنَبَّهُوا ، أَيُّهَا النَّاشِئُونَ ، إِلَى مَا يُحِيطُ بِكُمْ مِنْ سَبَاعِ
الْمَلَذَّاتِ ، وَمَا يَحُوطُكُمْ مِنْ ضَوَارِي الشَّهَوَاتِ ^(٤) . وَلَا تَتَخَلَّقُوا
بِأَخْلَاقِ الْمُتَرَفِّينَ . وَلَا تَسِيرُوا سِيرَ الْعَادِيَيْنِ ^(٥) ؛ كَيْلَا
تُكْتَبُوا فِي الذَّاهِبِينَ . وَفِي هَذَا بَصَائِرُ ^(٦) لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُبْصِرِينَ .

(١) البادي : يسكن البادية

(٢) نهيب : تنادي ويهرخ

(٣) امرٌ فُرْطٌ : مجاوز الحد

(٤) الضواري : الحيوانات المفترسة كالذئب والاسد ونحوهما

(٥) العادي : المجاوز الحد في أعماله

(٦) البصائر : البر والشواهد ؛ والمفرد بصيرة

الدين

حقّ العلاء^(١) ، لا أنفسٍ طيّرت ،
 عنها ثناءى الفحش^(٢) والفند^(٣) ،
 كبست دثار العلم^(٤) ، وأدرعت^(٥)
 بالدين ، فهو لمجدها عمد ،
 فالدين ، لولاه لما أنقطعت
 عن عقل هذا العالم العقد ،
 ولما استقام لأمرهم عوج ،
 ولما أقيم لملهم أود^(٦) ،
 ولا نجدوا ، يعلموهم غطش^(٧) ،
 ولا تهموا يجفّوهم الرشد^(٨) .

(١) حق : ثبت ووجب — والعلاء : الشرف والرياسة

(٢) الفحش : المطلق الفاسد القبيح — والفند : الكذب ، والظلم ، وكفر العمة

(٣) الدثار : الثوب — وأدرعت بالدين : اتخذته درعاً لها

(٤) الاود : الاعوجاج

(٥) انجدوا : اتوا نجداً — والغطش : الظلام — واتهموا : جاءوا بتهامة • ونجد

وتهامة من بلاد العرب • فنجد اراضيها مرتفعة ، وتهامة اراضيها منخفضة • والمراد بالانجد والاتهام هنا : السير على اختلاف انواعه

الدِّينُ الصَّحِيحُ نَبْرَاسُ الْمَدَنِيَّةِ ^(١) ؛ وَالْعَمَلُ بِهِ
رَأْدُ الْإِنْسَانِيَّةِ ^(٢) .

الدِّينُ وَضَعُ إِلَهِيٍّ ؛ وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ يَأْمُرَ عِبَادَهُ بِمَا
يُقْعِدُهُمْ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَيَصْدِفُهُمْ عَنِ الْمَعِيشَةِ الرَّاضِيَةِ ^(٣) .

فَالْمَدَنِيَّةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ الدِّينُ الصَّحِيحُ . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ
كُلٌّ مِنْهُمَا عَيْنَ الْآخَرِ ، فَهُمَا شَقِيقَانِ ؛ أَبُوهُمَا الْحَقُّ ، وَأُمُّهُمَا الْحَقِيقَةُ
مَا أَسْعَدَ النَّاسَ إِلَّا الدِّينُ ؛ وَمَا أَشْقَاهُمْ إِلَّا تَوَكُّهُ ،
أَوِ التَّمَسُّكُ بِقُشُورِهِ وَإِهْمَالُ لُبَابِهِ .

الدِّينُ سَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ . فَإِنْ أَحْسَنَ الْمُتَسَبُّبُ إِلَيْهِ
أَسْتَعْمَلَهُ كَانَ لَهُ عَوْنًا فِي الشَّدَائِدِ ، وَرُشْدًا فِي الْفَلَوَاتِ ^(٤) ،
وَمِصْبَاحًا فِي الظُّلُمَاتِ . وَإِنْ أَسَاءَ اتِّضَاءُهُ ^(٥) خَضِرَ بِهِ وَبَغِيرَهُ .
وَإِنْ مَا نَرَاهُ مِنْ شَقَاءٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَدَيِّنِينَ ، إِنْ هُوَ
نَاشِيٌّ إِلَّا مِنْ جَهْلِهِمْ بِالدِّينِ ، وَبُغْذِهِمْ عَنْ جَوْهَرِهِ النَّقِيِّ ،
الْحَالِي عَنْ الشَّوَائِبِ ^(٦) ، الْمُنَزَّهِ عَمَّا دَسَّهُ فِيهِ الدَّسَّاسُونَ ^(٧) ؛

(١) النبراس : المصباح يستضاء به

(٢) رأْد : مرشد

(٣) يصدفهم : يصرفهم ويمنعهم

(٤) الفلوات : جمع فلاة ، وهي القفر ، والصحراء الواسعة

(٥) انتضاء السيف : تجريده من قرابه

(٦) الشوائب : العيوب ، والادناس ، والاخلاط

(٧) دسه : ادخله

وعن أعمال من لا يعرفون منه إلا الأسماء وبعض الأعمال
الظاهرة ؛ وعن أغراض الذين اتخذوها ملعباً لأهوائهم ،
ومركباً لسافل مقاصدهم .

الذين اليوم شبح لا روح له ، والفاظ أضاع الناس
معناها . وقد اتخذوا المتلبسون به حيلة ^(١) لأصطياد
عقول العامة ، ووسيلة لتعظيمها إياهم ، وإتباع حقائقهم
من أموالها ^(٢) . وهم لبسوا من الدين في شيء . بل هناك جهل
مطبق ، وأخلاق ضعيفة ، ونفوس ضعيفة ، ونفور من
صالح الأعمال ، وبعد عن هدف الحقيقة ^(٣) . وأكثرهم عبدة
أوهام ، وسدنة تقاليد ^(٤) ، وأجراء أهواء .

إن العامة غير ملومة إن اعتقدت مالا أصل له
في الدين . وإنما المعلوم أولئك الذين يسمون أنفسهم
خاصة ؛ وهم يدّسون في نفوس العامة مالا يتفق مع
الشرع ، وينشرون فيهم من الإفك ^(٥) ما يسمون به
العقول ، ويوسع مسافة الخلاف بين أبناء الوطن الواحد .

(١) الحيلة : شبكة الصياد

(٢) الاتباع : الاملاء — والحجاب : جمع حبة وهي خريطة يلقها المسافر
في الرحل ليزاد ونحوه

(٣) الهدف : الغرض الذي يوضع ليرى اليه

(٤) السدة : جمع سادن ، وهو خادم الصنم

(٥) الإفك : أشد الكذب

ضَرَرُ الدِّينِ مِنْ رُجُلَيْنِ : رَجُلٍ

ظَنَّ دِينَ اللَّهِ فِي تَرْكِ الدُّنْيَا^(١) ،

وَرَأَى الْأِعْرَاضَ عَنْهَا أَنْفَعًا .

وَنَهْوًا ، لَوْ جَاءَتْهُ مِنْهَا بَذْرَةٌ^(٢) ،

طَلَّقَ التَّقْوَى ، وَعَافَ الْوَرَعَا^(٣) .

فَنَهْوٌ لَا زُهْدًا بِهَا عَنْهَا نَأَى^(٤) ؛

لَكِنْ الْجِدُّ يُذِيبُ الْأَضْلُعَا ؛

خَافَ أَنْ يَسْعَى ، فَيُذِمِّي رَجُلَهُ ؛

فَرَأَى الرَّاحَةَ فِيهَا صَنَعًا .

لَيْسَ بِالزَّاهِدِ فِي الدُّنْيَا أَمْرُوٌّ

يَلْبَسُ الصُّوفَ ، وَيَنْهَوِي الرَّثَقَا^(٥) ؛

إِنَّمَا الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا أَمْرُوٌّ

عَفٌ نَفْسًا ، فَأَبَى أَنْ يَخْنَعَا^(٦) .

وَرَجُلٍ يَدْعُو إِلَى بَاطِلٍ بِأَسْمِهِ ، وَيُكْفِرُ سِوَاهُ ،

(١) الدنا جمع الدنيا ؛ وانما جمعت مع انها واحدة لاعتبار اقسامها ومظاهرها

(٢) البذرة : عشرة آلاف درهم ، والجمع بذر « بكسر الباء وفتح الدال »

(٣) الورع : الابتعاد عن الشبهات خشية الوقوع في المحرمات

(٤) الزهد : الاعراض عن الشيء احتقاراً -- ونأى : بعد

(٥) الرثع : جمع رقة ، وهي ما يرفع به الثوب

(٦) يخنع : يذل ويهون ويحط من نفسه ومروته

أَوْ يُدِّعُهُ ، أَوْ يُفْسِقُهُ ^(١) ، يَتَّظُنُّ الْعَامَّةُ أَنَّهُ مُتَدِينٌ ، وَهُوَ
بَعِيدٌ عَنِ الدِّينِ بُعْدَ السَّمَاءِ عَنِ الْأَرْضِ .

فَأَحْذَرُ ، أَيُّهَا النَّاسُ الصَّالِحُ ، هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، فِيمَا
آفَةُ الدِّينِ ^(٢) .

الدِّينُ نُورٌ ، وَعَمَلُ هَذَيْنِ ظُلْمَةٌ . الدِّينُ حَقٌّ ،
وَعَمَلُهُمَا بَاطِلٌ . الدِّينُ عُمرَانٌ ، وَمَا يَدْعَوَانِ إِلَيْهِ خَرَابٌ .

لَا تَظُنَّ الدِّينَ مَا يُبْلِي الْهَوَىٰ ؛

لَيْسَ دِينُ اللَّهِ تِلْكَ الْبِدْعَا ^(٣)

إِنَّمَا الدِّينُ ضِيَاءٌ لَمَعَا ؛

- فَاسْتَنَارَ الْكَوْنُ لَمَّا سَطَعَا -

قَبَسَتْ مِنْهُ الْمَعَالِي شُعْلَةً

صَدَعَتْ قَلْبَ الدُّجَا ، فَأُنْصَدَعَا ^(٤)

تَمَسَّكُوا ، مَعْشَرَ النَّاسِئِينَ ؛ بِدِينِكُمْ . وَلَا تَدْعُوا

لِلْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ بَرَاءٌ مِنْهُمْ ، سَبِيلًا ، تَفُوزُوا بِالسَّعَادَتَيْنِ ،

وَتَنَالُوا الْحُسْنَيْنِ ^(٥) .

(١) يبدعه ويفسقه : ينسبه الى البدعة والفسق

(٢) آفة الشيء : عاهته وضرره وفساده

(٣) البدع : جمع بدعة ، وهي ما يُنسب الى الدين وليس منه

(٤) صدعت : شقت — والدجا : الظلام

(٥) ان ما ورد من الشعر في هذه العظة هو لمصاحب العظات

المدنية

المدنية الحق سيرة تكسب المتمدن صحة في جسمه وعقله ، وتلبسه حلة تزيينه في أهله وعشيرته ويديته ^(١) ، وتجعله سعيداً في دنياه وآخرته .

فمن تردى بردائها ، وسعى لها سعيها ، كان مُتَمَدِّناً . ومن فهمها على غير وجهها — فلبس لها رداء غير رداؤها — كان ممن طمس على قلوبهم ؛ وضرب بينهم وبين السعادة بأسوار لا تقوى على اختراقها مدافع الآمال ، بل نعيها ^(٢) عن بلوغ أعلاها سُورُ الأمان ؛ ويكلُّ دوت ذراها طرف الرجاء ^(٣) .

ما المدنية إلا أخلاق فاضلة ، تُشمرُ أئتلاف الأفراد ، وأنحاء الجماعات ؛ وسعي وعمل ، يلدان عمران البلاد ، وأرتقاء الحالة الاجتماعية ؛ وإقدام على تطهير النفس من الرذائل ، لا كتنساب الفضائل ؛ وإحجام عن الضرر

(١) البيضة : المنزل ، والباد أو القطر الذي تعيش فيه

(٢) نعيًا : تنعب وتعجز

(٣) الذُّرَا : جمع ذروة وهي أعلى كل شيء — والطرف : العين

بِالنَّاسِ^(١) ، وَأَبْتَعَادُ عَنْ مَنَاصِرِ الْأَخْلَاقِ ؛ وَبَذَلُ^(٢) لَتَخْفِيفِ
وَبِلَاتِ الْبَاسِ^(٣) ، وَتَشْيِيدِ^(٤) صُرُوحِ الْمَدَارِسِ^(٥) .

كَانَتِ الْأُمَمُ الْمَشْرِقِيَّةُ ؛ وَكَانَ لَهَا فِي الْمَدِينَةِ صَوْلَةٌ^(٦) ،
وَفِي تَثْبِيتِ أَرْكَانِهَا دَوْلَةٌ . ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهَا الدَّائِرَةُ . فَطَرَأَ
عَلَيْهَا مَا طَرَأَ ، مِمَّا خَرَّبَ عُمرَانَهَا ؛ وَبَدَّدَ^(٧) قَمَدُهَا^(٨) .
سَنَةَ اللَّهِ فِيمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِقَانُونِ الْأَجْتِمَاعِ ، وَلَمْ يَظَلْ سَائِرًا
فِي سَبِيلِ الْحَضَارَةِ الصَّحِيحَةِ^(٩) . فَانْتَقَلَتْ^(١٠) عُلُومُهَا وَمَدَنِيَّتُهَا إِلَى
قَوْمٍ عَرَفُوا فَضْلَهَا ؛ فَأَحْلَوْهَا الْمَقَامَ الْأَرْفَعَ . وَوَسَّعُوا لَهَا
صُدُورَهُمْ . وَزَادُوا فِيهَا مَا أَقْتَضَتْهُ سَنَةُ التَّرَقِّي ؛ وَدَعَتْ إِلَيْهِ
الْحَاجَةُ . فَبَلَّغُوا مِنَ الْكَمَالِ فِي الْحَضَارَةِ مَبْلَغًا جَسِيًّا . وَسَارُوا
أَشْوَاطًا عَظِيمَةً^(١١) . فَمَلَكَوا نَوَاصِي الْأُمَمِ الْخَامِلَةِ^(١٢) ؛

(١) الاحجام : التأخر والامتناع والكف

(٢) البأس : الشديد الحاجة

(٣) شيد البناء تشييداً : رصه — والصروح : القصور ؛ والمفرد صرح

(٤) الصولة : السطوة

(٥) بدد : فرق وأذهب

(٦) الحضارة : المدنية ، وهي خلاف البداوة

(٧) الاشواط : جمع شوط ، وهو الجري مرة إلى الغاية ؛ وهو أيضاً :

الغاية قسمها يُجْرَى نحوها

(٨) النواصي : جمع ناصية وهي مقدم مُقَدَّم الرأس

وَأَحْكُمُوا الشَّكَايِمَ فِي أَفْوَاهِهَا ^(١) .

غيرَ أَنَّ مَدَنِيَّتَهُمْ لَمْ تَخْلُ مِنْ شَوَائِبِ ^(٢) تَخَالِطٍ كُلِّ
قَوْمٍ أَنْتَبَجَرَ عُمُرَانَهُمْ ^(٣) ، وَنَمَتْ حَضَارَتُهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا
رَاضِينَ عَمَّا دَهَمَهُمْ مِنَ الْأَشْوَالِ ^(٤) ؛ بَلْ تَوَاحَمَ سَاعِبِينَ نَحْوِ
تَشْدِيدِ شَوَائِبِهِمْ ^(٥) ، وَتَهْذِيبِ مَدَنِيَّتِهِمْ .

وَقَدْ أَفَاقَ الشَّرْقُ الْيَوْمَ مِنْ غَفْلَتِهِ ؛ وَنَسَبَهُ مِنْ سِتِّهِ ^(٦) .
وَطَفِقَ يُقَلِّدُ مَدَنِيَّةَ الْغَرْبِ ؛ كَمَا قَلَّدَ الْغَرْبُ مَدَنِيَّةَهُ مِنْ قَبْلُ .
غَيْرَ أَنَّ السَّيْرَ ضَعِيفٌ ، وَالسَّعْيَ بَاطِلٌ . وَأَكْثَرُ الْمُقَلِّدِينَ لَمْ
يَتَمَسَّكَ إِلَّا بِقُشُورِ التَّمَدُّنِ ، تَارِكًا لُبَّابَهُ . فَمَا يَذَرُ سَوْنَهُ ،
إِنَّمَا هُوَ نَظَرِيَّاتٌ لَا تُسَمِّنُ وَلَا تُغْنِي مِنْ جُوعٍ . وَالْعِلْمُ إِنَّمَا
هُوَ الْعَمَلُ . وَهُوَ لَا يَفْعَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ . وَفَائِدَةُ الْعُلُومِ
الْكَوْنِيَّةِ (أَوِ الْمَصْرِئِيَّةِ) هُوَ الْوَصُولُ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْغَرَبِيُّونَ ،
مِنْ إِنْشَاءِ الْمَعَامِلِ وَدَوْرِ الصِّنَاعَاتِ ، الَّتِي تُدْرِئُ عَلَى الْبِلَادِ غِنًى .

(١) الشَّكَايِمُ : جَمْعُ شَكِيمَةٍ ، وَهِيَ حَدِيدَةٌ الْجَامِ الْمَعْرُضَةُ فِي فَمِ الْفَرَسِ

(٢) الشَوَائِبُ : الْإِخْلَاطُ ، وَالْعِيُوبُ ، وَالْأَدْنَاسُ

(٣) أَنْتَبَجَرَ : انْجَبَطَ وَاتَّسَعَ

(٤) دَهَمَهُمْ : جَاءَهُمْ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ

(٥) التَّهْذِيبُ : الْإِصْلَاحُ وَالتَّهْذِيبُ

(٦) السِّتَةُ : الْغَفْلَةُ ، وَالتَّوَمُّ

وَعَرُوةٌ ، وَتَجْتَاحُ مِنْهَا الْفَقْرُ ^(١) ، وَتَقْضِي عَلَى الْبُؤْسِ ^(٢) .

وَهُنَاكَ قَوْمٌ ، مِمَّنْ يَدْعُونَ تَقْلِيدَ بَنِي الْغَرْبِ ، لَمْ يُتِمَّادُوا هُمْ
فِي عِلْمٍ مُفِيدٍ ، وَلَا عَمَلٍ نَافِعٍ . وَإِنَّمَا قَلَّدُوا فَسَادَهُمْ وَفَاسِدِي
الْأَخْلَاقِ مِنْهُمْ . فَلَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَّا أَتْبَاعَ الْهَوَى ،
وَالْعَمَلَ بِالْمَنَاكَرِ ، وَالتَّفَنُّنَ فِي الْأَزْيَاءِ ^(٣) ، وَالتَّحَسُّكَ بِسَافِلِ
الْعَادَاتِ ، وَتَبْذِيرَ الْأَمْوَالِ فِي سَفِيهِ الْأَفْعَالِ .

فَأَحْذَرُ ، أَيُّهَا النَّاشِيءُ ، أَنْ تَفْهَمَ الْمَدِينَةَ فَتُحِمَّ لَا يَنْطَبِقُ
عَلَى حَقِيقَتِهَا ، فَتَخْسِرَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ ، وَتَجْتَذِبَ إِلَى جَسَمِكَ
الْأَمْرَاضَ ، وَالْإِلَى عَقْلِكَ الْفُسَادَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَدِينَةَ الصَّحِيحَةَ هِيَ مَا شَرَحْتُ لَكَ .
فَتَمَسِّكُ بِعُرَاهَا ^(٤) ، وَأَعْمَلُ بِمُقْتَضَاهَا ، تَنَلُ نَفْسُكَ الْعَاقِلَةَ
مِنْهَا ، وَتَقْزُ بِمُشْتَهَايَا .

(١) تَجْتَاحُ : تَسْتَأْصِلُ وَتَحْوِ

(٢) الْبُؤْسُ : الشَّدَّةُ وَالشَّقَاؤُ .

(٣) الْأَزْيَاءُ : جَمْعُ زِيٍّ ، بِكسْرِ الزَّايِ ، وَهُوَ الْهَيْئَةُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هَيْئَةُ الْمَلَابِسِ وَنَحْوَهَا

(٤) الْعُرَا : جَمْعُ عُرْوَةٍ هِيَ مَا يُؤْتَقُّ بِهِ وَيُعَوَّلُ عَلَيْهِ ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ : مَقْبِضُ

الدَّلْوِ وَالْكُوزِ وَنَحْوَهُمَا ، وَمَا يَدْخُلُ فِيهِ الزَّرُّ مِنَ النَّمِيمِ وَنَحْوِهِ

الوطنية

ما عَجِبْتُ لِأَحَدٍ قَطُّ عَجَبِي مِمَّنْ يَدَّعِي الوطنية ،
وَيَزُعمُ أَنَّهُ يَفْدي الوطنَ بِدمه وماله ؛ ثُمَّ تَراهُ شَديداً في
تَخرِيبِ صِباصِبه ^(١) ، بما يَأْتِيهِ من ضُروب النِّكَايةِ فيه ^(٢) .

ليس كُلُّ من يُنادي بالوطنية وطنياً ؛ حَتَّى تَراهُ عامِلاً
للوطن بما يُحْيِيهِ ، باذلاً ما عَزَّ وهَانَ في سَبيل تَرقِيهِ ؛ يَسعى
مَعَ السَّاعِينَ في إِعلاء شأنه ، وَيُنْصَبُ ^(٣) مَعَ النَّاصِبِينَ
في حَفظ كِيانِهِ .

أَمَّا من يَسعى فيمَا يَفُتُّ في عَضُدِهِ ، وَبِكَسْرِ
في ساعده ^(٤) ، فَقَدْ بَعُدَ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الوطنية ، وَلَوْ رَفَعَ
عَقِيرَتَهُ ^(٥) ، وَمَلَأَ الْأَقْطارَ صُراخاً ، وَنادى في الأُمّة : أَنِ
إِنِّي مِنَ الْوُطَنِيِّينَ الْمُخْلِصِينَ .

(١) الصياصي : الحصون ، وكل ما امتنع به ؛ والمفرد صبمة وصيصبة

(٢) النكايّة : القهر ؛ يقال نكاه ونكى فيه ، أي : قهره وظلمه

(٣) ينصب : يتعبد

(٤) العضد : هو من المرفق إلى الكتف . وفَتُّ العضد وكَمَرُ السَّاعِدِ : كناية

عن إضعاف القوة وتفريق الأعداء

(٥) العقيرة : الصوت

الوطنية الحق هي حب إصلاح الوطن ، والسعي
في خدمته . والوطني كل الوطني من يموت ليحيا وطنه ،
ويمرض ليصح أمته .

ألاً ، إن للوطن على أبنائه حقوقاً ؛ فكما لا يكون الابن
أبناً حقيقياً حتى يقوم بواجب الأبوة ، فكذلك ابن الوطن ،
لا يكون أبناً باراً حتى ينهض بأعباء خدمته ^(١) ؛ ويدفع عن
جماه المؤذنين ، ويذود عن حياضه المدلسين ^(٢) .

ومن هذه الحقوق تكثير سواد المتعلمين ، المتخلفين
بصحيح الأخلاق ، المغرورس في قلوبهم تلك الحكمة المشهورة :
« حب الوطن من الإيمان » . وذلك لا يكون إلا بئذل المال
في سبيل المصالح العامة ، وإفراغ الوُسْع في تشييد المدارس ،
التي تنفث في روع النابت روح الوطنية ^(٣) ؛ وتنبث في نفوسهم
غراس الفضيلة والعمل الصالح ، ونهيب بهم ^(٤) لينهضوا
— متى بلغوا مبلغ الرجولة — إلى خدمة هذا الوطن العيس ،

(١) الأعباء : الاحمال الثقيلة ؛ والمفرد عيب

(٢) يذود : يدفع ويمنع — والتدليس : أن يظهر المرء الشيء على خلاف ما هو

عليه ؛ وأصل معناه : كتم عيب السلة عن المشتري

(٣) تنفث : تلقى — والروع : القلب — والنابت : النش

(٤) نهيب بهم : تناديهم

الذي ضربه أبناؤه ، أكثر مما ضربه أعداؤه .

وعن هؤلاء النابتين نصدُرُ 'مَقَوِّمَاتُ' الحياة لهذه الأمة ،
التي كادت - بسبب 'خمولها' و'جمودها' - تُكْتَبُ في
أسفار الأمم المندرسة ^(١) .

متى نشأ هؤلاء التلاميذ - الذين يُرَبُّونَ تلك التربية
الصحيحة - ودخلوا 'معترك' الحياة الاجتماعية ، كان منهم
ملا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطرٌ على قلب بشر .
التربية الحقُّ رُوحُ الحياة ، والعلمُ دَمُ الوطن . ولا
تُمكننا الحياة السعيدة إلا بها . فالتربية تدفعُ الى السعي
والعمل ، والعلمُ يُرشدُ الى طريق السعادة .

نحن في حاجةٍ الى المصانع الوطنية ، والتجارة الوطنية ؛
لنشال البلادُ الاستقلالَ الاقتصادي ، وتَنَحَّلَ من يَدِ
الحاجة الى الأجانب . فمن سعى نحوَ استقلال الوطن وتخليصه
من يدِ يَدِهِ الى غيره ، كان الرجلَ الوطني ، الذي تنحني
أمامه الرؤوسُ إجلالاً .

إنَّ لكلَّ نتيجةٍ 'مَقَدِّمَاتُ' و'مَقَدِّمَاتُ' الاستقلالِ
مربيةُ الناشئين وتعليمهم ؛ ليكونوا يَدَ الوطن العاملة ،

(١) الاسفار : الكتب ؛ والفرد سفر - والمندرس : المقرضة التي
انطس ذكرها ومجدما

وَرَوْحَهُ الْمُقَوِّمَةَ ، وَدَمَهُ الْجَارِيَّ فِي عُرْوَقِهِ . فَعَلِمُوا
الْأَوْلَادَ ، تَسْعِدِ الْبِلَادَ .

‘حُبُّ الْوَطَنِ مَلَكََةٌ مِنْ مَلَكَاتِ النَّفْسِ’^(١) ، لَا يُسْكِرُهَا
إِلَّا الْإِفَّاكَونُ^(٢) أَوْ الْوَاهِمُونَ . وَإِنَّمَا يَصْدِفُ النَّفْسَ^(٣) عَنْ
هَذَا الْحُبِّ فُسَادٌ فِي التَّرْبِيَةِ ، أَوْ خَالٌ فِي الدِّمَاغِ ، أَوْ عِرْقٌ
كَانَ أجنبيًّا ؛ فَهُوَ يَدْفَعُ الدُّخِيلَ إِلَى مُعَادَاةِ وَطَنِ فِيهِ وَلِدٌ ،
وَفِي أَرْضِهِ نَشَأٌ ، وَبِلْبَانِهِ تَغْدَى^(٤) ؛ وَيَجْعَلُهُ يَحِنُّ إِلَى أَرْضٍ لَمْ
يَعْرِفْهَا ، سِوَى أَنَّهُ كَانَتْ مَنْشَأَ أَبِيهِ أَوْ آبَائِهِ مِنْ قَبْلُ ،
وَيُشَوِّقُهُ إِلَى قَوْمٍ لَمْ يَعْرِفْ عَادَاتِهِمْ ، وَلَا يَفْهَمُ لُغَتَهُمْ ، وَلَا
تَجْمَعُهُ بِهِمْ جَامِعَةٌ ؛ سِوَى أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ . وَيَالَيْتَ مَنْ كَانَ
مِثْلَهُ يَكْتَفِي بِذَلِكَ الْحَنِينِ ؛ فَلَا يَسْعَى لِاتِّقَاصِ وَطَنِ آوَاهُ
وَنَصْرِهِ ، بَعْدَ أَنْ لَفَظَتْ آبَاؤُهُ بِلَادُهُمْ لَفْظَ النُّوَاةِ^(٥) ؛ وَلَا
يَعْمَلُ لِإِحْبَاطِ^(٦) كُلِّ مَسْعَى يُسْعَى لِإِنْهَاضِهِ .
فَإِلَيْكَ ، أَيُّهَا النَّشْءُ الْكَرِيمُ ، تُبْسِطُ يَدُ الرَّجَاءِ . فَأَنْهَضْ ،

(١) مَلَكََةٌ : صِفَةٌ رَاسِمَةٌ

(٢) الْإِفَّاكَونُ : السَّكَاذِبُونَ أَشَدَّ الْكَذِبِ

(٣) يَصْدِفُ : يَصْرِفُ ؛ يُقَالُ : صَدَفَ عَنِ الشَّيْءِ ، إِذَا انْصَرَفَ عَنْهُ وَاعْرَضَ ،

وَصَدَفَهُ عَنْهُ وَأَصْدَفَهُ عَنْهُ ، أَيُّ : صَرَفَهُ عَنْهُ

(٤) الْبِلَانُ : الرِّضَاعُ

(٥) لَفَظَتْ : طَرَحَتْ . وَاللَّفْظُ : الطَّرْحُ — وَالنُّوَاةُ : بَذْرَةُ التَّمْرِ وَنَحْوُهُ

(٦) إِحْبَاطُ : إِبْطَالُ

رعاكَ اللهُ ، لِلْعِلْمِ ، وَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِ أَسْلَافِكَ ، فَإِنَّ الْوَطْنَ
يُنَادِيكَ : إِيَّيْكَ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ .

وَأَحْذَرُ أَوْلَئِكَ الرَّسَّامِينَ ^(١) ، وَتَقَيِّظُ لِحَبَائِلِهِمْ ^(٢) ، وَنَسْبُهُ
لِشُرُورِهِمْ فِيهِمْ دَاءٌ وَطَنِكَ الْعُضَالُ ^(٣) ، وَالسُّمُّ الْقَتَالُ . وَمَا
نَهَكَ ^(٤) الْوَطْنَ مِنْ قَبْلُ ، وَمَا يَفْعَلُ عَلَى إِضْعَافِهِ مِنْ بَعْدُ ، إِلَّا
هُوَ لَاءُ الْمُجْرِمُونَ . فَإِنَّهُمْ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ ، وَأَدْوَى الْأَدْوَاءِ ^(٥) .
فَكُنْ عَلَيْهِمُ الْخَطْبُ النَّازِلُ ، وَالْدَّاءُ الْقَاتِلُ ، وَالْمَوْتُ
الزُّوَامُ ^(٦) ، وَالْعَيْنُ الَّتِي لَا تَنَامُ . وَإِيَّاكَ أَنْ يَطِيبَ لَكَ الْمَقَامُ ،
قَبْلَ أَنْ تَرِيشَ السِّهَامَ ^(٧) ، وَتَقِفَ بِالْعِرْصَادِ ، لِأَهْلِ الْفُسَادِ .
فَحَقِّقِ الْأَمَلَ ، يَحْيَ بِكَ الْوَطْنَ .

(١) الدساس : المرائي بعله ، فهو يندس أي : يدخل مع الاخيار وليس منهم
والدساس : حية خبيثة تندس هادئة ، حتى اذا امكنها السم لست

(٢) الحبائل : المكاييد ؛ وأصل معناها : المصايد

(٣) العضال : الشديد الغالب

(٤) نهك : أضعف واضنى وأتعب

(٥) أدوى الادواء : أشدها — والادواء : جرم داء

(٦) الزوام : السريم الكريمة

(٧) تریش السهام : تفرق عليها الریش . وریش السهام : كناية عن النهوض

للرمي — والسهام : النبال

الحرية

إِنَّ لِلْأَنَامِ أَجَالًا^(١) . وَأَجَلُ كُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ تَفْقَدُ حُرِّيَّتها .
الْحُرِّيَّةُ هِبَةٌ مِنَ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ ، يُصَرِّفُهَا فِيمَا يَبْغُو
عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ بِالسَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ .

وَتَدُلُّ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَعْنَى الْخُلُوصِ ؛ فَالْحُرُّ : خِلَافُ
الْعَبْدِ ، لَخُلُوصِهِ مِنَ الرِّقِّ . وَحُرُّ كُلِّ شَيْءٍ : خِيَارُهُ .
وَالْحُرُّ مِنَ الطِّينِ وَالرَّمْلِ : هُوَ الطَّيِّبُ مِنْهُمَا . وَرَمَلَةٌ حُرَّةٌ ،
أَيُّ : صَالِحَةٌ لِلْإِنْبَاتِ . وَحُرُّ كُلِّ أَرْضٍ : أَطْيَبُهَا .

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذِهِ الْمَادَّةَ تَدُلُّ عَلَى الطَّهَارَةِ وَالْجُودَةِ^(٢)
وَلَخُلُوصِ الشَّيْءِ مِمَّا يُكَدِّرُ صَفَاءَهُ وَجُودَتَهُ .

وَالْحُرُّ - بِالْمَعْنَى الْمَدْنِيَّةِ الصَّحِيحَةِ - مَنْ كَانَ خَالِصَ
التَّزْيِيَةِ ، نَقِيَ النَّفْسَ ، مُتَمَسِّكًا بِالْفَضَائِلِ ، نَافِرًا مِنَ الرِّذَائِلِ ،
كَاسِرًا عَنْهُ قِيُودَ الْعُبُودِيَّةِ ، عَامِلًا بِمَا يَطْلُبُهُ مِنْهُ الْوَاجِبُ .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يُخْلَقْ لِيَكُونَ عَبْدًا غَيْرَهُ ، وَلَا لِيَكُونَ
كُرَّةً^(٣) تَتَقَاذَرُهَا الْأَهْوَاءُ^(٤) ، وَتَعْمَلُ عَلَى تَحْرِيكِهَا أَيْدِي

(١) الْأَجَالُ : جَمْعُ أَجَلٍ ، وَهُوَ مَدَّةُ الشَّيْءِ . وَوَقْتُهِ الَّذِي يَجَلُ فِيهِ وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ

(٢) الْجُودَةُ ، بِضَمِّ الْجِيمِ : الصَّلَاحُ

(٣) الْكُرَّةُ : كُلُّ جَسْمٍ مُسْتَدِيرٍ ؛ وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْكُرَّةُ الْمَرْوُفَةُ الَّتِي يُلَبِّسُ بِهَا

(٤) الْأَهْوَاءُ : الْأَفْرَاضُ الْمُخْتَلِفَةُ ، وَهِيَ جَمْعُ هَوَى النَّفْسِ

الزعماء^(١) ، ونُصِرَ فيها حَسَبَ رَغَائِبِهَا^(٢) نُفُوسُ الْكِبَرَاءِ ؛
بَلْ 'خُلِقَ لِيَعْمَلَ' ، مُنْفَرِدًا وَجَمِيعًا بِمَقْتَضَى السُّنَّةِ الْإِلَهِيَّةِ
الْعَامَّةِ ، وَهِيَ الْحَرَبِيَّةُ .

وَلَمْ تُسَلَبْ هَذِهِ النِّعْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ الْكُبْرَى - مِنْ كَثِيرٍ مِنَ
النَّاسِ - إِلَّا بِسَبَبِ مَا أَفْسَدَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ نُفُوسِهِمْ ؛ فَلَمْ يَدْعُوا
إِلَى تَنْوِيرِ أَذْهَانِهِمْ بِالْعِلْمِ سَبِيلًا ؛ لِأَنَّ الظَّالِمِينَ يَعْلَمُونَ يَقِينًا أَنَّ
الْعِلْمَ الصَّحِيحَ يَهْدِي إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقُّوقِ ؛ فَهُوَ الشَّرَارَةُ الَّتِي
تُوقَدُ فِي النُّفُوسِ الْهَيْمِ ؛ وَتَحْرُبُ بِالْعَاقِلِ^(٣) أَنَّ يَكُونَ آلَةً
تُدِيرُهَا الْمُحَرَّرَاتُ الْإِسْتِبْدَادِيَّةُ .

وَقَدْ قَالَ 'عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ' لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، يَوْمَ
خُزَيْبٍ وَلَدَهُ الْقِبْطِيَّ : « مَتَى أَسْتَعْبِدُتُمُ النَّاسَ ، وَقَدْ
وَلَدْتُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا ؟ ! » .

أَلَا ، أَنَّ الْحُرَّ لَا يَكُونُ حُرًّا ، إِلَّا إِذَا تَهَذَّبَتْ نَفْسُهُ ،
وَنَمَتْ فِيهَا مَلَكَةُ الْإِرَادَةِ ، وَحَظِيَ مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ بِحَظٍّ
غَيْرِ قَلِيلٍ ؛ ثُمَّ أَقْدَمَ عَلَى تَحْرِيرِ نَفْسِهِ مِنْ رَبِّقٍ^(٤) مِنْ بَنَائِلِهَا

(١) الزعماء : الرؤساء ، والمفرد زعيم

(٢) الرغائب : المشتبهات ؛ وهي جمع رغبة ، وهي الامر المرغوب فيه

(٣) تربأ بالعاقل : ترفه ؛ يقال : ربأ به عن كذا ؛ رفته عنه فلم يرضه له

(٤) الربيق : جمع ربة وهي العروة من جل فيه عدة عُرى تُشد به البهائم

بِالْقُوَّةِ وَالْجَبَرُوتِ . فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَقَدْ شَسَعَتْ^(١) بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْحَرِّيَّةِ الْمَسَاوِفُ^(٢) ؛ وَكَانَ بَيْنَهُمَا مَفَاوِزُ^(٣) جَمَّةُ الْمَخَاوِفِ^(٤)

لَيْسَ بِالْحُرِّ مَنْ أَخَذَ الْحَرِّيَّةَ عُتْوَانًا^(٥) الرُّذَائِلَ ، وَطَرِيقًا
لِلْمَفَاسِدِ ، وَسِيفًا يَجْتَابُ^(٦) بِهِ أُرْدِيَةَ الْعِنَةِ^(٧) ، وَرُمَحًا يَطْعُنُ
بِهِ الْفَضِيلَةَ ، وَسَهْمًا يُمَزِقُ^(٨) أَعْرَاضَ النَّاسِ .

وَلَيْسَ مِنَ الْحَرِّيَّةِ أَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ مَا يَضُرُّ بِهِ
وَبغیره : مِنْ إِسْرَافٍ فِي الْأَمْوَالِ ، وَإِضَاعَةٍ لِلْإِنْسَانِيَّةِ ،
وَإِبَاحَةٍ لِلْمُنْكَرَاتِ ، وَسَعْيٍ فِي إِفْسَادِ الْهَيْئَةِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ ، بِمَا
يَأْتِيهِ مِنْ ضُرُوبِ الْإِيْذَاءِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْغِيْبَةِ^(٩) وَالْعُدْوَانِ ،
وغير ذلك من نقائص الأخلاق .

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَدَّعِي الْحَرِّيَّةَ ، وَقَدْ لَبَسَ^(١٠) لُبُوسَ
الْعُبُودِيَّةِ . فَهُوَ أَسِيرٌ لِّشَهْوَانِهِ ، عَبْدٌ لِّزُعْمَائِهِ وَأَمْرَائِهِ ، مَمْلُوكٌ
لِنَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ ؛ تَدْفَعُهُ إِلَى الْمَوَاقِفِ فُجِيبٍ^(١١) ؛ وَتَحْفِزُهُ إِلَى

(١) شسعت : جدت — والمساف : جمع مسافة

(٢) المفاوِز : الأماكن المهلكة ، والمفرد مفازة — وجمة : كثيرة

(٣) يجتاب : يقطع — والأردية : جمع رداء ، وهو الثوب

(٤) الضروب : الأنواع — والنميمة : قتلُ أحاديث الناس لا يطاق المفاسد —

والغيبة : أن تذكر الناس بما يكرهون

(٥) اللبوس : ما يلبس

(٦) المواقف : المعاصي المهلكة

السَّعَايَةِ بِغَيْرِهِ ^(١) وَالضَّرَرَ بِهِ ، فَيَطِيرُ إِلَى تَلْبِيَّتِهَا ^(٢) . وَإِنْ
دَعَاهُ دَاعِي الْعَقْلِ إِلَى مَا يُحْيِيهِ ، وَأَهَابَ بِهِ حَادِي الْوَجْدَانِ ^(٣)
إِلَى مَا يُعْلِيهِ ، وَنَادَاهُ مُنَادِي الشَّهَامَةِ إِلَى مَا يَنْهَضُ بِشَعْبِهِ
وَيُقَوِّيهِ ، تَصَامٌ عَنِ الْبِدَاءِ ^(٤) ، أَوْ سَلَكَ طَرِيقَ الْمَرَاءِ ^(٥) . ثُمَّ
هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ ، يَدَّعِي أَنَّهُ إِنْسَانٌ حُرٌّ . وَمَا الْإِنْسَانِيَّةُ وَالْحُرِّيَّةُ
إِلَّا عَامِلَانِ لِلْعُمُرَانِ ، وَرُكْنَانِ لِلْاجْتِمَاعِ .

أَيَّةُ أُمَّةٍ أَرَادَتْ أَنْ تَكُونَ فِي ذُرُورَةٍ مِنَ الْحَضَارَةِ سَامِيَةٍ ^(٦) ،
وَمَكْنَةٍ مِنَ السَّعَادَةِ عَالِيَةٍ ، فَعَلَّيْهَا أَنْ تُرَبِّيَ أَفْرَادَهَا عَلَى
الْحَرَبَةِ الصَّحِيحَةِ ، وَتُغْذِّيَ أَبْنَاءَهَا بِدَرِّهَا الطَّهُّورِ الْخَالِصِ ^(٧) .
فَانْهَضُوا ، أَيُّهَا النَّاشِثُونَ ، إِلَى الْحَرَبَةِ الْخَالِصَةِ ،
الْحَالِيَةِ مِنْ شَوَائِبِ الْمَدَلِّسِينَ ^(٨) ، فَإِنَّهَا سَبِيلُ النَّجَاحِ ، وَهِيَ
الْحَيَاةُ السَّعِيدَةُ .

(١) تَحْفَظُهُ : تَسَوِّقُهُ وَتَدْفَعُهُ — وَالسَّعَايَةُ : الْوَشَايَةُ

(٢) طَارَ إِلَى الْأَمْرِ : اسْرَعَ إِلَيْهِ — وَالتَّلْبِيَةُ : الْإِجَابَةُ

(٣) أَهَابَ : نَادَاهُ وَزَجَرَهُ وَصَرَخَ بِهِ — وَالْحَادِي فِي الْأَصْلِ : مَنْ يَهْدِي

الْأَبْلَى ، أَيْ : يَسَوِّقُهَا وَيَهْدِي لَهَا لِقَايَ عَلَى السَّبِيلِ

(٤) تَصَامٌ : أَظْهَرَ الصَّمَمَ ، أَيْ : الطَّرَشَ وَلَيْسَ فِيهِ

(٥) الْمَرَاءُ : الْجِدَالُ وَالْمُنَازَعَةُ وَاللِّجَاجُ

(٦) الذَّرُورَةُ : أَعْلَى كُلِّ شَيْءٍ — وَالْحَضَارَةُ : الْمَدِينَةُ

(٧) الدَّرُّ : اللَّيْنُ

(٨) الشَّوَائِبُ : الْإِخْلَاطُ ، وَالْيُوبُ ، وَالْإِدْفَاسُ — وَالْمَدَلِّسُ : مَنْ يَظْهَرُ الشَّيْءَ

عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَأَصْلُ التَّدْلِيسِ : كَتَمَ حَيْبَ السَّلْعَةِ عَنْ الْمُشْتَرِي

انواع الحرية

إن للحرية أنواعاً : منها حرية الفرد ، وحرية الجماعة ،
والحرية الاقتصادية ، والحرية السياسية . ولا تقوم لشعب
قائمة إلا بهذه الحريات الأربع .

فحرية الفرد - وقد نُسِي الحرية الشخصية - أمر
عظيم الخطر^(١) . وعليه تَوَقَّفُ حرية الجماعة ؛ لأن الجماعة
تتألف من الأفراد . فحريتها لا تكون إلا بحرية أفرادها .
فعلى الأمة - التي تودُّ أن تكون حرة - أن تسعى لتربية
أفرادها تربية حرة ؛ ليتكون منها مجموع حرة .

وحرية الفرد تشمل حرية القول والكتابة والطباعة
ونشر الفكر ؛ من غير رقيب ولا مواءمة ؛ على شرط أن
لا يُخل ذلك بحرية غيره .

فهو حرٌّ أن يعتقد ما يشاء ؛ من العقائد الدينية والعلمية
والسياسية والاجتماعية ؛ وإن يجاهر بذلك ؛ إلا إن دعت
مجاهرته إلى انفصام عروة من عرى الاجتماع^(٢) ؛ وأن

(١) الخطر : الشرف وارتفاع القدر

(٢) الانفصام : الانقطاع - والعروة : ما يوثق به ويحول عليه ؛ وأصلها : دخل الزر

يَتَصَرَّفُ بِمَا يَبْلُغُ : من تَقْدِيرٍ وَعَقَارٍ^(١) وَغَيْرَهُمَا ؛ إِلَّا إِنْ أَدَّى
عَمَلَهُ إِلَى السَّفَهِ^(٢) ؛ فَلَهُ حِينَئِذٍ حُكْمُ الْمَحْجُورِ عَلَيْهِ^(٣) .

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ فِي 'حُرِّيَّةِ الْفَرْدِ' ، أَنَّهَا أَمْرٌ يَنْتَهِي حَيْثُ
تَبْتَدِي 'حُرِّيَّةُ سِوَاهُ' . فَالْوَاجِبُ عَلَى الْفَرْدِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى
'حُرِّيَّةِ غَيْرِهِ' ، كَمَا يُحَافِظُ عَلَى 'حُرِّيَّةِ نَفْسِهِ' .

و'حُرِّيَّةُ الْجَمَاعَةِ' : أَنْ يَكُونَ لَهَا حَقُّ الْأَجْتِمَاعِ أَيْنَ شَاءَتْ
وَمَتَى شَاءَتْ ؛ إِلَّا إِنْ كَانَتْ مُسَلَّحَةً ، فَتُضَمَّعُ مِنْ ذَلِكَ .
لَأَنَّ عَمَلَهَا هَذَا رُبَّمَا أَدَّاهَا إِلَى مَا يُنَافِي الْحُرِّيَّةَ الصَّحِيحَةَ ؛ وَأَنْ
يَكُونَ لَهَا الْحَقُّ فِي تَأْلِيفِ الْجَمْعِيَّاتِ عَلَى اخْتِلَافِ مَشَارِبِهَا :
مِنْ عِلْمِيَّةٍ وَأَدَبِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ وَصَنَاعِيَّةٍ وَخَيْرِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ ؛ عَلَى
شَرْطِ أَنْ تُطَابِقَ أَنْظِمَتُهَا^(٤) مَا يَسْتُهُ مَجْلِسُ الْأُمَّةِ مِنْ
الْقَوَانِينِ الدِّسْتُورِيَّةِ . لِذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ رِجَالُ هَذَا
الْمَجْلِسِ مَحَنٌ عُرِفُوا بِالْحُرِّيَّةِ ، وَالْعِلْمِ ، وَالصِّدْقِ ، وَصِحَّةِ
الْوُجْدَانِ ، وَالْعَقْلِ ، وَالرَّوْيَةِ ؛ كَيْلَا يَسُنُّوا لِلْأُمَّةِ مَا يَقِيدُ
'حُرِّيَّتَهَا' ، وَيُنَافِي مَصْلَحَتَهَا .

(١) التقد : الدرهم ؛ والجمع قود — والعقار ، بفتح العين : الدار والأرض ونحوهما

(٢) السفه : خفة العقل ، والجهل ، والطيش

(٣) المحجور عليه : المنوع من التصرف بماله بسبب السفه أو الجنون أو التبذير

(٤) الأنظمة : القوانين

والحرية الاقتصادية ، هي حياة الأمة المادية . فإن
لم تُنطَق لها حرية التجارة والزراعة وإنشاء المصانع وأستخراج
المعادن ، للارتفاع بما نُكِنُّهُ الأرض^(١) من موارد الرزق ،
كانت حياتها كأمري شدة ودقة^(٢) ، ووضع الحبل في
عنقه ، وقد مسك بطرفه رجالان ذوا بأس شديد ،
فهما يهددانه بالخنق ، ويتوعدانه بالموت ، وهو يترقب^(٣)
أن تفيض روحه من ساعته الى أخرى .

إن أوربة لم تفيض على ناصية الثروة^(٤) ، إلا بعد أن
أطلقت الحرية الاقتصادية من قيودها ، مع ما أطلقته من أنواع
الحرية . ففي يديها اليوم أرواح المشاركة ، فإن شاءت قتلتهم
منعت عنهم أموالها ، وردت اليها مافي بلادهم من ذهبها .

إن بلادنا غنية بتربتها ومعادنها ، ولكنها فقيرة
برجالها الأكفاء لإسعادها^(٥) والنهوض بها .

(١) نكته : نخفه وتستره

(٢) الوثاق ، بفتح الواو : ما يُشدُّ به الأسير من حبل وقيد ونحوهما

(٣) يترقب : ينتظر

(٤) الناصية : مقدم الرأس

(٥) الأكفاء : من فيهم الكفاية ، أي الاهلية ، والمفرد كفي . واما الإكفاء

فهم الامثال ، والمفرد كفؤ بمعنى المثل والمماثل ، وهو من الكفاءة ، بمعنى المائة . فيبين
الكفاءة والكفاءة فرقاً ، واكثر الناس لا يفرقون بينهما ، توهماً او خطأ

يَأْتِي الْأَجْنَبِيُّ بِلَادَنَا ؛ فَيَبْتَاعُ أَرْضَنَا ^(١) ، وَيَنْتَفِعُ
بِخَيْرَاتِهَا ، أَوْ يَبَالُ فِيهَا « أُمْتِيَاظًا » ؛ فَيَسْتَشْرِقُ مَوَاضِعَ مِنْهَا ؛
وَيَسْتَخْرِجُ مَا فِي بُطُونِهَا مِنْ أَجَنَّةِ الْمَعَادِنِ ^(٢) ، الَّتِي تُدْرَى
عَلَيْهَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ؛ وَنَحْنُ عَنْ ذَلِكَ لَاهُونَ ، وَبَاهَوَاتِنَا
مُشْتَغِلُونَ ^(٣) ، وَعَلَى قَضْمِ عُرَى الْوَاحِدَةِ عَاكِفُونَ .

وَالْحُرِّيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ : أَنْ نَكُونَ الْأُمَّةُ مُسْتَقِلَّةً أَسْتِقْلَالًا
تَامًا بِكُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُئُونِهَا ؛ غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ بِسِلَاسِلِ أُمَّةٍ
غَيْرِهَا . فَهِيَ الَّتِي تَضَعُ أَنْظِمَتَهَا ، الَّتِي تُلَاثِمُ مَزَاجَهَا ؛ وَتُمَضِّي
الْعُهُودَ مَعَ مَنْ شَاءَتْ مِنَ الْأُمَمِ ؛ وَتَضْرِبُ الضَّرَائِبَ عَلَى
مَا يَرِدُ إِلَيْهَا مِنْ سِلْعِ الدِّيَارِ الْأَجْنَبِيَّةِ . وَتَبْذُلُ الْوُسْعَ
لِنَشِيطِ الْأَعْمَالِ الزَّرَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَدُورِ الصَّنَاعَاتِ
الْوَطَنِيَّةِ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُمَيِّزَاتِ الْأُمَمِ الْمُسْتَقِلَّةِ .

وَلَا نَتِمُّ هَذِهِ الْحُرِّيَّةُ ، إِلَّا إِذَا وَفَّقَتِ الْأُمَّةُ
لِتَثْبِيتِ أَرْكَانِ الْحُرِّيَّاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي نَقَدَّمُ ذِكْرَهَا . فَإِنْ
لَمْ نَكُنْ الْأُمَّةُ كَذَلِكَ ، كَانَ سَيْرُهَا نَحْوَ التَّرْقِي بِطَيْئًا ، وَأَنْتِ

(١) يَبْتَاعُ : اشْتَرَى

(٢) الْأَجَنَّةُ : جَمْعُ جَنِينٍ وَهُوَ الْمُسْتَوْرٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الْوَلَدُ

مَا دَامَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ جَنِينًا

(٣) الْاِهْوَاءُ : جَمْعُ هَوًى ، وَهُوَ مِيلُ النَّفْسِ الْقَاسِدِ

لِلظَّالِمِ أَنْ يُدْرِكَ شَأْوَ الضَّالِّعِ ^(١) ! .

يَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ - إِنْ أَرَادَتْ الْحَيَاةَ - أَنْ تَسْعَى
لِبَثِّ أَنْوَاعِ الْحَرْبَةِ الْأَرْبَعَةِ فِي نَفُوسِ أِبْنَائِهَا . فَإِنَّ الْأُمَّةَ ،
إِنْ فَقَدَتْ 'حُرِّيَّتَهَا' - الَّتِي هِيَ قِوَامُ حَيَاتِهَا - كَانَتْ أَقْرَبَ
إِلَى الْأَنْحِلَالِ وَالزَّوَالِ ، مِنْهَا إِلَى الْبَقَاءِ

فَتَشَدَّدْ ، أَيُّهَا النَّشْءُ الْكَرِيمُ ، وَتَعَلَّمْ دُرُوسَ الْحَرْبَةِ
الصَّحِيحَةِ ، وَاحْذَرِ أَنْ تَنْظُنَّ الْحَرْبَةَ مَا يَظُنُّهُ مِنْ لَا خِلَاقَ لَهُمْ .
ثُمَّ أَسْعَ لِنَشْرِهَا فِي أُمَّتِكَ . وَأَجْهَدْ نَفْسَكَ فِي تَحْرِيرِ بِلَادِكَ مِنْ
رِقِّ الْعَادَاتِ السَّافِلَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاسِدَةِ . وَاتَّعَبْ لَتَكْسِرَ
عَنْهَا أَغْلَالَ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي تَنْوُؤُ بِهَا ^(٢) . فَمَعْنَى أَنْ تَنْشَطَ مِنْ
عِقَالِهَا ^(٣) ، وَتَطْرَحَ عَنْهَا قُبُودَهَا ، فَتَكُونَ بِذَلِكَ أُمَّةً 'حُرَّةً' ،
تَسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ أَمَامَ تَيَّارِ مَدَنِيَّةِ الْأُمَمِ .

فَإِنَّ الْأُمَمَ آجِلًا . وَأَجَلُ كُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ تَفْقِدُ 'حُرِّيَّتَهَا' .

(١) الظَّالِمُ : مَنْ يَخْصِرُ فِي مَشْيِهِ لَشِبْهَ عَرَجٍ فِيهِ - وَالشَّأْوُ : الْغَايَةُ - وَالضَّالِّعُ :
الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الْإِضْلَاعِ . وَالْمَعْنَى لَا يَصِلُ الضَّعِيفُ إِلَى مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْقَوِيُّ

(٢) الْأَغْلَالُ : الْقُبُودُ - وَتَنْوُؤُ بِهَا : تَنْقَلِبُهَا

(٣) تَنْشَطُ مِنْ عِقَالِهَا : تُخَلِّصُ مِنْهُ . وَالْعِقَالُ : حَبْلٌ يُقْبَلُ بِهِ الْبَعِيرُ فِي وَسْطِ ذِرَاعِهِ

الإرادة

ما رأيتُ أحداً جَزَمَ إِرَادَتَهُ ^(١) على أمرٍ إلا كان ،
ولا عَزَمَ شيئاً ^(٢) إلا وصلَ إليه .

ذلك ، أن الإرادةَ رَغْبَةٌ في الأمر ، يَتَّبِعُهَا سَعْيٌ إليه ،
وَبَذَلٌ جَوْدٌ لِتَحْقِيقِهِ ، وَتَهْيِئَةُ الْأَسْبَابِ الْمُمَكِّنَةِ لِإِجْرَائِهِ ،
ثُمَّ إِقْدَامٌ عَلَى عَمَلِهِ . وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَمْرَ كَائِنْ مَتَى اجْتَمَعَ
لَهُ كُلُّ هَذِهِ الدَّوَاعِي ^(٣) .

وقد عَبَّرَ الصُّوفِيَّةُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ : « إِنْ لَلَّهِ عِبَادًا
إِذَا أَرَادُوا أَرَادَ » . فَكَأَنَّهُمْ جَعَلُوا إِرَادَةَ اللَّهِ تَابِعَةً
لِلْإِرَادَةِ الْمُرِيدِ مِنْ عِبَادِهِ . وَهُمْ لَمْ يَعْنُوا بِذَلِكَ إِلَّا مَا شَرَحْنَاهُ .
فَإِنَّ الْمُسَبِّبَاتِ مَرُوءَةٌ لِأَسْبَابِهَا . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ حُصُولَ
الْمُرَادَاتِ مُتَوَقِّفًا عَلَى جَزْمِ الْإِرَادَةِ .

وقد وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » . وَلَا

(١) جزم الامر : قطع به قطعاً لا عودة فيه .

(٢) عزم الشيء وعزم عليه : عقد ضميره على فعله وقطع عليه وامضاء

من غير تردد فيه

(٣) الدواعي : الاسباب

رَيْبٌ ^(١) أَنْ مِنْ صَدَقَ الْعَزِيمَةُ ، وَأَحْسَنَ النِّيَّةَ ، وَوَجَّهَ
الْإِرَادَةَ ، وَأَقْدَمَ عَلَى مَا يَرْغَبُ فِيهِ بِقَلْبٍ مُرِيدٍ ، نَالَ
مَا يَتَمَنَّى ، وَفَازَ بِمُشْتَهَاهُ ؛ لِأَنَّ الْمُسَبَّبَ - وَهُوَ الْمُرَادُ -
كَائِنْ عِنْدَ وُجُودِ السَّبَبِ - وَهُوَ الْإِرَادَةُ -

الْإِرَادَةُ : تَرْبِيَةُ النَّفْسِ عَلَى الْحَزْمِ وَالْإِقْدَامِ عَلَى الْأَعْمَالِ
الْمُمَكِّنَةِ ، حَتَّى تَصِيرَ مَلَكَةً مِنْ مَلَكَاتِهَا ^(٢) . وَهِيَ سَعَادَةٌ
لَمَنْ تَخَلَّقَ بِهَا مَا وَرَاءَهَا سَعَادَةٌ . فَبِهَا يَعْمَلُ الْإِنْسَانُ ؛
وَبِهَا يَتَرَقَّى ؛ وَبِهَا يَتْرُكُ مَا أَلْفَهُ مِنَ الْعَادَاتِ الضَّارَّةِ
وَالْأَخْلَاقِ الشَّائِنَةِ ^(٣) ؛ وَبِهَا يَكُونُ أَمِيرًا عَلَى نَفْسِهِ ،
سُلْطَانًا عَلَى مَلَكَاتِهِ ؛ وَبِهَا يَكُونُ إِنْسَانًا كُلَّ الْإِنْسَانِ . فَإِنَّ
الْإِنْسَانَ الْكَامِلَ مِنْ لَا يَصُدُّهُ ^(٤) عَنْ مُرَادِهِ الْمُمْكِنِ صَادِقٌ ،
وَلَا تَقِفُ شَهَوَاتُهُ وَعَادَاتُهُ عَقَبَةً ^(٥) فِي سَبِيلِ الْمُرَادِ .

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْفَلَاسِفَةَ وَعُظَمَاءَ الرِّجَالِ ، لَمْ يَسْتَطِيعُوا
أَنْ يَبْشُرُوا مَا تَوَخَّوْهُ ^(٥) مِنْ الْعُقَايِدِ وَالتَّعَالِيمِ ، وَلَمْ يَصِلُوا
إِلَى مَا أَرَادُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ - الَّتِي كُتِبَتْ بِالْأُتُورِ عَلَى جَبِينِ

(١) لَا رَيْبَ : لَا شَكَّ وَلَا شَبْهَ

(٢) مَلَكَةٌ : صِفَةٌ رَاسِخَةٌ

(٣) الشَّائِنَةُ : الْعَائِيَةُ

(٤) الْعَقَبَةُ : الْمُرْتَقَى الصَّعْبُ

(٥) يَبْشُرُوا : يَنْشُرُوا - وَتَوَخَّوْهُ : يَصْدُوهُ

الدُّهُور - إِلَّا بِالْإِرَادَةِ . فَإِنَّ مِنْ مُقْتَضِيَاتِهَا الْحَزْمَ وَالثَّبَاتَ عَلَى الْعَمَلِ حَتَّى يَكُونَ ؛ وَلَوْ أَصَابَهُمْ فِي هَذِهِ السَّبِيلِ مِنَ الْمَصَائِبِ مَا يَدُلُّكَ الْجَبَالُ ^(١) ، وَنَابَهُمْ مِنَ النَّوَائِبِ مَا يَقُولُ الْحَدِيدُ ^(٢) .

وَإِنَّ مَا نَرَاهُ مِنْ خِيَةِ أَعْمَالٍ كَثِيرٍ مِنَ الْعَامِلِينَ ، نَائِجٌ مِنْ إِهْمَالِ تَرْبِيَةِ الْإِرَادَةِ فِيهِمْ . فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الثَّبَاتَ عَلَى مَا يَقُومُونَ بِهِ ؛ بَلْ يُؤْثَلُونَ الْأَدْبَارَ ^(٣) عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ تَصْدُرُ مِنْهُمْ . وَإِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى .

الْإِرَادَةُ تُوجِبُ الصَّبْرَ ، وَإِبَاءُ التَّرَدُّدِ فِي الْأُمُورِ ، وَاحْتِقَارُ الصُّعُوبَاتِ الَّتِي تَعْتَوِرُ الْمَشْرُوعَاتِ الْمَفِيدَةَ ^(٤) . وَذَلِكَ يَوْجِبُ النَّجَاحَ فِي الْأَعْمَالِ بَقَّةً ^(٥) .

مَنْ رَسَخَتْ الْإِرَادَةُ فِي النَّفْسِ تَحَكَّمَ الْعَقْلُ ، وَسَقَطَ هَوَى النَّفْسِ الْأَثْمَارَ ؛ فَكَانَ الْإِنْسَانُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ . لِأَنَّ مَلَكَهَ الْإِرَادَةُ تَطْبَعُ فِي النَّفُوسِ الْفَضِيلَةَ ،

(١) يدك : يهدم

(٢) نابهم : أصابهم - والنوائب : المصائب - ويغل : يكرس

(٣) يولون الأدبار : ينهزمون

(٤) تعتور : تأتي مرة بعد أخرى

(٥) بقّة : قطعاً . بت الاسر : امضاء بلا تردد

حتى نكون صالحة مُهذبة سعيدة .

ومتى كثر في الأمة عددُ الذين رَسَخَتْ فيهم هذه

الملكة ، سادت في العمران والترقي والمدنية أشواطاً^(١)

عظيمة . وكلُّ أمةٍ تنهار دَعَائِمُ مجدها^(٢) ، وتَفْقُضُ

أركانها^(٣) عزها^(٤) ، يكون ذلك من قحط الرجال^(٥) - رجال

الإرادة - فيها .

ألا ، إنَّ من ضَعُفَتْ إرادته كان صغير النفس ، وضع

المنزلة ، تَلْعَبُ به الأهواء^(٦) ، وتَعْبَثُ^(٧) به إرادات الصبيان ،

بله الرجال^(٨) . فيكون كُرَّةٌ تَقْذِفُها الأغراض ، وهدفاً

تُراشُ له السهام^(٩) . فإن أقاء آتٍ بأمر ، فَحَمَلَهُ على

الاعتراف بأفضليته ، أجاب . ثمَّ إن جاءه آخِرُ ، فدَعَاهُ

إلى القول بأرذليته ، أبى . فهو لا يَسْتَقِرُّ على حالٍ ؛ بل

(١) الاشواط : جمع شوط وهو الجري مرة الى الغاية . والسباق قد

يكون بشوط او اكثر

(٢) تنهار : تسقط - والدعائم : جمع دعامة وهي عماد البيت ونحوه

(٣) تفقوض : تهدم - والاراكين : جمع اركان

(٤) قحط الرجال : فقدانهم او قلتهم

(٥) الاهواء : الميول الفاسدة ؛ وهي جمع هوى النفس

(٦) تعبت : تلعب

(٧) بله : اسم فعل امر بمعنى دع واترك

(٨) الهدف : ما يُنصب ليرى اليه - وتراش : يُلْزَقُ عليها الریش . وريش

السهم : كناية عن التهيؤ للرمي

تَنَازَعُهُ إِرَادَاتُ الرِّجَالِ ، وَتَعْتَوِرُهُ دَوَاعِي الْأَهْوَاءِ . إِذْ
لَيْسَ لَهُ عَامِلٌ مِنْ نَفْسِهِ يَدْفَعُ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ ، وَلَا قَلْبٌ
ذَكِيٌّ يُفَرِّقُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ . وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَحْرَبَ
بِهِ ^(١) أَلَّا يَكُونَ إِنْسَانًا كَامِلًا .

فَعَلَى الْأُمَّةِ ، الَّتِي تَوَدُّ حَيَاةَ طَيِّبَةٍ وَعَيْشَةَ رَاضِيَةٍ ، أَنْ
تُرَبِّيَ مَلَكَهَ الْإِرَادَةِ فِي نُفُوسِ أَطْفَالِهَا ؛ فَإِنَّ الْإِرَادَةَ
سَبِيلُ السَّعَادَةِ .

يَا مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَنْتُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ ، أَنْتُمْ دِعَامَةُ
مَجْدِهَا ، أَنْتُمْ رِجَالُهَا فِي الْآتِي ؛ فَتَعَوَّدُوا أَنْ تَكُونُوا مُرِيدِينَ .
وَلَا تَعَبُّوا بِمَا يَحُولُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تُرِيدُونَ . فَخُلُقُوا الْإِرَادَةَ
رَأْسُ الْأَخْلَاقِ ؛ وَهُوَ عَيْنُهَا الْمُبْصِرَةُ ، وَقَلْبُهَا الْمُفَكِّرُ .

جَرِّدُوا الْإِرَادَةَ يَسْهَلِ الْمُرَادُ ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا
إِذَا أَرَادُوا أَرَادُوا .

(١) الرعاة والرعاة

قَضَتِ السَّنَةُ الْإِلَهِيَّةُ ^(١) أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنَ
الْمَخْلُوقَاتِ رَئِيسٌ وَمُرْتَسِدٌ ، وَسَائِسٌ ^(٢) وَمَسُوسٌ ^(٣) ؛ كَيْلًا
تَتَفَرَّقُ الْآرَاءُ ، وَتَتَشَعَّبُ الْأَهْوَاءُ ^(٤) ؛ فَيَكُونُ مِنْ
ذَلِكَ نَشْتٌ الشَّمْلِ ، وَتَوَهُنٌ ^(٥) الْجَبَلِ ، وَأَفْتِرَاقُ الْجَمَاعَةِ ،
وَشَقٌّ عَصَا الْأُلْفَةِ .

وَكُلُّ قَوْمٍ لَا رَئِيسَ لَهُمْ يَجْعَلُونَ إِلَيْهِ فِي الْمُسْكَلاتِ ،
وَيَصُدُّونَ إِلَيْهِ فِي الْمَعْضَلَاتِ ^(٦) ، يُضْحُونَ وَقَدْ رَكَبُوا
مُتُونِ الشَّوَامِسِ ^(٧) ، وَيَبْتَئُونَ فِي لَيْلٍ مِنَ الْحَيَرَةِ دَامِسٍ ^(٨) .
إِذَا كَانَتِ الرُّوحُ قِيَامَ الْجِسْمِ ، فَالْمُرُوءَةُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ

(١) الرعاة ، بفتح الراء : الرئاسة والشرف

(٢) السنة الإلهية : النظام الإلهي أو الشريعة الإلهية التي اختطها الله لعباده

(٣) السائس : مدير أمور الدولة والرعية

(٤) المسوس : الرعية التي يدير أمورها السائس

(٥) تشعب : تفرق

(٦) التوهن : الضعف . وتوهن الجبل : كناية عن ضعف القوة

(٧) يصدون : ياجثون ويقصدون — والمعضلات : الأمور المشككة

(٨) المتون : الظهور ، والمفرد متن — والشوامس : الدواب التي لا يمكن

الراكب من ظهرها لسوء خلقها ، والمترد شامس وشامسة ؛ والشموس — بفتح
الشين — كالشامس

(٩) دامس : شديد الظلمة

هم رُوحُ أَجْتَمَاعِهَا . فَإِنْ فَسَدُوا فَسَدَتْ ، وَإِنْ صَلَحُوا
 صَلَحَتْ ، لِأَنَّ الْأُمَّةَ لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ إِلَّا إِذَا قَامَ فِيهَا زُعَمَاءُ
 يَنْهَضُونَ بِهَا إِنْ عَثَرَتْ ، وَيُقَوِّمُونَهَا إِنْ أَعْوَجَّتْ ، وَيَأْخُذُونَ
 بِبِدَاهِهَا إِنْ سَقَطَتْ ، وَيُرْشِدُونَهَا إِنْ ضَلَّتْ .

وَلَا يَكُونُ الرَّئِيسُ رَئِيسًا حَقًّا ، حَتَّى تَتَوَفَّرَ فِيهِ
 شُرُوطُ الرِّئَاسَةِ مِنَ الْعَقْلِ ، وَالْعِلْمِ ، وَصِحَّةِ الْوَجْدَانِ ،
 وَالْمُرُوءَةِ ، وَالشَّهَادَةِ ، وَطَهَارَةِ السَّرِيرَةِ ، وَحُسْنِ السِّيَرَةِ ،
 وَالْكَرَمِ ، وَالْبَذْلِ الْجَمِّ فِي سَبِيلِ إِحْيَاءِ الْأُمَّةِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ
 فِي رُبُوعِهَا . فَمَنْ نَهَجَ هَذَا الْمَنْهَجَ ^(١) ، وَقَامَ بِهَذِهِ الْأَعْيَاءِ ^(٢) ،
 كَانَ عَيْنًا مِنَ الْأَعْيَانِ ، وَرَئِيسًا مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، وَزَعِيمًا مِنَ
 الزُّعَمَاءِ . وَإِلَّا فَهُوَ عَلَى الْوَجَاهَةِ وَالرِّئَاسَةِ وَالزُّعَامَةِ وَالشَّرَافِ
 طَفِيلِيٌّ ^(٣) دَخِيلِيٌّ .

يَتَهَافَتُ ^(٤) كَثِيرٌ مِنْ ضَعَفَاءِ الْعُقُولِ عَلَى الرِّئَاسَةِ

(١) نهج : سلك — والمنهج : الطريق الواضح

(٢) الأعياء : الاحمال الثقيلة

(٣) الطفيلي : من يدخل في امر لم يدع اليه : وهو نسبة الى طفيل : رجل من

أهل الكوفة كان يأتي الولاة من غير ان يدعى اليها . ويسمون من يفعل ذلك
 بالوارش ايضاً ، كما يسمون من يدخل على القوم في شربهم — فيشرب معهم من
 غير ان يدعى — بالواغل

(٤) يتهافت : يساقط ، وأصله الساقط شيئاً بعد شيء .

وليس لهم من شروطها حبة خردل ؛ وقد نسوا أن رئيس
القوم لسانهم الناطق ، وقلوبهم المفكر وصمد^(١)هم في
الشدائد^(٢) ، وحضنهم عند النوائب ، وموئلهم^(٣) إن عظمهم
الدهر ، وسندهم في كل جليل من الأمر .

كان للأمة عصور لم يكن برأسها^(٤) فيها إلا السادة
المخلصون ، والبررة^(٥) المصلحون . ثم هوت بها كفة
الميزان ، فرأسها الفسقة الأدنياء ، دعاة الجهل والعصيان ،
والطغاة السفهاء ، أولياء الشيطان .

ألا ، إن الزمان قد أستدار ؛ فقد تنبت الأمة من
رقدتها^(٦) ، وأستيقظت من غفلتها . فهي لا ترضى أن تبقى
في أسر من يعمل على هلاكها ، ويرغب في استعبادها . ولا
تقر بالزعامة والرئاسة إلا للمصلحين الصالحين ، الذين يرغبون
في الموت لتجبا الأمة ، ويؤثرون^(٧) المتاعب حبا لراحتها ،
ويرضون بالشقاء رغبة في سعادتها .

(١) الصمد : من يصد اليه الناس ، أي يقصدونه بحاجاتهم

(٢) الموئل : الملجأ

(٣) رأسهم يرأسهم : صار رئيسا عليهم

(٤) البررة : الاخيار

(٥) رقدتها : نوبها

(٦) يؤثرون : يقدمون ويفضلون

فَتَقَدَّمْ ، أَيُّهَا النَّاشِئُ ، إِلَى الْعِلْمِ الْكَامِلِ ؛ وَتَمَسَّكْ بِالْخُلُقِ
الْفَاضِلِ ؛ وَأَقْدِمْ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، مُسْتَرْشِدًا بِالْعَقْلِ الرَّاجِحِ
لِتَكُونَ زَعِيمًا ^(١) قَوْمِكَ وَرَئِيسَ عَشِيرَتِكَ .
وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَدِّثَكَ نَفْسُكَ بِالزُّعَامَةِ ، أَوْ يَفْرَكَ
رَوْنَقُ الرِّئَاسَةِ ، وَأَنْتَ لَسْتَ لَهَا بِأَهْلٍ ؛ فَتَجْلُبَ إِلَى
قَوْمِكَ الْوَيْلِ ، وَإِلَى نَفْسِكَ الذُّلِّ .

لَا يَصْلَحُ الْقَوْمُ قَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ
وَلَا سَرَاةَ إِذَا جَهَّأَهُمْ سَادُوا
وَالْبَيْتُ لَا يُبْنَى إِلَّا لَهُ عِمْدٌ
وَلَا عِمَادَ إِذَا لَمْ تَرَسْ أَوْتَادُ
فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادُ وَأَعِيدَ
يَوْمًا ، فَقَدْ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا ^(٢)

(١) الزعيم : سيد القوم ورئيسهم

(٢) كادوا : ارادوا . ومنه قوله تعالى : « ان الساعة آتية اكاد اخفيها » اي :

اريد اخفيها . وقول الشاعر : « كادت وكدت وتلك خير ارادة » أي : ارادت
واردت : وليست بمعنى قرب لانها ليست هنا من افعال المقارنة

عشاق الزعامة

إذا كانت الأمة ، التي لا زعيم لها يُرشدُها ، تسيرُ في
 منحةٍ من القوضى مُتشابهِ الأعلام ^(١) ، 'مخوف المسالك' ،
 بعيدة أرجاءه ^(٢) ، 'كأن لون أرضه سماؤه' ، فإن الأمة
 التي يكثرُ 'عشاق الزعامة' فيها ، وينمو عددُ 'محبِّي الرئاسة'
 في مجموعها ، أكثرُ منها قوضى ، وأشدُّ حيرةً ، وأعظمُ وبلاً .
 'حبُّ الرئاسة' هذا الشرقِ الويل ^(٣) . 'والتهافتُ على
 الزعامة' مرضُ المزمن . وما من زعيم يقومُ فيه ، إلا
 خفقتِ الغيرةُ في قلوب قومهِ ، واحتدمَ الحسدُ ^(٤) في
 نفوسهم ، فتراهم يعملون على السعاية به ^(٥) ، ويذلون مآلذهم
 من فوقٍ لإسقاطه ، ويُنصبونه العداوة ^(٦) ، ويُصارحونه
 بالأذى . فإن كان زعيماً حقاً ، فهو لا يأتبه لِمناوأتهم ^(٧) ،

(١) المهمة : الفلاة المقفرة المهلكة — والاعلام : الجبال ؛ والمفرد علم

(٢) الارزاء : الاطراف والواحي ؛ والمفرد رجا

(٣) الويل : الشديد

(٤) احتدم : اشتعل

(٥) السعاية : الوشاية

(٦) ينصبونه العداوة : يظهرونها له . ويقال : ناصبه مناصبة أي قاومه وحاداه

(٧) لا يأتبه : لا يلتفت ولا يبالي — والمناوأة : المعادة والمعارضة

ولا يعبأ بمصادمتهم ؛ بل يثبت على ما يريد من لقومه من
 الخير ثبات الرجال ، لا يبالى الأهوال ، ولا يكثرث
 للصعوبات ، ولا يخفل بالمخوفات . وإن تززع لأوّل
 صدمة ، كان ضعيف الإرادة ، بليد النفس . وأحر بين
 كان كذلك أن لا يكون رئيساً للقوم ! .

مارأيت أحداً لم تُحدّثه نفسه بالزعامة ! وأهل
 الزعامة قليل . فهل الزعامة متاع يُشرى ؟ ! أو ثوب
 متى لبسه الإنسان صار زعيماً ؟ !

إن الزعيم هو روح الأمة . وهل ترضى أمة أن
 يكون زعيمها هي بن بي^(١) ، أو الضلال بن فهّل^(٢) ،
 أو الجهل ابن الغباوة ، أو الفسوق بن العيصان !

كل قوم رأاهم أو شابههم^(٣) ، وتحكم فيهم جهلاؤهم ،
 وكان زعماءهم أنذا لهم ؛ كان الخراب عاقبتهم ، والدمار^(٤) منتهم
 ليس الرئيس من يذل المال ، ويبت الرجال ، لترغيب

(١) هي بن بي ، وهبان بن بيان : كناية عن لا يعرف ولا يعرف أبوه

(٢) ضلل : اسم للباطل ، وهو غير منصرف للمصلحة ووزن العمل باعتبار

أنه على وزن جاب

(٣) الاوشاب : الاخلاط من الناس كالأوباش ، والمفرد وشب ، بفتحين .

ومفرد الأوباش وش ، بفتحين أيضاً

(٤) الدمار : الهلاك والخراب

النَّاسِ فِي رِئَاسَتِهِ ، وَالْأَتِيفِ حَوْلَ عِلْمِ زَعَامَتِهِ . وَإِنَّمَا
الرَّئِيسُ مَنْ كَانَتِ الرِّئَاسَةُ خُلُقًا مِنْ أَخْلَاقِهِ . وَذَلِكَ لَا يَكُونُ
إِلَّا فِي رَجُلٍ مَعْرُوفِ الْفَضِيلَةِ ، أَبِي الرِّذِيلَةِ ^(١) ، زَكِيِّ
الْوَجْدَانِ ، ثَابِتِ الْجَنَانِ ^(٢) ، عَلِيِّ الْهَمَّةِ ، نَقِيِّ الذِّمَّةِ
ذَكِيِّ الْفَوَادِ ، رَفِيعِ الْعَادِ ^(٣) ، تَوَّابِي النَّفْسِ ، عَصَامِيهَا ^(٤) ،
وَاضِحِ الْأَخْلَاقِ ، طَاهِرِ الْأَعْرَاقِ ^(٥) ، عَالِمٍ بِمَا تَحْتَاجُ
إِلَيْهِ الْأُمَّةُ ، سَاعٍ نَحْوَ مَا يُفِيدُهَا وَيُعَلِّي شَأْنَهَا . وَمَنْ كَانَ
كَذَلِكَ سَادَ النَّاسَ وَزَعَمَ عَلَيْهِمْ ^(٦) ، وَكَانَتْ لَهُ الْكَلِمَةُ
النَّافِذَةُ فِيهِمْ ، وَالْمَقَامُ الْأَرْفَعُ بَيْنَهُمْ .

عَجِبْتُ وَاللَّهِ - وَحَقٌّ لِي الْعَجَبُ ^(٧) - لَرَهْطٍ لَيْسُوا
فِي الْعَبْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ، يَسْعَوْنَ السَّعْيَ الْحَثِيثَ ^(٨) لَتُقَرَّ الْأُمَّةُ
لَهُمْ بِالزَّعَامَةِ ، وَهُمْ أَهْوَنُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ هَيْئَةٍ ، وَلَا مِيزَةَ

(١) أَبِي الرِّذِيلَةِ : مَمْتَعٌ مِنْهَا

(٢) زَكِيِّ الْوَجْدَانِ : صَالِحُهُ وَطَيِّبُهُ - وَالْجَنَانِ : الْقَلْبُ

(٣) ذَكِيِّ الْفَوَادِ : مَتَوَقِّدُهُ وَفَطِينُهُ - وَرَفِيعِ الْعَادِ : سَيِّدُ شَرِيفٍ

(٤) الْعَصَامِي : مَنْ يَفْتَخِرُ بِعَمَلِ قَوْمِهِ ، وَعَكْسُهُ الْمَظْلَمِي وَهُوَ مَنْ يَفْتَخِرُ

بِآبَائِهِ ، وَهُوَ نَسَبُهُ إِلَى عَصَامِ بْنِ شَهْرَةَ الَّذِي قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ : « نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ

عَصَامًا » . وَفِي الْمَثَلِ : « كُنْ عَصَامِيًّا وَلَا تَكُنْ عَظَامِيًّا » أَيِ اشْرَفْ بِنَفْسِكَ

كِعَصَامٍ لَا بِآبَائِكَ الَّذِينَ صَارُوا عَظَامًا (٥) الْأَعْرَاقُ : الْأَصُولُ

(٦) زَعَمَ عَلَيْهِمْ : تَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ وَسَادَهُمْ

(٧) حَقٌّ لِي الْعَجَبُ ، بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ : أَيِ وَجِبَ عَلَيَّ

(٨) الْحَثِيثُ : الشَّدِيدُ السَّرِيعُ

لَمْ تَرْفَعُهُمْ إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي يَسْعَوْنَ إِلَيْهِ . وَقَدْ اتَّخَذُوا
الْوَقِيعَةَ ^(١) فِي أَفْضَلِ الْأُمَّةِ ، وَأَكَلَ لُحُومَهُمْ ، وَتَلَطَّيَخَ
أَعْرَاضَهُمْ ، سَبِيلًا إِلَى مَا يَتَقَصَّدُونَ إِلَيْهِ ؛ لِيَخْلُوَ لَهُمُ الْجَوْءُ ،
فَيَكُونُوا هُمُ الرُّؤَسَاءُ وَالزُّعَمَاءُ . وَلَمْ يَذَرُوا أَنَّهُمْ بِعَمَلِهِمْ
هَذَا يَنْكَشِفُ عَوَارُثُهُمْ ^(٢) ، وَيَفْتَضِحُ أَمْرُهُمْ ؛ فَتَزْدَادُ
الْأُمَّةُ مِنْهُمْ تَفُورًا ، وَتُوسِعُهُمْ أَحْتِقَارًا وَبُغْضًا .

وَهُنَاكَ رَهْطٌ ، مَتَى أَخْفَقَ فِي سَعْيِهِ ، وَلَمْ يَنْلُ مِنْ
الزَّعَامَةِ مَا يُرِيدُ ، قَامَ بِأَسْمِ الدِّينِ ، وَهُوَ أَجْحَدُ الْجَاهِدِينَ ،
فَنَسَبَ إِلَى غَيْرِهِ الْكُفْرَ وَالْإِلْحَادَ ^(٣) ، وَالضَّلَالَ وَالْفَسَادَ ،
وَاتَّخَذَ لِأَهْوَاؤِهِ انْصَالَةَ سَافِلِ الْوَسَائِلِ ، لِيَصْدِفَ ^(٤) الْأُمَّةَ
عَنْ ذَلِكَ الزَّعِيمِ الْعَامِلِ ، وَيَصْرِفَ وُجُوهَهَا عَنْهُ إِلَيْهِ ، وَيَجْعَلَ
أَمْرَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَرُبَّمَا صَدَّقَهُ بَعْضُ السُّذُجِ ^(٥) مِنْ
الْعَامَّةِ ، لِأَنَّهُ يُضْرَبُ عَلَى وَتَرِ الدِّينِ . وَلَكِنَّ الْمَجْمُوعَ

(١) الوقية : السب والشتم

(٢) العوار : فتح العين ، ويجوز ضمها وكسرهما : العيب ؛ وأصله العيب في السلعة

(٣) الإلحاد : العدول عن دين الله والظن فيه

(٤) يصدف : يصرف

(٥) السذج : الذين لا خبرة لهم ؛ والمفرد ساذج وأصل معناه : مالا نقش

فيه ، فكان التجارب لم تنقش في قلوبهم

لَا يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَلَا يُعْوَلُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَتَّبِعْهُ بِتَرْهَانِهِ ^(١) ،
وَلَا يَجْنَحْ إِلَى مُفْتَرِيَاتِهِ ^(٢) .

فَأَعِذْكُمْ بِاللَّهِ ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَنْ تَتَّخِذُوا لِلزَّعَامَةِ
أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ؛ فَتَقْتَطِعْ بِكُمْ الْأَسْبَابَ ^(٣) ، وَتَنْفِرَ
مَنْكُمْ الْأُمَّةُ ، وَيَعُدُّ مَا يَنْتَكِمُ وَبَيْنَ الْفَضِيلَةِ .

أَيَاكُمْ وَحُبَّ الرِّئَاسَةِ ، إِلَّا إِذَا أَنْتُمْ مُنْقَادَةٌ تُجَرِّرُ
أَذْيَالَهَا ، بِمَا لَكُمْ عِنْدَ الْأُمَّةِ مِنْ جَبِيلِ الصُّنْعِ ، وَطَرِيفِ
الْفَضَائِلِ وَتَالِدِهَا ^(٤) .

وَأَحْذَرُوا ، إِنْ قَامَ فِيكُمْ زَعِيمٌ هُوَ أَهْلٌ لِلزَّعَامَةِ ،
وَكَانَتْ قُلُوبُكُمْ مُطْمَئِنَّةً إِلَيْهِ ، أَنْ يَغُرَّكُمْ الْحَسَدُ ، فَتَنْهَضُوا
إِلَى إِسْقَاطِهِ ، وَتَعْمَلُوا عَلَى صَرْفِ وُجُوهِ النَّاسِ عَنْهُ . بَلِ
سَاعِدُوهُ عَلَى مَا قَامَ بِهِ ، وَأَعِينُوهُ عَلَى مَشْرُوعِهِ ، وَكُونُوا
لَهُ أَيْدِيًا تُسَعِّفُهُ ، وَأَعْضَادًا تَدْعَمُهُ ^(٥) . فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ
كُنْتُمْ لِأُمَّتِكُمْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

(١) الترهات : الابطال

(٢) لا يجنح : لا يميل

(٣) الاسباب الاولى : الوسائل ، والاسباب الثانية : الصلات والمودات ؛

وأصل معنى السبب : الخجل

(٤) طريف الفضائل : جديدها ؛ وتالدها : قديمها

(٥) الاعضاد : الاخوان ، والمفرد عضد — وتدعمه : تسند وتقويه

الكذب والصدق

لستُ أعني بالصدق والكذب - في هذا المقام - ما هو معروفٌ لكلِّ واحدٍ ؛ فإنَّ هذا الأمرَ من البديهيَّات التي يعرفها الصبيان . وإنما أعني بها صدقَ الفعلِ وكذبَهُ ؛ فإنَّها نتيجتان للقول في حالي صدقه وكذبه .

لا تقل لأحدٍ : إنَّكَ صادقٌ أو كاذبٌ ، حتى ترى صدقَ عمله أو كذبَهُ . ولا تصِفْ قولاً بصدقٍ أو كذبٍ ، حتى ترى أثرَهُ ؛ لأنَّ القولَ نَعْظُ فِيعْتُهُ ، أو نَصْرُ ، بنتيجته . ولا يصدقُ القولُ حتى يصدقَ العملُ .

صدقُ الفعلِ نتيجةٌ لازِمةٌ لأصحاب الإرادة ، الذين لا يحولُ بينهم وبين تحقيقِ ما يقولون حائل .

نرى كثيراً من النَّاسِ - حتى من لهم منازلُ عاليةٌ ، بسببِ ما يتقلَّدونه من الأعمالِ السَّاميةِ - يقولون ما لا يفعلون ؛ وإن طالبتهم بإنجازِ أفعالهم ، والوفاءِ بوعودهم ، غاصوا على أكتحال الأعذار ، ولجئوا إلى ما طبعوا عليه من الرِّثاءِ والنِّفاقِ ، وأضاعوا الأوقاتَ في ترويحِ المَعذِرَاتِ . وما ذلك إلا من ضعفِ الإرادةِ في نفوسهم ، وعدمِ نَعْوَدِهِم

صَدَقَ الْقَوْلَ لِيَصْدُقَ الْفِعْلُ .

إِنْ أَجَابَ الْإِنْسَانُ بِالسَّلْبِ ، حِينَ يُسْأَلُ إِنْفَازَ أَمْرٍ ،
فَلَا يَلُومُهُ أَحَدٌ . بَلْ يَكُونُ الرَّدُّ خَيْرًا مِنْ وَعْدٍ يَتَّبِعُهُ
الْمَطَالُ وَالتَّسْوِيفُ ^(١) . وَإِنَّمَا يُبْلَغُ أَشَدُّ اللَّوْمِ مَنْ قَالَ :
أَفْعَلُ ثُمَّ نَكَصَ عَلَى عَقْبِهِ ^(٢) ، وَلَمْ يَفِ بِمَا وَعَدَ بِهِ . وَمَا
إِخْلَافُ الْوَعْدِ مِنْ دَابٍ ^(٣) الرِّجَالِ الْكَمَلَةِ ، وَمَا الْكَذِبُ
إِلَّا مِنْ أَخْلَاقِ السَّفَلَةِ ^(٤) .

يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ ، قَبْلَ أَنْ يَعِدَ بِأَمْرٍ ، أَنْ يَتَرَوَّى فِيهِ
حَتَّى يَثْبُتَ خَيْرًا . فَإِنْ رَأَى أَنَّ فِي قُدْرَتِهِ أَنْ يَفِيَّ بِهِ وَعَدَهُ ،
وإِلَّا تَوَقَّفَ . أَمَّا مَنْ يَعِدُ قَبْلَ التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ : أَفِي وَسِعِهِ
الْوَفَاءُ بِمَا وَعَدَ بِهِ أَمْ لَا ؟ فَهُوَ رَجُلٌ أَحْمَقُ أَهْوَجُ ^(٥) .
وَكثِيرًا مَا يَرْمِي الْحَقُّ بِصَاحِبِهِ فِي مَفَاوِزَ مِنَ النَّدَمِ
بَعِيدَةِ الْأَرْجَاءِ ^(٦) .

(١) المطال : المأطلة - والتسويق : أن تعدّ أحدًا مرة بعد مرة بقولك : سوف أفعل

(٢) نكص على عقبيه : رجع

(٣) الداب : العادة

(٤) السفلة : بفتح السين وكسر الفاء ، وبكسر السين وسكون الفاء : الاسافل

والنوغا - والابواش . واما السفلة ، بفتح السين والفاء ، فجمع سافل ضد العالي

(٥) الاهوج : الطائش الاحمق ، والمؤث هوجاء ، والجمع هوج بضم الهاء

(٦) المفاوز : القلوات المهلكة ، والمفرد مفازة — والارجاء : الاطراف والنواحي

وبعدَ فإنْ نَعَجَبَ لَأَمْرٍ ، فَأَعَجَبَ لِقَوْمٍ يَقُولُونَ وَبَعْدُونَ ؛
وَهُمْ قَدْ وَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ ^(١) عَلَى عَدَمِ الْوَفَاءِ . وَإِنَّمَا يَدْعُوهُمْ إِلَى
الْكَذِبِ مَا أَشْرَبَتْهُ نُفُوسُهُمْ مِنْ فُسَادِ التَّوْبَةِ . وَمِنْ أَعْتَادِ أَمْرًا ،
حَتَّى صَارَ مُخْلَقًا لَهُ ، صَعِبَتْ إِزَالَتُهُ مِنْ نَفْسِهِ . فَهُوَ يُلَازِمُهُ حَتَّى
يُذْرَجَ فِي قَبْرِهِ ^(٢) . وَإِنَّ الْمَرْءَ ، مَتَى عُرِفَ بِتَرْكِ الْوَفَاءِ
وَكَذِبِ الْعَمَلِ ، فَفَرَّ مِنْهُ النَّاسُ حَتَّى أَخْصَاؤُهُ ؛ فَلَا يَثِقُونَ
بِهِ إِنْ قَالَ ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ إِنْ وَعَدَ . بَلْ يَرَوْنَهُ كَسْرَابٍ
بَقِيَعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ^(٣) ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا .

مَا انْتَشَرَتْ هَذِهِ الْخَصْلَةُ الشَّعَاءُ فِي أُمَّةٍ ، إِلَّا قُفِدَتِ
الثِّقَةُ مِنْ نُفُوسِ أَبْنَائِهَا . وَفَقْدَانُ الثِّقَةِ فَقْدَانُ الْحَيَاةِ .

فَايَاكُمْ ، مَعْشَرَ النَّاشِثِينَ وَالْكَذِبِ ، فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى
تَلَمٍّ ^(٤) تَاجِ الشَّرَفِ . وَأَحْذَرُوا الْإِخْلَافَ بِالْعَهْدِ ؛ فَإِنَّهُ
دَاعِيَةٌ نُفُورِ الْأُمَةِ .

إِنْ كُنْتُمْ قَادِرِينَ عَلَى الْوَفَاءِ ، فَعِيدُوا ؛ أَوْ عَلَى الْفِعْلِ ، فَتَقُولُوا .
وإِلَّا فَدُعُوا الْوَعْدَ وَالْقَوْلَ ؛ كَيْلَا تَكُونُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ .

(١) وطن نفسه على الأمر : هدها ودللها ليعملها على اتيانه

(٢) يُدْرَج : يُدْخَلُ

(٣) السراب : ما تراه نصف النهار من شدة الحر كأنه ماء — والقيمة : أرض

سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال — والظآن : العطشان

(٤) التلم : الكسر والشق

الاعتدال

من نَشَدَ الفضيلة^(١) ، فَلَيَطْلُبْهَا فِي الْأَعْتَدَالِ :
فَالْأَعْتَدَالُ فِي الْفِكْرِ ، وَالْمَذْهَبِ ، وَالْمَأْكَلِ ،
وَالْمَشْرَبِ ، وَالْمَلْبَسِ ، وَالْبَذْلِ^(٢) ، وَكُلِّ أَمْرٍ حَسَنٍ أَوْ
مَعْنَوِيٍّ ، هُوَ الْفَضِيلَةُ .

وَمَنْ لَزِمَ قَصْدَ السَّبِيلِ^(٣) ، كَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ السَّلَامَةُ ،
وَكَلَّا طَرَفِي قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ .

الْأَعْتَدَالُ : هُوَ التَّوَسُّطُ فِي كُلِّ شَيْءٍ :
الشَّجَاعَةُ فَضِيلَةٌ ، لِأَنَّهَا وَسْطٌ بَيْنَ تَقِصَّتِي التَّهَوُّرِ وَالْجُبْنِ
وَالْجُودُ فَضِيلَةٌ ، لِأَنَّهُ قَصْدٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ :
الْإِسْرَافِ وَالْبُخْلِ .

وَهَكَذَا تَجِدُ كُلَّ فَضِيلَةٍ مِنَ الْفَضَائِلِ فِي الْأَعْتَدَالِ ، أَيْ :
التَّوَسُّطِ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ .

الذِّكَا ، إِنْ زَادَ أَذَى إِلَى الْخَلَلِ فِي الْأَعْمَالِ ، وَحَمَلَ عَلَى

(١) نَشَدَ الْفَضِيلَةَ : طَلَبَهَا وَبَحَثَ عَنْهَا لِيَهْتَدِيَ إِلَيْهَا

(٢) الْبَذْلُ : الْعَطَاءُ .

(٣) الْقَصْدُ : اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ ، وَالتَّوَسُّطُ فِي الْأُمُورِ — وَقَصْدُ السَّبِيلِ : الطَّرِيقُ

الْمُسْتَقِيمُ الْمَوْصِلُ إِلَى الْحَقِّ وَالْفَضِيلَةِ

أُمُورٍ لَا تَلِيْقُ بِالْعَاقِلِ ، وَإِنْ نَقَصَ كَانَ يَنْقُصُهُ الْبَلَاءُ وَالْغَاوَةُ .

وَالْتَّقْوَى ، إِنْ جَاوَزَتْ حَدَّهَا كَانَ مِنْهَا الْوَسْوسَةُ ،
الَّتِي تُؤَدِّي فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ إِلَى تَرْكِ الْعِبَادَةِ وَالْعُكُوفِ ^(١)
عَلَى أَعْمَالِ الْفُسَّاقِ الْعَاصِينَ .

لِذَلِكَ نَهَتْ الشَّرَائِعُ السَّمَاءِيَّةُ عَنِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ ،
وَأَمَرَتْ بِاتِّبَاعِ الْقَصْدِ فِيهِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : « إِنْ
الْمُنْبَتَّ ^(٢) لَا أَرْضًا قَطَعَ ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » .

وَالْعِلْمُ ، مَتَى أُتْسَعَتْ دَائِرَتُهُ فِي الْإِنْسَانِ ، كَانَتْ عَاقِبَتُهُ
الْجَهْلَ . وَرُبَّمَا وَصَلَ مَنْ جَاوَزَ الْحَدَّ فِي عِلْمِهِ إِلَى جَهْلٍ كَثِيرٍ
مِنْ حَاجَاتِ نَفْسِهِ .

وَالْقَاعِدَةُ الشَّامِلَةُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ جَاوَزَ حَدَّهُ أَنْقَلَبَ إِلَى

(١) العكوف على الشيء : الإقبال عليه ولزومه والمواظبة عليه

(٢) المنبت : المنقطع ؛ والمراد به المنقطع من رفاقه في السفر ، الذي يحمل
دابته على ألا يُطيقه من السير ، رغبة في الإسراع ، ليعمل إلى غايته ، فينقطع ظهرها
تعباً ، فلا تقدر على مواصلة السير ؛ فينقطع هو في الطريق ؛ فيكون حينئذ ما قطع
الأرض التي يسير فيها ليلج ما يقصد إليه ، ولا أبقى ظهر دابته سالماً . فكذلك من
يحمده نفسه ويتعبد في العبادة وينقطع فيها ، فلا يلبث أن يملأ ويبغضها ؛ فلا هو يبلغ
المقصود من أرضاء الله ، ولا أبقى نفسه في الراحة

ضدّه . وهي قاعدةٌ نَعْمُ الحيوان ، والنَّبات ، والجماد ،
والمعقولات ، والحسيَّات ، والاجتماع ، والعُمران .

فالماعلُ من ألزَمَ نفسه التَّوسُّطَ في الأمور ،
والاعتدالَ في أحواله المعاشية والاجتماعية والدينية . فإنَّ
الاعتدالَ هو السَّلامة . وما ضرَّ الأُمَّةَ إلا تركُ الاعتدالِ .

فأعْتَصِمُ^(١) ، أيها الناشئ ، بالاعتدال ؛ ولا تدعِ
إشيطانيَ طرَفِي الأمرِ سبيلاً اليك . فخيرُ الأمورِ أوسطُها ؛
لأنَّ فيه الفضيلةَ . والفضيلةُ نَجَّةُ الرَّاثدين^(٢) .

(١) اعتصم : تمسك

(٢) نجمة الرائدین طلبة الطالبین . والنجدة : في الاصل : الكلاً والمرعى —

والرائد : الرسول يرسله القوم ليرى لهم مكاناً صالحاً لتزولهم ومرعى مواشيهم

الجود

المال - كالتقوية - خادمٌ للإنسان عندَ ميسيس الحاجة .
إذا رأيتَ أحداً ، وقد تمَّ بالبَطْشِ بك ، تدفعُ عنك
أذاهُ بما لديك من قُوَّة .

وإن رأيتَهُ ، وقد اعتدى على أحدِ الضعفاء ، دفعتك
الحماسةُ الى مقاومته وردَّ عدوانه عن ذلك الضَّعيف ، صدقةٌ
عن قُوَّتِكَ . وتكونُ حماسُكَ أشدَّ ، إن رأيتَ الأعداءَ
مُندفعةً الى مقاتلةِ الأُمةِ وتخریبِ بلادها .

وكذا ، إن شَعَرْتَ نَفْسُكَ بِحاجةٍ الى أمرٍ من الأمور
التي تَنفَعُ بها ، فإنَّكَ تدفعُ هذه الحاجةَ بدفعِ جزءٍ من
مالك تبذلهُ في سبيلها .

وإذا وجدتَ بائساً ، أو ضعيفاً لا حولَ له ولا قُوَّةَ ،
حرَّ كَتِكَ عاطفةُ المُرُوَّةِ والحنانِ ، فبذلتَ ما تسمعُ به
نَفْسُكَ لِسَدِّ عَوَزهٍ ^(١) ودفعِ حاجتهِ .

وإن رأيتَ الأُمةَ كُلَّها في حاجةٍ الى البذل - وأنتَ

(١) العوز : الضيق والحاجة

قادرٌ على إصلاح فاسدِها وَلَمْ شَعْنُهَا^(١) — كان أندفاعك الى
الإحسان أشدَّ ، وُشُورُك بالحاجة الى البذلِ أقوى .

وكما يَصْدِفُ^(٢) الجبنُ الإنسانَ عن ردِّ من أرادَ به
أو بغيره السوءَ — فيكونُ عُرْضَةً لِلْمُؤْذِنِ ، وَمَزْوَةً
لِلْفَارِعِينَ^(٣) — فكذلك البخلُ يَصْرِفُهُ عن البذلِ فيما يحتاجُ
إليه من الحاجاتِ ، حتى الضَّرُورِيَّةُ منها . ومن جبنَ عن دفع
الأذى عن نفسه ، وبَخِلَ بما يَسُدُّ به ثُغُورَ حاجاته^(٤) ،
فأَجْدِرُ به أن يَجُبْنَ في مَأْزِقِ^(٥) الدِّفَاعِ عن غيره ، وَيَبْخَلَ
ولو بقليل من المال يَنْفَعُ به سواء .

وكما يُضَيِّعُ التَّهَوُّرُ في أكثر الأحيان حياة من عَشِقُوا
الْإِقْدَامَ على المَخُوفَاتِ — من غير تَمَرُّوٍ ولا تَفَكُّرٍ ، فلا
يَنْفَعُونَ بِإِقْدَامِهِمْ ولا يَنْتَفِعُونَ — فكذلك الإسرافُ وتَبْذِيرُ
الْأَمْوَالِ فيما لا يُفِيدُ ، يكونُ دَاعِيًا لَضَيَاعِهَا ، وَأَنْ يَبِيتَ
صاحبُها بَعْدَهَا حَزِينًا آسَفًا .

وكلُّ ذلك من نتائج تَوَكُّرِ الْإِعْتِدَالِ ، فَلْنَلْزَمْ الْإِعْتِدَالَ .

(١) لم الشئ : جمع المترك (٢) يصدف : يهرف

(٣) المروة : واحدة المرو ، وهي حجارة بيض رقائق برّاقة صلبة تنقح منها

النار ، وتُعرف بالصوّان . ويقال قرع الدهرُ مروة فلان ، أي : أنزل به البلاء

(٤) الثغور : الشقوق ؛ وهي جمع ثغر . والثغر في الأصل : الشق بين الجبلين ،

وموضع الحاجة من البلد يخاف هجوم العدو منه (٥) المأزق : موضع الحرب ، والمضيّق

صَاحِبُ الْمَالِ يُتْلَفُ مَالُهُ الْإِسْرَافُ وَالْإِنْفَاقُ عَلَى
مَالٍ خَيْرٌ فِيهِ لِنَفْسِهِ وَلَا لِأُمَّتِهِ ، فَيُصْبِحُ بَعْدَ حِينٍ فِي عِدَادِ
الْأَوْفَاضِ ^(١) ، خَالِي الْوِفَاضِ ^(٢) ، صَفَرِ الْيَدَيْنِ ^(٣) ،
فَارِغِ الْكَفَّيْنِ .

وَالشُّعْ ^(٤) يَسُوقُهُ إِلَى النَّصَبِ ^(٥) فِي كَسْبِ الذَّهَبِ ، ثُمَّ
يَحُولُ دُونَهُ وَدُونَهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاةَ السُّعْدَاءِ . وَمَا الْمَالُ إِلَّا
وَسِيلَةٌ لِلْعَيْشِ الرَّغْدِ ^(٦) ، وَسَبَبٌ لِتَخْفِيفِ الْفَاقَةِ عَنِ الْفُقَرَاءِ ^(٧) ،
وَمُدَاوَاةِ آلَامِ الْبَائِسِينَ .

كَمَا لَا خَيْرَ فِي قُوَّةٍ بِلَا شَجَاعَةٍ - لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَكُونُ
جَبَانًا ، أَوْ مُتَهَوِّرًا - فَلَا خَيْرَ فِي مَالٍ بِلَا جُودٍ ، لِأَنَّ
صَاحِبَهُ يَكُونُ بَخِيلًا أَوْ مُسْرِقًا .

إِنْ كَانَ فِي الْإِسْرَافِ إِنْتِلَافُ الْأَمْوَالِ ، فَفِي الْبُخْلِ
بِهَا إِرْهَاقُ النَّفْسِ عُسْرًا ^(٨) . فَالْوَيْلُ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ نَازِلٌ
بِمَنْ تَخَلَّقَ بِهَا .

(١) الْاَوْفَاضُ : الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ لَا مَالَ لَهُمْ . وَالْاَوْفَاضُ أَيْضًا : الْفِرَاقُ مِنَ النَّاسِ ،
وَالْإِخْلَاطُ أَوْ الْجُمَاعَةُ مِنْ قِبَائِلٍ شَتَّى

(٢) الْوِفَاضُ : جَمْعُ وَفْضَةٍ ، وَهِيَ خَرِيطَةٌ يَحْمِلُ فِيهَا الرَّاحِي أَدَاتَهُ وَزَادَهُ

(٣) صَفَرُ الْيَدَيْنِ : فَارِغُهُمَا (٤) الشُّعْ : الْبُخْلُ مَعَ حَرَمِ

(٥) النَّصَبُ : التَّعَبُ

(٦) الرَّغْدُ ، بَفَتْحِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْفَيْنِ ، وَبِفَتْحِهَا : الْوَاسِعُ الطَّيِّبُ

(٧) الْفَاقَةُ : الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ

(٨) ارْهَقَهُ عُسْرًا : كَلَفَهُ آيَا . وَالْإِرْهَاقُ : تَكْلِيفٌ مَا لَا يَسْتَطَاعُ وَلَا يَطَاقُ

والاعتدال - وهو الجود - داعية السعادة بالمال .
قال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ^(١) ، ولا تبسطها كل البسط ؛ فتفقد ملوماً محسوراً » .

فلزوم القصد ^(٢) ، وأتباع وسط الأمر ، هو المنجي من الويلات ^(٣) . فلينفق الإنسان على نفسه وعياله ، والمحتاجين من الناس ، وعلى المشروعات النافعة ، ما ليس إسرافاً ولا بخلاً .
وليعلم أن الجود يُقدَّرُ بقدر الثروة . قرب جود بعد بخلاً في جانب آخر ، والعكس بالعكس .

وبعد ، فإن في الأمة قوماً ، أصلحهم الله ، حسبوا البخل سبب الخلود في الدنيا . فإن طلبت منهم أن يقوموا بسد عوز بعض الفقراء ، وإعانة بعض المشروعات الحيوية ، ظنوا أنك تدعوهم الى إشراع الرماح ^(٤) ، وتجريد الصفاح ^(٥) ، وبذل الأرواح ، في ساحة الكفاح ^(٦) . فبينهم من يبخل على نفسه وعلى غيره ، وهو شرُّ الفريقين . ومنهم من يبخل على غيره

(١) مغلولة : مشدودة في الثقل ، وهو القيد . وغلُّ اليد الى العنق : كناية

من البخل . (٢) القصد : التوسط في الأمور

(٣) الويلات : المصائب

(٤) اشراع الرماح : دفعها وتسديدها الى وجه العدو

(٥) الصفاح : السيوف المراض ؛ والمفرد صفيحة

(٦) الكفاح : الحرب مواجهة

وَيَجُودُ عَلَى نَفْسِهِ ؛ فَهُوَ مِنَ الْآتَانِينَ ^(١) ، الَّذِينَ ضَعُفَ
شُعُورُهُمْ ، وَمَرِضَ وَجَدَانُهُمْ ؛ فَهُمْ يَمُوتُونَ الْحَيَاةَ فِي
مَوْتِ الْأُمَّةِ ، وَالسَّعَادَةَ فِي شَقَائِهَا .

وَهُنَاكَ قَوْمٌ مُبَذَّرُونَ مُسْرِفُونَ ؛ إِنْ رَأَوْا مُنْكَرًا أَقْبَلُوا
عَلَيْهِ ، أَوْ سَمِعُوا بِسَفَاهَةٍ طَارَوْا إِلَيْهَا ، وَبَذَلُوا فِي تِلْكَ السَّبِيلِ
الْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . وَإِنْ دُعُوا لِلْبَذْلِ
فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ ، عَمُوا وَصَمُّوا ^(٢) . وَأُولَئِكَ هُمُ الشَّرُّ الثَّلَاثَةُ ،
وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ^(٣) .

فَابْتَغِدْ ، أَيُّهَا النَّشْءُ الصَّالِحُ ، عَنْ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ . وَالزَّمْ
سَبِيلَ الْأَجْوَادِ الْكِرَامِ ؛ فَهِيَ السَّبِيلُ الْوَاضِحَةُ ، وَالْمَنْهَجُ
الْأَسَدُ ^(٤) . فَإِنَّ الْجُودَ هُوَ الْأَعْتَدَالُ ؛ وَهُوَ مَحَطُّ الرَّحَالِ ^(٥) ،
وَمَجْلَى الْأَمَالِ ، وَمِيدَانُ الرِّجَالِ .

فَبِهِ تَمَسِّكُ ؛ وَإِلَى حِصْنِهِ أَلْتَجِي ، تَكُنْ أَمْتُكَ
سَعِيدَةً بِكَ .

(١) الاتاني : من لا يرى غير نفسه ، فهو يقول : أنا أنا

(٢) عموا : صاروا عمياناً — وصموا : طرشوا

(٣) العادون : الظالمون الذين تجاوزوا الحد في الظلم

(٤) المنهج : الطريق الواضح — والأسد : الأكثر سداداً ، أي : استقامة

(٥) الرحال : جمع رحل ، وهو ما يوضع على الجمل . وفلان محط الرحال :

مقصود بالحاجات

السعادة

ما اختلف الناس في تفسير أمرٍ اختلفا فيه في تفسير السعادة .
 ذلك ، لأنها من الأشياء النسبية ، والأمور الإضافية .
 فهي ليست من الخير المجمع عليه ؛ وإنما هي خيرٌ بالإضافة
 الى شخص رآها كذلك .

قد يستحسن زيدُ أمراً ؛ فيعدهُ سعادةً ، ويحسبُ
 الوصولَ اليه سعيّاً . ويرى عمرو الأمر نفسه ؛ فيعدهُ
 شقاءً ، ويظنُّ العاكف عليه شقيّاً .

فالسعادةُ — كالجمال — قد تباينت فيها الفهوم^(١) ،
 واختلفت في تفسيرها السيول . ومرجعُ الأمر الى الذوق ،
 وتضاربُ المنازع ، إنما هو من تباين الأذواق .

فحينئذٍ الناس من يرى السعادة في التبسط^(٢) في المأكل
 والمشرب ، أو الهم ، أو الملبس ، أو تضيعة الوقت في
 المنازه^(٣) والملاهي . ومنهم من يراها في كسب المال

(١) تباينت : اختلفت (٢) التبسط : التوسع

(٣) المنازه : جمع منزه ، وهو المكان الذي تروح فيه النفوس كالجنان ونحوها .
 وهو جمعٌ بم حذف الزوائد . وقول الناس منزه — بتقديم النون على الـنا — خطأ

وَحَبْسِهِ فِي الصَّنَادِيقِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَعُدُّهَا فِي الْمُطَالَعَةِ وَالْمُدَارَسَةِ ،
وَالْفَوْصِ عَلَى دُرَرِ الْعُلُومِ ، وَالْبَحْثِ عَنْ مَكْنُونَاتِ الْآدَابِ .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْسَبُ أَنَّهَا فِي التَّخْلِي عَنْ هَذَا الْعَالَمِ الْفَانِي ،
وَالزُّهْدِ فِيهَا تَحْوِيلَ هَذِهِ الْبَسِيطَةِ مِنْ مَتَاعِهَا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهَا
فِي التَّسْلُطِ وَالْأَثَرَةِ ^(١) وَتَذَلِيلِ النَّاسِ ، لِيَكُونُوا عَبِيدَ
أَهْوَائِهِ ، وَأَرْقَاءَ شَهَوَاتِهِ ^(٢) . وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
الْمَنَازِعِ وَالْمَشَارِبِ .

وَالسَّعِيدُ مَنْ نَظَرَ بِعَيْنِ الْعَقْلِ ، وَأَخْطَأَ لِنَفْسِهِ خُطْئَةً
وَسَطًا يَسْلُكُهَا . فَلَا عْتِدَالُ فِي الْأَمْرِ دَاعِيَةِ السَّعَادَةِ فِيهِ .
التَّوَسُّطُ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ سَبَبٌ لِحِفْظِ الصِّحَّةِ مِنْ
الْأَمْرَاضِ وَالْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ .

وَالْأَعْتِدَالُ فِي التَّنَزُّهِ وَاللَّهُوِ دَاعِيَةُ مُرُورِ النَّفْسِ وَنَشَاطِ
الْجِسْمِ . وَفِي تَوَكُّفِهَا أَنْقِبَاضُهَا . وَفِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا تَعْوِيدُهَا
الْكُسْلَ وَالْخُمُولَ وَالتَّمِيلَ إِلَى الْمَفَاسِدِ .

وَالْإِقْتِسَادُ فِي كَسْبِ الْمَالِ وَبَذْلِهِ يَهْدِي إِلَى وُجُوهٍ
الْخَيْرِ فِي مَكْسَبِهِ ، وَتَرْكِ الشَّرِّ ^(٣) فِي جَمْعِهِ مِنْ حِلِّهِ وَغَيْرِ

(١) الْإِثْرَةُ : الْإِسْثَارُ ، وَهُوَ الْإِسْتِدَادُ بِالنَّفْعَةِ

(٢) الْأَرْقَاءُ : الْعَبِيدُ

(٣) الشَّرُّ : اشْتِدَادُ الْحَرَمِ وَغَلَبَتُهُ

حَالَهُ ، وَ يُرْشِدُهُ إِلَى طُرُقِ الْإِنْفَاقِ الْقَوِيْمَةِ ، فَلَا يَكُونُ بَخِيلًا وَلَا مُسْرِفًا ، بَلْ يَمِيشُ عَيْشَةَ السَّعَادَةِ وَالرِّفَاقَةِ ^(١)

وَالْقَصْدُ ^(٢) فِي الْعُكُوفِ عَلَى الدَّرْسِ وَالْمُطَالَعَةِ يَدْعُو إِلَى تَرْوِيحِ النَّفْسِ ، وَيَطْرُدُ عَنْهَا الْمَلَلَ وَالسَّامَةَ .

وَالْأَخْذُ بِحَظِّي الدُّنْيَا وَالْدِّينِ ، وَالتَّمَسُّكُ بِمَا يُرَبِّي الْجِسْمَ وَيُنْعِمُهُ ، وَيُهْدِبُ الْعَقْلَ وَيُقَوِّمُهُ ، سَبَبٌ لِنَيْلِ السَّعَادَتَيْنِ فِي الْحَيَاتَيْنِ .

وَحَمْلُ النَّفْسِ عَلَى التَّرَفُّعِ عَنِ الصُّغَارِ ^(٣) ، وَالتَّنْزُّهِ عَنِ الْكِبَرِيَاءِ ، هُوَ الْإِبَاءُ الْمَحْمُودُ ^(٤) . وَهُوَ شَرَفٌ لِلنَّفْسِ عَظِيمٌ ، لِأَنَّهُ يَرْبَأُ بِالنَّفْسِ أَنْ تَسْتَكِينَ لِلضَّمِيمِ ^(٥) ، وَيَعْصِيهَا ^(٦) أَنْ تَعْمِدَ لِأَحْتِقَارِ النَّاسِ ، أَوْ تَعِيلَ إِلَى تَذَلُّلِهِمْ ، أَوْ تَجْنَحَ لِلْأَسْتِثَارِ بِالْمَرَافِقِ وَالْمَنَافِعِ ^(٧) .

(١) الرِّفَاقَةُ وَالرِّفَاقِيَّةُ : لِينُ الْعَيْشِ وَسَعَتُهُ وَرَغَدُهُ .

(٢) الْقَصْدُ : التَّزَامُ التَّوَهُُّطُ .

(٣) الصُّغَارُ : الذَّلِيلُ وَالضَّمِيمُ .

(٤) الْإِبَاءُ : خُلُقٌ يَنْبَغُ الْإِنْسَانُ مِمَّا يَجِبُ .

(٥) يَرْبَأُ بِالنَّفْسِ : يَرْفَعُهَا وَيَعِزُّهَا — وَتَسْتَكِينُ : تَذَلُّ وَتَخَضُّعٌ — وَالضَّمِيمُ : الْقَهْرُ

وَالظُّلْمُ وَالذَّلِيلُ .

(٦) يَعْصِيهَا : يَتَّبِعُهَا .

(٧) تَجْنَحُ : تَعِيلُ — وَالْمَرَافِقُ : الْمَنَافِعُ وَالْمَصَالِحُ ، وَالْفَرْدُ مَرْفُقٌ « بَوِزُنْ مِنْبَرٍ

وَمَجْلِسٍ وَمَقْعَدٍ » وَهِيَ مَا ارْتَفَقَتْ بِهِ ، أَيِ : انْتَهَتْ .

وفيهما تقدّم من مجموع هذه التوسّطات - وغيرها مقبّسٌ عليها - سعادةٌ للمتخلّق بها ، تجعلُ حياته في هَناءٍ ، وعيشه في رَغَدٍ ^(١) .

فَمَنْ أراد أن يكون سعيداً - في نفسه وأهله ، وماله ، وولده ، وصحبه ، وكلِّ عملٍ من أعماله - فعليه أن يتطلّب السَّعادةَ في قصدِ السَّيْلِ . وليجعلْ دليلاً الى ذلك الدين والعقل والوجدان ؛ فهنَّ خيرُ دليل .

إنَّ طريقَ السَّعادةِ ، أيها النَّاشِئُ الكريمُ ، أَمَامَكَ . فاطلبها في العلم والعمل الصَّالح والأخلاقِ الفاضلة . وكن في كلِّ أمرٍكَ وَسْطاً ، تكن سعيداً .

القيام بالواجب

لو قام الناسُ بما وَجِبَ عليهم ، لَكَانُوا - وهم في الأرض - في جَنَّةِ الْخُلْدِ .

على المرء أن يَعْرِفَ ، بَادِيَّ بَدْيٍ ، مَا وَجِبَ عَلَيْهِ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً ، ثُمَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ حَقَّ الْقِيَامِ .

معرفةُ الواجبِ شيءٌ عَظِيمٌ ، وَالْقِيَامُ بِهِ أَمْرٌ أَعْظَمُ .

إِنْ كَانَ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُ الْوَاجِبَ ، فَإِنْ أَكْثَرَهُمْ يَعْرِفُهُ وَلَا يَرْعَى لَهُ عَهْدًا ^(١) . وَمَلَامَةٌ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ فَيَجِدُ عَنْهُ أَشَدَّ مِنْ مَلَامَةٍ مَنْ يَجِدُ عَنْهُ لِأَنَّهُ يُجْهَلُهُ .

عَجِبْتُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ : كَيْفَ يُرِيدُ مِنْ غَيْرِهِ أَنْ يَقُومَ بِمَا وَجِبَ عَلَيْهِ فَحَوْهٌ ، ثُمَّ هُوَ يُهْمِلُ أَشَدَّ الْإِهْمَالِ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ فَحَوْهٌ غَيْرُهُ !

مَنْشَأُ إِهْمَالِ الْوَاجِبِ أَحَدُ شَيْئَيْنِ : الْأَثَرَةُ ^(٢) ، وَضَعْفُ الْإِرَادَةِ .

(١) لا يرعى : لا يحفظ

(٢) الأثرة : الاستبداد بالثمنه والافتراء بها

فَالْأَثَرَةُ تَدْفَعُهُ إِلَى أَحْتِقَارٍ غَيْرِهِ وَالْإِسْتِبْدَادِ بِالْمَرِافِقِ
دُونَهُ ^(١) . فَيَقْتُلُ بِذَلِكَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ نَحْوَ الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ :
مِنَ الْقِيَامِ بِخِدْمَتِهَا ، وَالسَّعْيِ وَرَاءَ مَنَافِعِهَا ، كَمَا تَخْدُمُهُ
وَتَسْعَى لِمَنْفَعَتِهِ .

وَضَعْفُ الْإِرَادَةِ بِحَوْلٍ ^(٢) يَبْنِيهِ وَيَبْنِي أَنْ يَقُومَ بِمَا
وَجِبَ عَلَيْهِ . فَإِنْ خَطَرَ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ ، حَالَتْ تَرْبِيتُهُ الْفَاسِدَةُ
دُونَ الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ .

الْقِيَامُ بِالْوَاجِبِ مِنَ الْمَنَافِعِ الْمَشْتَرَكِ فِيهَا ، الَّتِي يَعُودُ
نَفْعُهَا عَلَى الْقَائِمِ بِهَا ، كَمَا يَعُودُ عَلَى غَيْرِهِ . لِأَنَّكَ إِنْ
عَمِلْتَ مَا وَجِبَ عَلَيْكَ نَحْوَ أَمْرِيٍّ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ يَبْذُلُ
جُهْدَهُ لِيُقَابِلَكَ بِمِثْلِ عَمَلِكَ ، وَيَقُومَ بِمَا وَجِبَ عَلَيْهِ نَحْوَكَ .
وَإِنْ قُمْتَ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ الْأُمَّةِ ، وَدَعَوْتَ غَيْرَكَ لِلْقِيَامِ
بِهِ نَحْوَهَا سَعِدْتَ ، وَكَانَتْ سَعَادَتُهَا سَعَادَةً أَفْرَادِهَا ، الَّذِينَ
أَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

قُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ وَالِدَيْكَ ، يَقُومَا بِالْوَاجِبِ نَحْوَكَ .
وَبِذَلِكَ نُنَالُ مَا نَحْمَدُهُ مِنَ السَّعَادَةِ .

(١) المرافق : النافع

(٢) يحول : يترض ويمنع

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ أَسَاتِذَتِكَ - بَأَنْ تَكُونَ مُتَخَلِّقًا
بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، مُكْبِئًا عَلَى الدَّرْسِ ، بِإِذْلَالِ الْجُهْدِ فِي إِيفَاءِ
الْوَاجِبَاتِ الْمَدْرَسِيَّةِ - تَكُنْ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ .

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ أَصْدِقَائِكَ - بَأَنْ تَكُونَ لَمْ عَوْنًا فِي
الضَّرَاءِ ^(١) ، وَأَنِيسًا فِي السَّرَاءِ ^(٢) ، وَأَنْ تَمُوتَ لِمَوْتِهِمْ ،
وَتَحْيَا لِحَيَاتِهِمْ ، وَأَنْ تَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ إِنْ عَثَرُوا ^(٣) ، وَتُسَاعِدَهُمْ
إِنْ أَمْلَقُوا ^(٤) - يَكُونُوا لَكَ أَعْوَانًا فِي الشَّدَائِدِ ، وَأَعْضَادًا
فِي النَّوَازِلِ ^(٥) .

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ أَهْلِكَ - بَأَنْ تُوَاسِيَ فُقَرَاءَهُمْ ^(٦) ،
وَتَذْفَعَ الْحَاجَةَ عَنْ مَحَاوِجِهِمْ ^(٧) - يَفْدُوكَ بِأَرْوَاحِهِمْ ،
وَيَبْذُلُوا مَا عَزَّ وَهَانَ لِرَفْعِ شَأْنِكَ وَإِعْلَاءِ مَنْزِلَتِكَ .

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ أَوْلَادِكَ - بَأَنْ تُرِيَهُمْ تَرْبِيَةً ، حَسَنَةً ،
وَتُخَلِّقَهُمْ بِالْأَخْلَاقِ الَّتِي تَجْعَلُهُمْ فِي دَرَجَاتِ الرِّجَالِ - يَقُومُوا

(١) الضراء : الشدة

(٢) السراء : الرخاء

(٣) عثروا : سقطوا وزلوا

(٤) أملقوا : افتقروا

(٥) الأعضاد : الأعموان - والنوازل : المصائب

(٦) تواسي فقراءهم : تعطف عليهم وتشركهم فيما أنعم الله به عليك

(٧) المحاويج : جمع محتاج

بواجبك ، ويرفعوا من مقامك ، ويكُونُوا لَكَ خَدَمًا فِي
 شَيْخُوخَتِكَ ، يَوْمَ لَا تَجِدُ مِنْ يَخْدُوكَ سِوَى بِضَاعِكَ
 الْمُهَذَّبِينَ^(١) ، الَّذِينَ قُتِلَ بِوَاجِبِهِمْ فِي زَمَنِ نَشَأَتِهِمْ .

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ زَوْجِكَ - بَأَنْ تُعَامِلَهَا ، كَمَا أَمَرَتْكَ
 الشَّرِيعَةُ ، بِالْإِيْنَسِ وَالْبَشَاشَةِ وَاللِّينِ ، وَأَنْ تَأْتِيَهَا بِمَا تَحْتَاجُ
 إِلَيْهِ ، بِلا إِسْرَافٍ وَلَا تَقْتِيرٍ^(٢) ، وَأَنْ تُهَذِّبَ أَخْلَاقَهَا ،
 وَتُعَلِّمَهَا مَا وَجِبَ عَلَيْهَا - تَكُنْ لَكَ أَطْوَعُ مِنْ يَمِينِكَ ،
 وَتَقُمْ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهَا نَحْوَكَ ، وَنَعِشْ شَرِيكَتَكَ لَكَ
 فِي السَّرَاءِ الضَّرَاءِ .

وَقُمْ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ تِجَارَتِكَ وَصِنَاعَتِكَ وَسَائِرِ عَمَلِكَ -
 بَأَنْ لَا تَكُونَ غَاشًا ، وَلَا خَادِعًا ، وَلَا مُرَوِّجًا لِفَاسِدٍ ، وَلَا
 مُجَبِّدًا لِعَوَارٍ^(٣) ، وَلَا مَادِحًا لِمُعِيبٍ - تَرَأْفَةً عَلَى النَّاسِ
 تَهْوِي إِلَيْكَ ، وَيُقْبَلِ الْقَوْمُ عَلَى مَالِكَ مِنْ تِجَارَةٍ وَ
 صِنَاعَةٍ أَوْ عَمَلٍ . لِأَنَّ الثِّقَةَ أَمْرٌ عَظِيمٌ . وَلَا يَوْجِدُهُ
 إِلَّا الْقِيَامُ بِالْوَاجِبِ .

(١) البضاع الاولاد ؛ والمفرد بَضْعَةٌ ، بفتح الباء ، وقد تكسر ؛ وهي في
 الاصل : القطعة من اللحم . وسمي الولد بَضْعَةً لانه قطعة من ابيه

(٢) التظهير : التضييق

(٣) العوار ، بثلاث العين : العيب ، والخرق في الثوب ، والعيب في السلعة

وعلى الحكومة أن تقوم بواجبها نحو الشعب - بأن
تَحْتَرَمَ لُفَّتَهُ ، وآدَابَهُ ، وعَادَاتِهِ ، ومُمِيزَاتِهِ ، وحُقوقَهُ
الأَدَبِيَّةَ والقَانُونِيَّةَ ، وسَائِرَ مَا هُوَ حَقٌّ لَهُ - فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ
أَنْدَفَعْتَ الْأُمَّةُ لِنُصْرَتِهَا وَشَدَّ أَرْزَاقُهَا ^(١) ؛ وَأَقْدَمْتَ عَلَى الْقِيَامِ
بِمَا وَجِبَ عَلَيْهَا نَحْوَهَا .

وَقِيَامُ كُلِّ فَرِيقٍ - مِنَ الْحُكُومَةِ وَالْأُمَّةِ - بِمَا يَجِبُ
عَلَيْهِ نَحْوَ الْآخَرِ ، هُوَ السَّعَادَةُ ، الَّتِي مَا وَرَاءَهَا سَعَادَةٌ فِي
هَذِهِ الْحَيَاةِ .

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا النَّاشِئُ ، بِالْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ ، فَإِنَّهُ رُوحُ
الْوُجُودِ ، وَسِرُّ الْعُمُرَانِ ، وَرَأْسُ الْأَخْلَاقِ .
أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، يُنْصِفُوكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ .
وَقُمْ بِالْوَاجِبِ عَلَيْكَ نَحْوَ غَيْرِكَ ، يَقُمْ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ نَحْوُكَ .

•••••

(١) شد الازر : كناية عن التقوية — والازر : الظهر والقوة

(١)

الثقة

لو لا الثِّقَةُ لَعَاشَ النَّاسُ دَهْرَهُمْ فِي الْقَلَقِ وَالْخَوْفِ .

وَفَقَدُ الثِّقَةُ فَقْدَانُ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ .

فَهِ رُوحُ الْأَعْمَالِ ، وَرَبِيجَانَةٌ ^(١) الْآمَالِ .

إِنْ ضَعُفَتِ الثِّقَةُ فِي النَّفْسِ ، كَانَ الْإِنْسَانُ ، نَحْوَ أَخِيهِ

الْإِنْسَانِ ، وَحَشّاً ضَارِياً ^(٢) ، يَتَشَكَّرُ لِرُؤْيَيْهِ ، وَيَتَحَفَّزُ

لِمُقَاوَمَتِهِ ^(٣) . فَلَا يَأْتُمُّهُ عَلَى مَالٍ ، وَلَا يَرَكُنُ إِلَيْهِ فِي حَالٍ .

التَّجَارَةُ مَدَارُ الْحَرَكَةِ الْأَقْصَادِيَّةِ ، وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى

تَبَادُلِ الثِّقَةِ . وَلَوْلَاهَا لَكَسَدَتِ الْأَمْوَالُ ، وَوَقَفَ دَوْلَابُ

الْأَعْمَالِ . فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ شَقَاؤُ الْحَيَاةِ ، وَضِيقُ دَائِرَةِ الرَّجَاءِ ^(٤) .

وَأَيُّ عَاقِلٍ يُقَدِّمُ عَلَى تَسْلِيمِ أَمْوَالِهِ إِلَى مَنْ لَا ثِقَةَ لَهُ بِهِ ؟

إِنْ هَذَا لَضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ عَظِيمٍ ^(٥) !

(١) الثقة : الائتمان . وَتَقَى بِهِ يَتَّقَى : أَيْتَمَّنَهُ

(٢) الربيجانة : واحدة الربيجان ، وهو نبت طيب الرائحة

(٣) ضارياً : مفترساً

(٤) يتحفز : ينهض للوثوب

(٥) الرجاء : الأمل

(٦) الضرب : النوع ، وَجْهٌ ضَرْبٌ

وكما أن قَدَّ الثِّقَةِ في الأُمُور المَادِّيَةِ دَائِعَةٌ أَنْحِلَاهَا
وفسادِها ، فكذلك هو في الأُمُور المَضَوِّيَةِ .

إذا صادقتَ إنساناً ، فَوَجَدْتَ أَنَّ لاثِقَةَ لَكَ بِصداقته -
لأنه 'يَبِيعُكَ بِأَكْلِهِ' ، أو بما هو أَحقَرُ منها ، أو بِأَكْلِ لَحْمِكَ ^(١)
مَعَ مَنْ يَرَاهُ يَأْكُلُهُ ، أو لا يَدْفَعُ عَنْكَ بظَهْرِ الغَيْبِ
ما يُوجِبُهُ إِلَيْكَ مِنَ السُّوءِ ، بل يَجْبُنُ عَنِ الْقِيَامِ بِنُصْرَتِكَ ،
أو يَبْذُلُ الْجُهْدَ فِي اسْتِنْبَاطِ الْحِيلِ لِيَخْتَسِمَ أَمْوَالَكَ ،
أو لِيَطْلَعَ عَلَى أَسْرَارِكَ ، ثُمَّ يُفْشِيهَا بَيْنَ النَّاسِ - فَإِنَّكَ لَا تُقِيمُ
عَلَى صِدَاقِهِ ، وَلَا تَرَكُنْ لِحَلْبِ صُحْبَتِهِ ^(٢) . وَإِنْ بَقِيَتْ
'مُحْكِمًا حَبْلَ الْمَوَدَّةِ' ، فَأَنْتَ غَرٌّ ^(٣) 'جَهُولٌ' ، أو جَبَانٌ
ضَعِيفٌ الْإِرَادَةِ .

الغاشُّ في عَمَلِهِ يُبَيِّتُ ثِقَةَ النَّاسِ بِهِ ، فَلَا يُقْبَلُونَ عَلَى
تِجَارَتِهِ ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِصَنَاعَتِهِ ، وَلَا يَأْتَهُونَ لِعَمَلِهِ
مِنْ أَعْمَالِهِ ^(٤) .

المُخَادِعُ وَالْمُرَائِي وَالْمُنَافِقُ وَالْكَاذِبُ وَالطَّامِعُ

(١) يَأْكُلُ لَحْمَكَ : يَتَابَكَ

(٢) صَعْبَةٌ خَلْبٌ : غَرَارَةٌ لَا فَائِدَةَ مِنْهَا ، كَمَا قَالُوا : بَرَقَ خَلْبٌ ، لِذِي

لَا مَطَرٍ وَرَاءَهُ .

(٣) الْغَرُّ : مَنْ لَمْ يُجَرِّبِ الْأُمُورَ

(٤) لَا يَحْفِلُونَ : لَا يَجْهَلُونَ وَلَا يَلْتَمِضُونَ . وَمِثْلُهُ لَا يَأْهَوُونَ

والخائن والآناني ، كل أولئك منفور منه ، منفي عنه ^(١) .
وما ذلك إلا لفقد الثقة به من النفوس .

فالمخدع 'يريد' بك المكروه من حيث لا تعلم ؛ وهو
'يظهر' لك الحب وإرادة الخير . فمتى علمت بختله ^(٢)
ومكره ، نقرت منه إضعف الثقة به .

والمرائي 'يريك' خلاف ما هو عليه : يكون فاسقاً
سافلاً ، فيريك أنه صالح علي . ويكون دينياً ماقطاً الهمة ؛
فيريك أنه شريف النفس ناهض العزيمة . ويكون آكلًا
أموال الناس بالباطل ؛ فيريك أنه أمين على ما يستودعه من
مال . ويكون ويككون ؛ فيريك أنه على خلاف ما يكون .
ومتى عرفت ما هو منطوق عليه من الأخلاق السافلة ، لفظته
لفظ النواة ^(٣) ؛ لأنك لا تثق به .

والمنافق كالمرائي في أن كلاً منها 'يطن' خلاف
ما 'يظهر' . إلا أن 'خلقه' أسفل ؛ لأنه لا يكون قاصراً
على المنافق والمنافق له . فالمرائي 'يريك' ما 'يريك' لتبيل
إليه ، وتعتقد فيه الاستقامة . والمنافق 'يستر' اعتقاده 'الديني' ،

(١) منفي عنه : مبعود عنه

(٢) الختل : الخداع والمكر

٣ لفظه : طرحة — والنواة : بذرة الثمر ونحوه

أو الاجتماعي، أو السياسي؛ ثم هو يُصرِّح لأصحاب المذاهب المختلفة، والمشارب المتباينة ^(١)، أَنَّهُ مَعَهُمْ، وَأَنَّ عَقِيدَتَهُ كَعَقِيدَتِهِمْ. وَرُبَّمَا كَانَ لَا يَعْتَقِدُ عَقِيدَةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَقَدْ يَبِيلُ إِلَى مَشْرَبٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَهُ فِي الضَّلَالِ الْمُبِينِ. فَيُطْرِي ^(٢) أَصُولَهُ وَفُرُوعَهُ، وَيَجْعَلُ مُتَّبِعِيهِ فِي أَعْلَى عِلَلِينَ ^(٣). وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْفَعَةٍ مَادِّيَّةٍ تَجْعَلُهُ مَمْلُوءَ الْحَقِيقَةِ ^(٤). وَمَتَى عُرِفَ أَحَدٌ بِالتَّفَاقُ، طَرَحَهُ النَّاسُ أَرْضًا، لِفَقْدَانِهِمْ ثِقَتِهِمْ بِهِ. وَالكَاذِبُ، إِمَّا أَنْ يَكْذِبَ لِحُوفِ مَكْرُوهِ، أَوْ رَجَاءِ مَحْبُوبٍ. وَفِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ يَكُونُ كَذِبُهُ دَاعِيًا لَطَرَحِ الثِّقَةِ بِقَوْلِهِ، وَسَبَبًا لَا عِتْقَادَ الْكَذِبِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا.

وَالطَّامِعُ يَسْمَى أَنْ يَنَالَ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّ، وَيَجْتَهِدُ لِيَقْتَطِعَ لِنَفْسِهِ حَقَّ غَيْرِهِ. فَهُوَ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى حَقٍّ، وَلَا مَرَكُونٍ إِلَيْهِ فِي أَمْرٍ. وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَتَى لِلنَّاسِ أَنْ تَثِقَ!

وَأَمَّا الْخَائِنُ فَقَدْ دَمَّ الثِّقَةُ بِهِ أَمْرٌ وَاضِحٌ. وَهُوَ فِي آكَدِ

(١) المتباينة : المختلفة

(٢) يطري أصوله : يبالغ في مدحها . والاطراء : المبالغة في المدح ، أو الإتيان بأقصى ما عند المادح منه . يقال : اطرى فلاناً : يطريه . وقد يقال : أطراء بطرئه

— بالهمز — كما في لسان العرب والقاموس ؛ لكنه نادر

(٣) أعلى عِلَلِينَ : أعلى المراتب . وعِلليون في الاصل : اسم لأعلى الجنة

(٤) الحقيقة : خريطة يطلقها المسافر في الرحل للزاد وغيره

منه في غيره ، وأدعى للثفرة منه . لأنّ الحيانة هي مجموع الخداع والرتاء والتفان والكذب والطمع . هذه هي الحيانة الكبرى ، وهي المرادة عند الإطلاق . وكل واحد من ذلك المجموع خيانة ؛ لأنّ من خادعك ، أو راءاك ، أو نافق لك ، أو كذب عليك ، أو طمع في حقك ، فقد خانك وأراك غير الحق .

والأناني - وهو من لا يرعى غير نفسه - يدعو غروره^(١) الى التكلم عن نفسه بأشياء لا تنطبق على الواقع . وكل ذي غرور معروف بالمبالغة والحيدان عن منهج الصواب^(٢) ، إذا قال عن نفسه شيئاً . فهو لذلك يكون غير موثوق به ، ويكون كلامه غير واقع موقع القبول .

ألا إنّ مدار الثقة على أفراد الأمة : فإن كان مبلّغهم من الصدق وشرف النفس عظيماً ، كانت الثقة فيما بينهم عظيمة . وإن ضعفت تلك الخلاخلة^(٣) ، ضعفت الثقة ، والتوى نظام الأعمال^(٤) ، وكان من وراء ذلك

(١) الغرور : ان يرى الانسان في نفسه من الفضائل ما ليس فيها

(٢) الحيدان : الميل والعدول — والمنهج : الطريق الواضح

(٣) الخلاخلة : الخصال ؛ والمفرد خلة ، بفتح الخاء

(٤) التوى : صر وتموج

القضاء على الطمأنينة وسعادة الأمة .

الثقة المتبادلة عروة تعلق اليها الروابط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فهي ، كما نكون بين الأفراد ، نكون بين الجماعات . وكما نكون بين الجماعات نكون بين الأمم والدول^(١) . وبأنحلها ننحل تلك الروابط ، وننحل أناسم الاجتماع^(٢) .

نعوذوا ، معشر الناشئين ، صدق القول والعمل ، وألزموا أنفسكم الإباء^(٣) والإيفاء بالوعد ، تكن الثقة بكم طوع يمينكم . ومتى نلتهم ثقة الناس بكم ، كنتم من المفليحين . وإياكم أن تضعفوها ، فإنكم بالثقة تعيشون .

(١) الدول ، بكر الدال وفتح الواو : جمع دولة ، بفتح فسكون . ومعناها السياسي . مروف . واصلها دولة الحرب ، وهو ان تدال احدى القوتين على الأخرى . يقال : كانت لنا عليهم الدولة . واما الدول ، بضم ففتح ، فهي جمع دولة ، بضم فسكون ، ومعناها ما يتداول بين الناس ، يكون لهؤلاء تارة ولهؤلاء تارة أخرى

(٢) الاناسم : جمع نظام

(٣) الاباء : الامتاع مما يجب

الحسد

كِبَارُ النُّفُوسِ لَا يَحْسُدُونَ ؛ لِأَنَّ الحَسَدَ مِنْ صِفَرِ
النَّفْسِ ، وَضَعْفِ الإِرَادَةِ ، وَلُؤْمِ الطَّبَعِ . وَالْعَظِيمُ الْأَيُّ
مَنْ بَعْدَتْ الْمَسَاوِفُ ^(١) بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الرَّضِيعَةِ .

مِنْ الْكَلِمَاتِ السَّائِرَةِ : « الْحَسُودُ لَا يَسُودُ » . وَهِيَ كَلِمَةٌ
— لَوْ تَعْلَمُونَ — عَظِيمَةٌ ، تُتَضَمَّنُ مَعَانِي كَبِيرَةً . وَهِيَ ، إِنْ
صَغُرَ لَفْظُهَا ، فَقَدْ كَبُرَ مَعْنَاهَا ، وَشَرُفَ فَخْوَاهَا .

الْحَسُودُ يَكُونُ ضَيِّقَ الْخُلُقِ ، مُنْقَبِضَ الصَّدْرِ ، مُضْطَرَبَ
الْفِكْرِ . إِنْ رَأَى ذَا نِعْمَةٍ ، أَوْ شَاهَدَ أَحَدًا نَالَ فِي النَّاسِ مَقَامًا
رَفِيعًا هُوَ أَهْلٌ لَهُ ، وَدَّ لَوْ تُحَوَّلَ تِلْكَ النِّعْمَةُ إِلَيْهِ ، وَيَكُونُ
ذَلِكَ الْمَقَامُ طَوَّعَ يَدَيْهِ ، وَإِنْ نَالَ الشَّقَاءَ مِنْ أَصْحَابِهَا مَنَالَهُ .

التَّحَنُّي — كَمَا يَقُولُونَ — رَأْسُ مَالِ الْمُفْلِسِ . وَأَنْفَى لَمَنْ
خَلَا مِنَ الإِرَادَةِ ، وَعِزَّةِ النَّفْسِ ، وَكَرَمِ الطَّبَعِ ، أَنْ يَنَالَ
الْمَقَامَ الْحَمُودَ ، أَوْ يَصِلَ إِلَى نِعْمَةِ الْمَحْسُودِ ؛ فَهُوَ بِذَلِكَ التَّحَنُّيِ
السَّافِلِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَوَّلَ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ ،

(١) الْأَيُّ : الْمُتَمِّمُ مِمَّا يَلِيهِ — وَالْمَسَاوِفُ : جَمْعُ مَسَاةٍ

وَلَا أَنْ يَخْتَصِبَ مَقَامًا لغيره ، فَيُوسِدَ إِلَيْهِ ^(١) . بل يَبْقَى - كما
 كَانَ - قَلِيلَ النِّعْمَةِ ، سَافِلَ الْمَقَامِ ، دَنِيءَ النَّفْسِ ، وَضِعَ
 الْقَدَرِ . وَهَلْ يُمَكِّنُ مِنْ كَافٍ كَذَلِكَ أَنْ يَفْقِضَ عَلَى نَاصِيَةِ
 السُّودَدِ ^(٢) ، أَوْ يَجُولَ فِي مَيْدَانِ الشَّرَفِ ؟ لَا وَرَبِّ الْكُفَّةِ .
 فَإِنَّهُ بِتِلْكَ الْأَخْلَاقِ لَا يُسُودُ ، وَلَوْ عَكَّفَ عَلَى حَسَدِهِ أَبَدَ الدَّهْرِ .
 أَمَّا الْكَبِيرُ النَّفْسِ ، فَهُوَ إِنْ بَصُرَ فِي غَيْرِهِ بِأَمْرٍ يُشْنَى
 بِهِ عَلَيْهِ ، أَوْ رَأَى فِي مَنَزِلَةٍ يُغْبَطُ عَلَيْهَا ^(٣) ، فَلَا يَجُولُ
 فِي وَهْمِهِ أَنْ يَحْسُدَهُ عَلَى نِعْمَتِهِ ، أَوْ يَحْطُ مِنْ مَنَزَاتِهِ . بَلْ
 يَسْمَى كُلَّ السَّيِّئِ لَيْئَالٍ مِثْلَ مَنَالِهِ ، وَيَرْقَى مِثْلَ رُقِيهِ . فَإِنْ
 زَادَ فِيهِ الْإِبَاءُ ، فَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ إِلَّا بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَلَا
 يَخْتَارُ لَهَا إِلَّا أَرْضَى مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ .

وَضَاعَةُ النَّفْسِ تَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يَتَحَنَّى زَوَالَ
 النِّعْمَةِ عَنْ غَيْرِهِ لِتَكُونَ لَهُ . وَإِبَاؤُهَا يَحْفِزُهُ إِلَى الْعَمَلِ ^(٤) ،
 لِيَفُوزَ بِالْحُسْنَى ؛ وَيَأْبَى عَلَيْهِ أَنْ يُرِيدَ بغيره الشُّوْءَ ، لِيَكُونَ

(١) يوسد إليه : يسند إليه

(٢) الناصية : مقدم الرأس . ويراد بالقبض على ناصية الامر التمكن منه —

والسودد : الشرف

(٣) التبعة : ان تمنى ان يكون لك من الجهد والنفق ونحوها مثل ما لغيرك ، مع
 بقاء نعمته عليه . اما الحسد فهو تمنى زوال النعمة عن المحسود لتكون للعاسد

(٤) يحفزه : يدفعه

له الخير . فالفرق بين الخلقين عظيم .

وقد علمت بما شرحناه معنى قولهم : « الحسود لا يسود » ، لأن من أخلاق الحسود ضعف الإرادة ، وصغر النفس ، والجبن عن الإقدام على عمل السادة . وأحرى بمن كان كذلك أن لا يكون سيداً . فالسيادة وهذه الأخلاق على طرفي نقيض .

عجيب ، والله ، أن يتمنى المرء ما لا يكون إلا بجِدِّ وعمل - وهو كسول خامل مهمل - وأن يرجو ما لا يكسبه إلا الحسرة ، ولا يعود عليه إلا بأقباض الصدر . وهذه صفة الحاسدين . فأحذروا ، أيها الناشئ ، أن تكون من الجاهلين .

ربما تبلغ نار الحسد بالحاسد حداً يدفعه الى إيذاء محسوده ، والسعي في ضرره ، وبذل الجهد لإيصال ضرر وب الشر إليه . وإنما يعمل ذلك ثائراً لنفسه الوضيعة ، ظاناً أن هذا العمل يطفئ جمره طبعه اللئيم .

ومتى بلغ الحسد بالحاسد هذا المبلغ ، كان وحشاً ضارياً ، وأفعى في أنيابها السم نافع^(١) . وكثيراً ما يعود الضرر عليه ، فيموت فيظله ، ويحرق بنار حقدده .

(١) الأفعى : الحية العظيمة - ونافع : مجتمع ثابت . وسم نافع : بالغ اقل

أَلَا إِنَّ الْحَسَدَ كَانَ فِيهِ مَضَىٰ أَكْبَرَ أَدْوَانِنَا^(١) ، التي قَضَتْ
 عَلَىٰ مَجْدِنَا وَمَدَنِيَّتِنَا . وَأَرَاهُ الْيَوْمَ أَفْثَكَ وَبَآءَ فَاشٍ فِي مُجْتَمَعِنَا .
 فَلَا تَرَىٰ أَحَدًا يَقُومُ بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ لِلْبِلَادِ ، وَمَنْفَعَةٌ لِلْأُمَّةِ ،
 إِلَّا وَجَدْتَ إِزَاءَهُ مِنْ الْمُقَاوِمِينَ الْجَمِّ الْغَفِيرِ^(٢) ، حَسَدًا مِنْ عِنْدِ
 أَنْفُسِهِمْ ، وَبَغْيًا عَلَى الْحَقِّ . فَإِنْ لَمْ تَتْرُكْ هَذَا الطَّبَعَ اللَّثِيمَ ،
 فَلَا رَجَاءَ لِلْخَيْرِ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ .

تَجَنَّبْ ، أَيُّهَا النَّاشِئُ ، الْحَسَدَ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ خُلُقِ الْأَدْنِيَاءِ ،
 وَصِفَةِ الْجُهَلَاءِ . فَإِنْ بَصُرْتَ بِقَائِمٍ بِالْحَقِّ فَأَعْضُدْهُ^(٣) ،
 وَيَسِّرْ لَهُ السَّبِيلَ . وَإِنْ رَأَيْتَ نِعْمَةً أُسِفِهَا اللَّهُ^(٤) عَلَى
 عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ ، فَاسْعَ إِلَى مِثْلِهَا بِقَلْبٍ طَاهِرٍ وَوَجْدَانٍ تَقِيٍّ ،
 فَإِنَّكَ تَبْلُغُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَإِيَّاكَ أَنْ يَحْمِلَكَ الْحَسَدُ عَلَىٰ مُنَاوَأَتِهِ^(٥) ؛ فَإِنَّكَ لَا تَنَالُ
 مِنْهُ مَا تُرِيدُ . بَلْ رُبَّمَا وَقَعْتَ فِي حِبَائِلِ حَسَدِكَ^(٦) . وَقَدْ
 قِيلَ : « اللَّهُ دَرُّ الْحَسَدِ مَا أَعْدَلَ لَهُ ! بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ ! » .

(١) الادْوَاء : جمع داء (٢) الجم الغفير : العدد الكثير

(٣) اعضده : أعنه وانصره ؛ يقال : عضده إذا نصره وأعانه . ولا يقال عضده .

— بتشديد الضاد — بهذا المعنى

(٤) أسبغها : أتبعها (٥) المناوأة : المعاداة والمناكة

(٦) الحبائل : المصائد ؛ والمفرد حبالة ، ويراد بها المكيدة كما هي هنا

التعاون

كُنْ عَوْنًا لغيرك ، يَكُنْ غيرُكَ عَوْنًا لَكَ . وَأُجِبِ الْخَيْرَ لَهُ ، يُجِبِ الْخَيْرَ لَكَ . فَالتَّعَاوُنُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَبَادَلُهَا النَّاسُ . وَقَلَّ مَنْ لَا يُرِيدُ لَكَ السَّعَادَةَ ، وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى إِعَانَتِكَ ، إِذَا عَرَفَ مِنْكَ أَنَّكَ تَوَدُّ لَهُ ذَلِكَ ، وَتُسْرِعُ لِمَعُونَتِهِ . إِنْ دَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا . اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ كَانَ مِمَّنْ فَسَدَتْ أَخْلَاقُهُمْ ، وَسَفَلَتْ تَرْبِيَّتُهُمْ . فَكَانَ مِمَّنْ يُغْضُونَ^(١) عَنْ مُقَابَلَةِ الْمُحْسِنِ بِالْإِحْسَانِ ، فَلَا يَمْدُّونَ إِلَيْهِ يَدَ الْمُسَاعَدَةِ ، وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ بِطَرَفِ الْمُرُوءَةِ^(٢) .

وَكثِيرًا مَا يَدْفَعُ اللَّؤْمُ بِهَذَا الصِّنْفِ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنْ يَجْزُوا مِنَ الْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ، وَيَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ . وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مِمَّنْ صَدَقَ عَلَيْهِ الْأَثَرُ : « أَتَقِي شَرًّا مِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ » .

أَقَلُّ مَرَاتِبِ التَّعَاوُنِ أَنْ تُعِينَ غَيْرَكَ حِرْصًا عَلَى أَنْ

(١) اغضى عن الامر وتغاضى عنه : تغافل عنه

(٢) الطرف : العين — والمروءة : النخوة وكمال الرجولية

نُعَان ، متى أحتجت الى المعونة . وأكمل تلك المراتب أن
تندفع في هذا الأمر ، وأنت غير آمل منه فائدة ، ولا راجٍ
منه عائدة^(١) . بل إنك تُقدِّم عليه لأنه فضيلة في نفسه ، وأَمرٌ
صالحٌ يَحْتَذِي الناسُ مِثَالَهُ^(٢) ، لِتَسْمُوَ رُوحُ التَّعَاوُنِ بَيْنَ
الْأُمَّةِ ، فَيَكُونَنَّ مِنْ وَرَاءِ نُمُوِّهَا أَجْتِمَاعُ الْقُلُوبِ ، وَأَنْثَلَاَفُ
الْمَجْمُوعِ ، وَأَتِّحَادُ الْأَفْكَارِ ، وَتَقَارُبُ الْمَيُولِ .

إِنَّ مَنْ تُحْسِنُ إِلَيْهِ تَكُونُ قَدْ نَقَشَتْ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةٌ
لَا تَنْحُوها إِلَّا الْإِسَاءَةُ . وَالكَرِيمُ لَا يُسِيءُ بَعْدَ الْإِحْسَانِ .

وإن أحسنت الى الأُمةِ كُلِّهَا ، فَقَدْ أَقَمْتَ فِي كُلِّ فَوْءَادٍ
مِنْ أَفئِدَةِ أَبْنَائِهَا تَمْثَالاً مِنَ الْمِثَقَةِ^(٣) ، وَحِرَاباً مِنَ الْمَحَبَّةِ^(٤) ،
بَيِّقِيانٍ مَا بَقِيَتِ الْأُمَّةُ .

أَفْرَادُ الْأُمَّةِ بِمَحْتَاجٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْآخَرِ . فَإِنْ
سَلَكَوا سَبِيلَ التَّعَاوُنِ ، وَنَصَرَ الْقَوِيُّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ ، وَخَفَّفَ
الْفَنِيُّ آلَامَ الْفَقِيرِ ، وَعَلَّمَ الْعَالِمُ الْجَاهِلَ ، وَأَرْشَدَ الْمُتَهَدِّدِ

(١) العائدة : الفائدة تعود على الانسان

(٢) يحتذون مثاله : يقتدون به ويصنعون مثله

(٣) المِثَقَةُ : المحبة

(٤) الحِرَابُ : الفرقة ، وصدر المجلس ، وصدر البيت ، واكرم نبيه فيه ،

ومنه محراب المسجد ، وهو مقام الامام فيه

الضَّالَّ ، وَأَحَبُّ كُلِّ فَرْدٍ لِقَبْرِهِ مَا يُجِبُّهُ لِنَفْسِهِ ، كَانَ مِنْ
وَرَاءِ ذَلِكَ سَعَادَةُ الْجَمْعِ ، وَنُهُوضُ الْأُمَّةِ مِنْ عَثْرَةِ التَّخَاذُلِ ،
وَتَنْبَهُهُمَا مِنْ فِرَاشِ الْغَفْلَةِ ، وَبَعْثُهَا مِنْ مَرَقَدِ الْخُمُولِ ^(١) .

وَلَيْسَ التَّعَاوُنُ قَاصِرًا عَلَى الْأُمُورِ الْمَادِّيَةِ فَحَسَبُ ^(٢) ،
بَلْ هُوَ عَامٌّ شَامِلٌ لِلْأُمُورِ الْمَعْنَوِيَةِ أَيْضًا . وَهُوَ فِيهَا
أَكْثَرُ مِنْهُ فِي غَيْرِهَا .

إِنْ رَأَيْتَ حَاطَرًا فِي أَمْرِهِ ، فَأَعِنِّهِ بِثَاقِبِ فِكْرِكَ ^(٣) ،
وَأَوْضِحْ لَهُ طَرِيقَ رُشْدِهِ .

وَإِنْ وَجَدْتَ مَحْزُونًا فَخَفِّفْ عَنْهُ حُزْنَهُ ، بِمَا تُنْقِيهِ عَلَيْهِ
مِنْ دُرُوسِ التَّسْلِيَةِ ، وَمَا تُرَوِّحُ بِهِ أَلَمَهُ عَنْهُ مِنْ كَلِمَاتِ
التَّفْرِيجِ ، حَتَّى تُسَرِّيَ عَنْهُ مَا أَلَمَ بِهِ ^(٤) مِنْ هَمٍّ وَحُزْنٍ .

وَإِذَا أَلْقَيْتَ ^(٥) حَاطِدًا عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى ، سَالِكًا طَرِيقَ
الرَّدَى ، تَأَمَّنَا فِي مَفَاوِزِ الْعَمَى ^(٦) ، فَأَبْذُلِ الْجُودَ لِإِرْشَادِهِ

(١) المرقد : مكان الرقود ، وهو النوم

(٢) حسب : كافٍ ؛ يقال : فلان صديقي فحسب ، أي يكفيني عن غيره ؛

والفاء في « فحسب » زائدة لتزيين اللفظ

(٣) الفكر الثاقب : الوقار المشتعل

(٤) سرِّي عنه ألام : فرَّجه عنه — وألم به : تزل به

(٥) ألقيت : وجدت

(٦) المفاويز : جمع مفازة ، وهي القمر الخالي

يَلْتَمِسُ الْكَلَامَ ، وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ ، وَالْمَعْرُوفَ مِنَ الْقَوْلِ ،
حَتَّى تَحِيلَهُ عَلَى سُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ^(١) ، وَالتَّجَمُّلِ
بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ .

عَلَى هَذَا دَرَجَ ^(٢) السَّلَفُ الصَّالِحُ ، وَفِي سُنَّةِ ^(٣) التَّعَاوُنِ
الْمَادِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ قَدْ سَلَكَوْا . وَمَا ضَرَرْنَا ، وَضَرَّ الْأُمَمَ
قَبْلَنَا ، إِلَّا إِهْمَالُ هَذَا الرُّكْنِ الْأَجْتِمَاعِيِّ الرَّكِينِ ^(٤) .
فَقَدْ اسْتَبَدَّلُوا بِهِ قُلُوبًا أَصْلَبَ مِنَ الْجَامِدِ ^(٥) ، وَأَخْلَقُوا
مَا لَا نَحْطُاطَهَا قَرَارٌ ، حَتَّى صَارَ أَحَدُنَا لِلآخِرِ عَقْرَبًا لاسِعَةً ،
وَأَفْعَى لَادِغَةً . وَمَا بِهِذَا أَمْرُنَا ، وَلَا لِمِثْلِ ذَلِكَ خَلَقْنَا .

لَمْ نُخْلَقْ ، أَثِمًا النَّشْءُ ، إِلَّا لَنَكُونَ مُتَعَاوِنِينَ عَلَى دَفْعِ
مَا يُصِيبُنَا مِنَ الشَّقَاءِ ، مُتَسَانِدِينَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ ^(٦) ، عَامِلِينَ
عَلَى مَحْوِ مَا يَنْزِلُ بِالْأُمَّةِ مِنَ الْأَلْوَاءِ ^(٧) .

إِنَّ الْأُمَّةَ مَحْتَاجَةٌ إِلَى الْمَعُونَةِ ، فَدُثُّوا إِلَيْهَا أَيْدِيَكُمْ .

(١) الصِّرَاطُ : الطَّرِيقُ

(٢) دَرَجٌ : مَعْنَى

(٣) السُّنَّةُ : الطَّرِيقُ

(٤) الرُّكْنُ : الْقَوَى

(٥) الْجَامِدُ : الصَّخْرُ

(٦) مُتَسَانِدِينَ : مُتَعَاوِنِينَ يُسْنَدُ كُلُّ وَاحِدٍ الْآخَرَ — وَالسَّرَاءُ : الرِّخَاءُ

وَالضَّرَاءُ : الشَّدَّةُ

(٧) الْأَلْوَاءُ : الشَّدَّةُ يَكُونُ مِنْهَا الضَّرْدُ

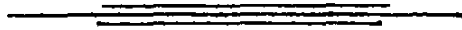
هي جاهلة ، فَأَعِينُوهَا بِالْعِلْمِ .

هي فاسدة ، فَأَعِينُوهَا بِالْإِصْلَاحِ .

هي فقيرة ، فَأَعِينُوهَا بِبَذْلِ الْمَالِ ، لِتَفْتَحَ بِهِ الْمَدَارِسَ ،
وَتُنْشِئَ الْمَعَامِلَ وَالْمَصَانِعَ .

فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ، كُنْتُمْ أَبْنَاءَهَا الْبَارِينَ ^(١) ، وَرَجَاءَهَا الْعَامِلِينَ .

فَتَعَاوَنُوا عَلَى ذَلِكَ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَعَاوِنِينَ .



(١) التقريظ والانتقاد

رأيتُ كثيراً من النَّاسِ يَسُوهُمُ المدح ، وإن كان بالباطل ،
وَيَسُرُّهُمُ الانتقاد ، وإن تَجَسَّم فِيهِ الحقُّ . وما ذلك إلا من
غُرُورِ النَّفْسِ وَوَلَعِهَا بِالْبَاطِلِ .

الْمَغْرُورُ يُطْرِبُهُ التَّقْرِيزُ ، وَيُرْنَحُهُ المدح ^(٢) . فَكَانَ
الثناءُ عَلَيْهِ رَاحٌ ^(٣) ، مَتَى خَالَطَتْ جَوْفَهُ ظَنٌّ أَنَّهُ مَلَكٌ
الْبَسِيطَةُ وَمَنْ عَلَيْهَا . وَمَا يَسْتَحِقُّ - لو أَنْصَفَهُ مُقَرِّظُهُ -
غَيْرَ الصَّفْعِ وَالْقَضْعِ ^(٤) . وَإِنْ أُنْقِدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ عَمَلَهُ ، وَأَبَانَ
لَهُ طَرِيقَ الرُّشْدِ فِيهِ ، عَبَسَ وَبَسَرَ ^(٥) ، وَوَلَّى وَأَسْتَكْبَرَ ،
وَأَسْتَشَاطَ غَضَبًا وَزَمْجَرَ ^(٦) .

أَمَّا الْعَاقِلُ الْخَبِيرُ ، فَلَا يَسُرُّهُ مِنْ يَمْدُوحِهِ ، لِأَنَّ
الْمُقَرِّظَ لَا يَذْكُرُ إِلَّا حَسَنَاتِهِ ، وَيَطْوِي كَشْحًا ^(٧) عَنْ ذِكْرِ
سَيِّئَاتِهِ . وَالْمَرءُ أَدْرَى بِأَلِهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، فَلَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى

(١) التقريظ : المدح في حياة المدوح بحق أو باطل

(٢) يرنحه : يجمله يتمايل

(٣) الراح : الغمر

(٤) الصفع : الضرب على التقاء يجمع الكف - والقضوع : الضرب على الرأس بيسط الكف

(٥) بدر : قطب وجهه وتكره

(٦) استشاط : الهم واحترق - وزمجر : أكثر الصخب والصياح

(٧) طوى عن الأمر كشحاً : تركه وإهمله

لِثَبَاتٍ . وَإِنَّمَا يُلَذِّذُهُ^(١) أَنْ يَرَى مِنْ يَدِهِ .
 الصَّحِيحُ . لِأَنَّ الْمُتَقَدِّمَ يُظْهِرُ لَهُ عِيُوبَهُ ، وَيُوضَحُ خَطَاةَهُ .
 وَيُنْشُرُ مَا طَوِيَ مِنْ زَلَّاتِهِ^(٢) ، فَتَنَى عَلِمَهَا أَجْتَنِبَهَا ، وَبَاعَدَ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . فَيَطْهَرُ بِذَلِكَ مِنْ وَضَرِ الْعُيُوبِ^(٣) ،
 وَبَنَى مِنْ جَرَائِرِ السَّيِّئَاتِ^(٤) . وَصَدِّيقُكَ مِنْ صَدَقِّكَ ،
 لَا مِنْ صَدِّكَ .

لَوْلَا الْأَنْتِقَادُ لَظَلَّ النَّاسُ فِي الْغُرُورِ سَادِرِينَ^(٥) ، وَلِلْآثَامِ
 مُرْتَكِبِينَ ، وَعَنِ الْحَقِّ ضَالِّينَ ، وَفِي كَوْنِهِمْ هَوَى النَّفْسِ
 كَارِعِينَ . فَهُوَ الْمُنْهَاجُ الْأَقْوَمُ^(٦) ، وَالِدَّلِيلُ الْأَقْوَى .
 وَبِهِ تَتَمَحَّصُ الْحَقَائِقُ^(٧) ، وَتَظْهَرُ الْفَضَائِلُ ، وَتَخْفَى الْأَبَاطِيلُ ،
 وَتَعْشُو عَيُونُ الْأَضَالِيلِ^(٨) .

وَمَا مِنْ أُمَّةٍ طَارَحَتْ عَنْهَا رِذَاءَ الْجَهْلِ ، وَكَسَرَتْ عَنْ
 عُقُولِهَا قِيُودَ الْوَهْمِ - فَتَقَدَّمَتْ فِي سَبِيلِ الْعُمَرَانِ ، وَبَلَغَتْ مِنْ

(١) يُلَذِّذُهُ : يَجْعَلُهُ يَلَذُّ (٢) الزَّلَّاتُ : السَّقَطَاتُ (٣) الْوَضَرُ : الْوَسْخُ

(٤) الْجَرَائِرُ : الذُّنُوبُ ؛ وَالْمَقْرَدُ جَرِيرَةٌ

(٥) السَّادِرُ : الَّذِي لَا يَهْتَمُّ وَلَا يَبَالِي مَا صَنَعَ ؛ وَهُوَ أَيْضًا الْمُنْخَبِرُ

(٦) الْمُنْهَاجُ : الطَّرِيقُ الْوَاضِعُ

(٧) تَتَمَحَّصُ : تَتَقَنَّى مِنَ الْإِخْلَاطِ

(٨) تَعْشُو الْعَيُونُ : يَسُوءُ بَصَرُهَا

المنيّة أنتم ^(١) - إلا كان الانتقاد رائد فلاحها ^(٢) ،
 رسمة نجاحها ^(٣) . وما من قوم غرّتهم حلاوة التّقرّيط ،
 وأسكّرتهم خمره المديح ، وأخذرت همّهم مرافين الشّاء ^(٤) ،
 إلا ضرّ بهم الدهر بضرّ بانه ، ورماهم بنكباته ^(٥) .
 والسّر في ذلك ، أن الانتقاد يحفز الهمة ^(٦) ،
 فيتعد المرء عما هو فيه من سوء الحال ؛ ويدفعه الى
 ميدان العمل ، ليحمد المآل ^(٧) . فيبذل الجهد ليكون
 من المتقدّمين في صالح الأعمال ، التي تُنبئه السّعادتين ،
 ونفّعه وأمتّه في الحياتين .

أمّا التّقرّيط - وأقبحه ما كان في باطل - فهو ينفخ
 في أنف الممدوح الغرور ؛ ويدخل في يافوخه ^(٨) شيطان
 العظمة والكبرياء . فيظن في نفسه أنه بلغ من الكمال السّماء ،
 حتى طال الجوزاء ^(٩) . فتضعف همّته عن كسب الفضائل ،

(١) أقصى : أبعد (٢) الرائد : الدليل

(٣) النسمة : نفس الروح

(٤) المرافين : جمع رفين وهو شيء كالبنج ؛ وهي كلمة افرنجية عربت حديثاً

(٥) النكبات : المصائب

(٦) يحفز : يدفع ويسوق (٧) المآل : العاقبة والمرجع والمصير

(٨) اليافوخ : الموضع الذي يتحرك من الرأس عند ما يكون الانسان طفلاً ؛

وهو ما تسميه العامة « النافوخ » بالنون

(٩) الجوزاء : برج في السماء

وَتَفْتَرُ عَزِيمَتُهُ عَنْ أَفْتِرَاعِ الْعِظَامِ^(١) . فَلَا تَسْمُو مَعَارِفُهُ
وَمَوَاهِبُهُ^(٢) ، إِنْ كَانَتْ لَهُ عُلُومٌ وَشَمَائِلُ^(٣) ؛ وَيَظَلُّ جَاهِلًا
مَرْدُولًا ، إِنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَضِيلَةِ .

وَإِنْ هُنَاكَ قَوْمًا لَا يَعْمَلُونَ ، إِلَّا إِذَا عَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ
يَمْدَحُونَ أَعْمَالَهُمْ ، وَيُقَرِّظُونَ إِقْدَامَهُمْ . وَتَرَى قَوْمًا يَزِيدُهُمْ
التَّقْرِيطُ هِمَّةً إِلَى هِمَّتِهِمْ ، وَنَفَازًا فِي الْأَمْرِ عَلَى نَفَازِهِمْ فِيهِ ؛ فَلَا
بَأْسَ بِتَقْرِيطِ عَمَلِهِمْ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، لِيَزْدَادُوا إِقْدَامًا مَعَ إِقْدَامِهِمْ
وَنَحْنُ لَمْ نَذْمُ التَّقْرِيطَ مُطْلَقًا ؛ بَلْ ذَمَمْنَا مَنْ يُرِيدُ مِنْ
غَيْرِهِ أَنْ يُقَرَّرَ ظُهُ^(٤) بِحَقِّ أَوْ بَاطِلٍ ، وَيَسُوَّهُ^(٥) مِنْهُ أَنْ يَلْتَقِدَ عَلَيْهِ
عَمَلُهُ ، إِنْ فَعَلَ مَا لَا يُسَكَّتُ عَنْهُ . وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنَ
الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا . وَأُولَئِكَ هُمْ فِي مَجْهَلٍ^(٦)
مِنْ سَفَالَةِ الْأَخْلَاقِ ، يَهْلِكُ فِيهِ الْمَعْرُورُونَ . فَمِنْ سَرِّهِ^(٧) التَّقْرِيطُ
فَلَا يَسُوَّهُ^(٨) الْإِنْتِقَادَ . فَالتَّقْرِيطُ إِنْ كَانَ دَاعِيًا لِلْإِقْدَامِ عَلَى الْعَمَلِ
الطَّيِّبِ ، فَالْإِنْتِقَادُ يَرْبَأُ^(٩) بِالْإِنْسَانِ إِنْ يَرِدَ مَوَارِدَ الْخَطْلِ^(١٠) ،

(١) افتراع العظام : الغلبة عليها

(٢) المواهب : العطايا ؛ والمراد بها هنا الصفات الفريزية لأنها هبة من الله للإنسان

(٣) الشمائل : الاخلاق ؛ والمفرد شمال — بكسر الشين —

(٤) المجل : الأرض التي لا يهتدى فيها

(٥) يربأ به : يرفعه وينهض به — والخطل : المنطق الخاسد

أَوْ يَنْقُطَ فِي مَزَالِقِ الزَّلَالِ ^(١) .

وما الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكر ، إلا ضرب ^(٢)
من ضرُوبِ الانتقاد . ولولاهما أَظَلَّ الجاهلُ الفاسدُ سادراً في
غُلُوِّاته ^(٣) ، ناشراً للفسوق عن الحق ^(٤) كبيرَ لوائه .

وبعد ، فإنَّ فِئَةً من الناس قد اتَّخَذَتِ الانتقادَ ذريعةً
للنيلِ من الخلق ^(٥) ، وُحِجَّةً للوقعة في أعراضهم ^(٦) .
فراشوا سهامَ السِّبابِ ^(٧) والفُحْشِ من القول ، ورَمَوْا بها
من أرادوا أن يَنْتَقِدُوهُ . فتراهم لا يتركون شاردةً من
السَّفاهةِ والبذاءِ ^(٨) والمنكر من الكلام إلا وَجَّهوها إليه .
وما هذا بالانتقاد ؛ وإنما هو التَّشْفِي والتَّقْرِيع ^(٩) . وذلك لَوْمٌ

(١) المزالق : الأماكن التي تزلق فيها الأرجل — والزلال : الخطأ والانحراف
من الصواب

(٢) الضرب : النوع

(٣) السادر : الذي لا يهتم ولا يبالي بما صنع ، والذاهب عن الشيء : تركاً عنه —
والغلواء : التلو ، وأول الشباب . والسادر في غلوائه : هو الذي يمشي كما تأمره
النفس بالإمارة بالسوء غير مهتم بالمواقب

(٤) الفسوق عن الحق : الخروج عنه والمدول عنه

(٥) ذريعة : وسيلة وواسطة — وقال منه نبلاً : سبه وشتمه

(٦) الوقية : السب والشتم . وقع فيه : سبه وعابه

(٧) ريش السهام : كناية عن التيهود للرعي

(٨) البذاء : التكلم بفحش القول

(٩) التشفي : الانتقام — وللتقريع : التعنيف والافلاط

وَحِصَّةٌ طَبَعَ يَتَجَافَى^(١) عَنْهَا أَوَّلُ الْمُرُوءَةِ .

إِنَّ الغَايَةَ مِنَ الْإِتْقَادِ صَرْفُ الْمُتَّقِدِ عَلَيْهِ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ جَهْلٍ أَوْ خَطَأٍ . فَالْتَّسَرُّعُ فِي الْإِتْقَادِ ، وَمَرْكُ الرَّفِيقِ فِيهِ ، دَاعِيَانِ لِتَعْصِبِهِ لِمَا هُوَ فِيهِ ، وَإِنْ وَضَحَ لَهُ الْأَمْرُ أَيْمًا وَوضوح . وَقَدْ وَوَدَّ : « مِنْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ بِمَعْرُوفٍ » . فَالْتَّقْدُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ، لِيَكُونَ مِنْ وَرَائِهِ نَجَاحُ الْقَضْدِ وَفَلَاحُ السَّعْيِ : « وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، أَدْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ^(٢) » . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ .

لَا تَغُرَّنَّكُمْ ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَقْوَالُ الْمُحِبِّينَ^(٣) ، وَلَا كَلِمَاتُ الْمُقَرَّبِينَ ، فَكَثِيرًا مَا يَقُولُونَ غَيْرَ الْحَقِّ ، طَمَعًا فِي أَنْ كُنْساب قُلُوبِ الْمُقَرَّبِينَ ، أَوْ فِي دُرِّيَّهَاتِ نَسَقَطُ مِنْ أَيْدِيهِمْ عَلَيْهِمْ .

وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَسْلُكُوا هَذَا الطَّرِيقَ ، فَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى الْكَذِبِ

(١) يتجافى : يترفع ويفتنحى

(٢) الولي : الناصر ، والصديق ، والحب — والحميم : الصديق كل الصديق

(٣) المحبذ : من يقول لك : حبذا ما تفعل ، يمدح عملك

وما أَقْبَحَ ذَنْبَ الْكَاذِبِينَ ! وَتَمَسَّكُوا بِأَذْيَالِ مَنْ يَنْتَقِدُ عَلَيْكُمْ
أَعْمَالَكُمْ ، وَبَيِّنْ خُطَأَكُمْ ، تَرْتَدُّوا إِلَى أَقْصَى سَبِيلٍ .

وإن رَأَيْتُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ مَا يُنْتَقَدُ ، فَسَدِّدُوا خُطُواتَهُ ^(١) ،
وَأَنْصَحُوا لَهُ بِالْإِقْلَاعِ عَنْ زَلَّاتِهِ ^(٢) ، بِالْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْمَعْرُوفِ
مِنَ الْقَوْلِ .

وَإِيَّاكُمْ إِنْ تَسْتَعْمِلُوا خُشُونَةَ الْكَلَامِ ، فَإِنَّهَا أَوْخَزُ مِنَ
السَّهَامِ ^(٣) ، وَأَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ ^(٤) . وَهِيَ مُضَيِّعَةٌ
لِلْفَائِدَةِ ، مُنْفِرَةٌ لِلْقُلُوبِ .

بل كونوا من أَهْلِ اللَّيْنِ وَالرِّفْقِ ، تَنَالُوا مَا تُرِيدُونَ .
وَقَدْ قِيلَ : « الْمَاءُ مَعَ رِقَّتِهِ ، يَقْطَعُ الْحَجَرَ مَعَ شِدَّتِهِ » .
وَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ نَبِيَّهِ - هَارُونَ وَمُوسَى - فِي شَأْنِ فِرْعَوْنَ
بِقَوْلِهِ : « إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ^(٥) ؛ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا
قَوْلًا لَيْنًا ، لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ^(٦) » .

(١) سددوا خطواته : ارشدوه إلى السداد والاستقامة

(٢) الإقلاع : الابتعاد والترك — والزلات : الخطيئات

(٣) أوخر : أشد وخزاً ؛ والوخز : الطعن بالرمح والابرة ونحوهما — والسهام : النبال

(٤) وقع الحسام : شدة ضربه — والحسام : السيف القاطع

(٥) طغى : جاوز الحد

(٦) يخشى : يخاف

(١)

التعصب

نُعَصِّبُ لِحَسَنِكَ وَلُغَتِكَ وَدِينِكَ وَمَذْهَبِكَ الْأَجْتَمَاعِيَّ
وَنِحْلَتِكَ ^(٢) السِّيَامِيَّةَ ، وَلَا يَسُوكُكَ مِنْ غَيْرِكَ هَذَا التَّعَصُّبُ . بَلْ
دَعِ كُلَّ إِنْسَانٍ وَمُعْتَقَدَهُ ، فَلَسْتَ عَلَى أَحَدٍ بِمُسَيِّطِرٍ ^(٣) . وَكُلُّ
أَمْرٍ حُرٍّ فِي أَنْ يَدِينَ بِمَا يَشَاءُ ، وَأَنْ يَتَعَصَّبَ لِمَا يُرِيدُ .

بِهَذَا قَضَتِ الْأَدْيَانُ ، وَحَكَمَتِ الْمَذَاهِبُ الْأَجْتَمَاعِيَّةُ
الصَّحِيحَةُ . وَفِي هَذِهِ السَّبِيلِ سَارَ الْمُتَمَدِّنُونَ مِنَ الْأُمَمِ ،
كَسَارِ آبَاؤِكَ ، أَثْمَانِ النَّاشِي ، مِنْ قَبْلِ .

التَّعَصُّبُ شَيْءٌ جَمِيلٌ ، وَمَذْهَبٌ قَوِيمٌ ، وَسُنَّةٌ وَاضِحَةٌ ^(٤) ،
وَمَنْهَجٌ سَدِيدٌ ^(٥) . فَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَى الْأُمَّةِ لُغَتَهَا وَجَنَسِيَّتَهَا

(١) التعصب : التشدد . تعصب في دينه ولغته : كان شديداً فيهما ، غيوراً
عليهما ، مدافعاً عنهما . وتعصب لفلان ومع فلان : مال إليه وانتصر له . وتعصب
عليه : قاومه ومال عليه

(٢) النحلة : المذهب والعقيدة

(٣) المسيطر : الرقيب الحافظ ، والمسيطر على الشيء . يشرف عليه ويتمدد أحواله
ويكتب عمله . فكأنه مأخوذ من سطر يسطر سطراً بمعنى كتب

(٤) السنة : الطريقة

(٥) المنهج : الطريق الواضح — والسديد : القويم

وَأَخْلَاقَهَا الْفَاضِلَةُ وَعَادَاتُهَا الطَّيِّبَةُ ، وَيَحْمِلُهَا عَلَى أَنْ تَكُونَ
شَدِيدَةً الْبَاسَ ^(١) ، قَوِيَّةً السَّاعِدَ ، مَنِيعَةً الْجَانِبَ . وَمَتَى
قَدَّتْ هَذَا الْخُلُقَ - 'خُلُقَ التَّعَصُّبِ الْكَرِيمِ' ، بِمَا طَرَأَ عَلَيْهَا
مِنْ فُسَادِ التَّرْبِيَةِ - أَضَاعَتْ مُمَيِّزَاتِهَا ، وَخَسِرَتْ قُوَّتَهَا وَبِأَسْمَافِهَا ،
فَكَانَتْ مَعَ الْهَالِكِينَ ، وَالذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ . وَمَا هَلَكَهَا إِلَّا
مَوْتُ الشُّعُورِ ، وَفُسَادُ الْأَخْلَاقِ ، وَذَهَابُ الْمُمَيِّزَاتِ .
وَإِنَّمَا الْأُمُّ الْأَخْلَاقُ .

تَعْصِبُكَ لِدِينِكَ يَدْعُو غَيْرَكَ أَنْ يَرْغَى 'حُرْمَتَكَ' ،
وَعَدَمُ الْكَثْرَةِ لَهُ يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ لَا يَغْبَأَ بِكَ ^(٢) .

وَمَعْنَى التَّعَصُّبِ لِلدِّينِ الْقِيَامُ بِفُرُوضِهِ ، وَأَنْتِهَاجُ ^(٣) 'سُنَّتِهِ' ،
وَأَتْبَاعُ أَوْامِرِهِ ، وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ ، وَالتَّخَلُّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ ،
الَّتِي يَحْفِزُ ^(٤) 'التَّدْبِيرُ' إِلَيْهَا .

وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْ تَكْرَهُ غَيْرَكَ ، مِمَّنْ لَيْسَ عَلَى دِينِكَ ،

(١) الْبَاسُ : الْقُوَّةُ ، وَالشَّدَّةُ ، وَالشَّجَاعَةُ

(٢) اكْتَرَتْ لَهُ وَغَبَأَ بِهِ : ائْتَمَّ بِهِ وَبَالَاهُ .

(٣) الْإِنْتِهَاجُ : السَّلُوكُ - وَالسَّنُّ : جَمْعُ سَنَةٍ وَهِيَ الطَّرِيقُ . وَالسَّنَةُ فِي

الدِّينِ : مَا كَانَتْ دُونَ الْفُرُضِ

(٤) يَحْفِزُ : يَدْفَعُ وَيَسُوقُ

وَنَصِبَ الحَبَائِلَ ^(١) للضَّرَرِ بِهِ ، وَتَبَذَلَ الجُودَ لِتُلْحِقَ بِهِ
الْأَذَى وَالْمَكْرُوهَ . فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ التَّعَصُّبِ لِلدِّينِ فِي
شَيْءٍ . وَإِنَّمَا هُوَ تَعَصُّبٌ لِلوَحْشِيَّةِ عَلَى الْمَدْنِيَّةِ ، وَضَرْبٌ مِنْ
ضُرُوبِ الِهْمَجِيَّةِ ؛ لِأَنَّ كُرْهَ الْمُخَافِ فِي الدِّينِ ، وَالْحَاقَ
الْأَذَى بِهِ ، عَمَلٌ مِنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا الْأَنْتِسَابَ إِلَيْهِ .
فَالدِّينُ وَهَذَا الْعَمَلُ عَلَى طَرَفِي تَقْيِضُ ^(٢) .

أَمَّا مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُمْ ^(٣) ، مَنْ لَبَسُوا
الدِّينَ مَقْلُوبًا ، فَهُوَ لِأَنَّهُمْ لَبَسُوا فِي الْعَبْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ^(٤) . وَمَا
هُمْ بِحُجَّةٍ عَلَى الدِّينِ . بَلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ^(٥) . وَلَيْسَ
فِي دِينِ اللَّهِ شَيْءٌ مِمَّا يَزْعُمُونَ .

إِنَّ مَنْ يَدَّعُونَ التَّعَصُّبَ لِلدِّينِ ، أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .
وَلَا يَدْرِفُونَ مِنْهُ إِلَّا أَنَّ آبَاءَهُمْ كَانُوا بِهِ يَدِينُونَ . فَهُمْ فِي ظَاهِرِ
الْأَمْرِ مُتَدَيِّنُونَ . وَمَا هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا مُقَلِّدُونَ ، يَلُوكُونَ
مِنَ الْكَلَامِ مَا لَا يَفْهَمُونَ ، وَيَتَتَسَبُّونَ إِلَى مَا لَا يَفْقَهُونَ ^(٦) ،

(١) الحَبَائِلُ : المَكَايِدُ ؛ وَأَصْلُ مَعْنَاهَا : الْمَصَائِدُ

(٢) عَلَى طَرَفِي تَقْيِضُ : أَيُّ هُمَا مُتَخَالِفَانِ

(٣) الْخَلَقُ : النَّصِيبُ الْوَافِرُ مِنَ الْخَيْرِ

(٤) لَبَسُوا فِي الْعَبْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ : أَيُّ لَبَسُوا مِنْ جِبَاءِ بِهِمْ

(٥) الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ : الدَّلِيلُ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَى الْخُضُوعِ

(٦) يَفْقَهُونَ : يَطْلُونُ وَيَفْهَمُونَ

وَيُغْضُونَ مِنْ لَا يَدِينُ بِدِينِهِمْ وَيَكْرَهُونَ ، مُعْتَقِدِينَ
أَنَّهُمْ بِمِثْلِ هَذَا يَنْجُونَ ، وَالِىَ اللَّهِ يَتَقَرَّبُونَ . إِلَّا سَاءَ
مَا يَزِرُونَ ^(١) ، وَقُبْحَ مَا يَفْعَلُونَ .

وَهُنَاكَ طَائِفَةٌ لَبَسَتْ مِنَ الْعَامَّةِ الْجَاهِلَةِ ، وَلَا مِنَ الْخَاصَّةِ
الرَّاقِيَةِ ، تَزْعُمُ التَّعَصُّبَ لِلدِّينِ ؛ وَهِيَ لَا تَقُومُ بِشَعَائِرِهِ ^(٢) ، وَلَا
تَمَسُّكَ بِسُنَّتِهِ وَفَرَائِضِهِ ، وَتَدْعُو النَّاسَ بِأَسْمِهِ . وَرَبَّمَا كَانَتْ
جَعْبَةً عَقِيدَتِهَا ^(٣) أَفْرَغَ مِنْ جَوْفِ الطَّبْلِ .

وَمَا التَّعَصُّبُ لِلدِّينِ - كَمَا أَسْلَفْنَا - إِلَّا التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ ،
وَالْقِيَامُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ ، وَالْبُعْدُ عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ . فَهُمْ يَغْرُونَ
الْعَامَّةَ ، لِيُغَرِّرُوا بِمَقُولِهَا ^(٤) . وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ أَيْضًا لَيْسَتْ حُجَّةً
عَلَى الدِّينِ ؛ لِأَنَّهَا تَدْعُوا بِأَسْمِهِ رَجَاءَ الْمَنْفَعَةِ الْخَاصَّةِ ، وَتُنْفِرُ
السُّدُجَ مِمَّنْ لَا يَدِينُ بِدِينِهِمْ ، بُغْيَةَ السَّيْطَرَةِ عَلَى عُقُولِهِمْ ،
وَأَمَلًا بِالسُّلْطَةِ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ . وَاللَّهُ بَرِيٌّ مِنْهَا وَمِنْ أَعْمَالِهَا .

.....

(١) يزدون : يحملون ؛ والمراد ما يحملون من ائقال هذه الاعمال الخالفة

للدن ؛ والماضى وَزَرَ . واليوزر - بالكسر : الحمل الثقيل ، والذنب

(٢) شعائر الدين : اعماله التي تقرب الى الله ؛ والفرد شعية . والشعية ايضاً : العلامة

(٣) جعبة عقيدتها : وعاؤها . والجعبة في الاصل : وعاء السهام

(٤) غرر به : عرضنه للهلكة

وَتَعْصُوكَ لِحُذْنِكَ وَلُغَتِكَ ، يَجْعَلُكَ مَرْهُوبَ الْبَأْسِ ^(١)
عِنْدَ غَيْرِكَ ، رَفِيعَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْهِ . وَأَحْتِقَارُكَ إِيَّاهُمَا يَدْعُوكَ
مَسْخُورًا بِكَ ^(٢) عِنْدَ مَنْ لَا تَجْمَعُكَ وَإِيَّاهُ لُغَةٌ ، وَلَا تَضُمَّكَ
جَنْسِيَّةٌ . وَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى بُرْهَانٍ .

وَكَمَا أَنَّ تَفْسِيرَ التَّعَصُّبِ لِلَّذِينَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ أَمْرٌ
مَذْمُومٌ - كَمَا عَلِمْتَ - فَكَذَلِكَ تَفْسِيرُهُ ، فِي مَقَامِ الْجَنْسِيَّةِ
وَاللُّغَةِ - بِأَحْتِقَارِ لُغَاتِ النَّاسِ وَجَنْسِيَّاتِهِمْ ، وَإِخْلَاقِ الْأَذَى
وَالْمَكْرُوهِ بِهِمْ - أَمْرٌ لَا يَتَّفِقُ مَعَ التَّعَصُّبِ الْمَحْمُودِ ، وَلَا
يَجْرِي مَعَ الْحَقِّ فِي مِيزَانٍ . فَعَلَيْكَ ، أَيُّهَا النَّاشِئُ ، أَنْ تَحْتَرَمَ
لُغَةَ غَيْرِكَ وَقَوْمِيَّتَهُ ، كَمَا تُحِبُّ مِنْهُ أَنْ يَحْتَرَمَ مِنْكَ ذَلِكَ .

وَتَعْصُوكَ لِمَا تَمَوَّاهُ حَقًّا - مِنَ الْمَذَاهِبِ السِّيَاسِيَّةِ
وَالْأَجْتِمَاعِيَّةِ - وَمُنَاضَتُكَ عَنْهُ ^(٣) ، أَمْرٌ يَدْعُوكَ إِلَيْهِ الْوَاجِبُ ،
وَيَطْلُبُهُ مِنْكَ الْوِجْدَانُ . فَتَنَاضُلٌ عَنْ ذَلِكَ بِالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ ^(٤) ،

(١) مَرْهُوبٌ : مخوف - والبأس : الشدة ، والشجاعة ، والقوة

(٢) مَسْخُورًا بِكَ : مستهزأً بِكَ

(٣) الْمُنَاضَةُ : المداخلة والمعاماة

(٤) الْبُرْهَانُ : الدليل والحجة - والساطع : اللامع . وأصل معنى السطوع :

والدليل القاطع ، والحجة القامة ^(١) ، والمجادلة النافعة . وأربأ
 بنفسك ^(٢) أن تمرّد موارد الشّطط ^(٣) في القول ، وأن تلج ^(٤)
 - للتوصل الى بُغيتك - أبواب الفحش والبذاء ^(٥) .
 فإنّ لفيدك رأياً يجب أن يُحترم ، ومذهباً يجب تعزيره ^(٦) ؛
 كما تُحبّ تعزير رأيك واحترام مذهبك . فإنّ أُسْتَطِعت
 أن ترجعه ^(٧) عن مذهبه الى مذهبك بالحجة البالغة ،
 والبرهان الدامغ ^(٨) ، واللّين من القول ، فأفعل . وإلاّ
 فدعه وشأنه ، فليست عليه بمسيطر .

وأحذر أن تتخذ تعصّبك ذريعة للانتقام ^(٩) ؛ فليس
 هذا من شأن الكرام . ولا تدع الاختلاف في الرأي ،
 والتفرّق في الدّين أو الجنس أو اللّغة ، ينهشان جسم الاجتماع ،

(١) القامة : القاهرة المذلة

(٢) اربأ بنفسك : ارضها وثرها

(٣) الشطط : مجاوزة الحد

(٤) تلج : تدخل

(٥) الفحش والبذاء : فيج القول

(٦) تعزيره : تقويته وتشديده

(٧) رجه يرجه - بوزن ضربه يضربه . وقد يقال : أرجه

(٨) الدامغ : القاهر الذي يبطل حجة الخصم ؛ وأصله من الدماغ وهو شج الرأس

حتى تباغ الشجة الدماغ

(٩) ذريعة : وسيلة

وَيَفْرِيَانِ إِهَابَ الْمَدِينَةِ^(١) ، وَيُمَزِّقَانِ شَمْلَ الْإِنْسَانِيَّةِ ،
 'خُصُوصًا إِذَا كَانِ الْأَخْتِلَافُ مَعَ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ ،
 وَالْوَطَنِ السِّيَاسِيِّ الْوَاحِدِ .

فَالِی التَّعَصُّبِ الْحَمِيدِ ، أَيُّهَا النَّاشِئُ ، أَدْعُوكَ ، فَإِنَّهُ رَسُولُ
 السَّعَادَةِ ، وَبَرِيدُ التَّرَقِّيِ^(٢) .

فَتَعَصَّبْ لِمَا نَعْتَقِدُ أَنَّهُ الْحَقُّ ، وَتَمَسَّكَ بِدِينِكَ
 وَقَوْمِيَّتِكَ وَلُغَتِكَ — عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَحْتَهُ لَكَ — تَكُنْ
 مِنَ الْمُفْلِحِينَ .



(١) يَفْرِيَانِ : يَشْقَانِ وَيَقْطَعَانِ — وَالْإِهَابُ : الْجِلْدُ

(٢) الْبَرِيدُ : الرَّسُولُ

وَرَاثَةُ الْأَرْضِ

من أصلحَ أمراً كان صالحاً لأن يُبيِّنَ عليه^(١)؛ وإن لم يُورَثْهُ إِيَّاهُ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ . ومن أَفْسَدَهُ أَفَلَتْ مِنْ يَدِهِ وَصَارَ إِلَى غَيْرِهِ؛ وَإِنْ كَانَ يَدِهِ مُصْكُوكٌ^(٢) نُشِبَتْ وَرَاثَتُهُ إِيَّاهُ، وَشُهُودٌ عَدَلٌ يُقَرِّوْنَ أَنَّهُ مِلْكُهُ .

كلُّ ما في الوُجُودِ مِلْكٌ لِلَّهِ يُبْصَرُ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَيَبْصُرُ فِيهِ عَمَّنْ شَاءَ إِلَى مَنْ شَاءَ . وقد عَلَّقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَشِيدَهُ عَلَى وَجُودِ أَسْبَابٍ تَدْعُو إِلَى ذَلِكَ . فَمَنْ سَعَى لِهَذِهِ الْأَسْبَابِ سَعْيَهَا، وَدَخَلَ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا، كَانَ أَحَقَّ بِوَرَاثَةِ الْأَمْرِ مِمَّنْ لَا يَصْلُحُ لَهُ .

الْأُمُّ، عَلَى هَذِهِ الْبَسِيطَةِ، خَدَمَةُ اللَّهِ فِيهَا؛ وَأَجْرَاهُ يَعْمَلُونَ لِعُمْرَانِهَا . فَمَنْ كَانَ صَالِحاً لِهَذِهِ الْخِدْمَةِ، أَفْسَحَ لَهُ فِي

(١) يبيِّن : يراقب ويحافظ . والمبيِّن : الرقيب ؛ وهو من أساء الله أيضاً لانه قائم خفيظ على خلقه واعمالهم وارزاقهم وآجالهم

(٢) الصكوك : جمع صك وهو الكتاب ، وكتاب الاقرار بالمال او غيره . ومن الغريب ان الافرنج اخذوا هذه الكلمة من لغتنا الى لغتهم مصحفة فقالوا « شك » . ونحن اليوم اخذناها عنهم بتصحيفتها ، واستعملناها في صالحنا التجارية وغيرها . وجبذا لو ترجع الى تراث آبائنا في الاقوال والافعال

الولاية عليها ؛ ومن أساء أنتزَعها منه قسراً ^(١) .

إذا استخدمت أحداً ليعمل لك شيئاً ، فإنك تُراقبه
مراقبة قائمة . فإن رأيته قد أحسن الخدمة أبقيته على عمله ،
وإن زاد في الإحسان زدته في الأجر . وإن بصرت به قد
أساء وشوّه ما تريد تحسينه ، أنذرته بادي ذي بدأة ؛
حتى إذا لم يبق لك أمل في تجويده العمل ، أنتزعت ما كان
في يده من عملك ، وطردته من خدمتك . ونكون
قد أحسنت فيما فعلت كل الإحسان . وإن تغافلت عن
إساءته ، أو لم تُذكر فساد صنعه ، كانت عاقبة أمرك
الخُسران ، ونهايه مصلحتك الخراب . ولا يرضى بذلك
إلا من سفه نفسه .

الإنسان خليفة الله في الأرض ؛ واليه وكل ^(٢) أمر
عمرانها وتجويدها .

فإن أحسن السير في مناكبها ^(٣) - فدبر شؤونها ،
وعمر أقطارها ، واستخرج خيراتها ، وأثار كامن

(١) قرأ : قهراً

(٢) وكل : سلم

(٣) مناكب الارض : نواحيها وجوانبها وطرقها

ثَمَرَاتِهَا^(١) ، وَسَارَ فِي مَنَاهِجِ الْعَدْلِ فِيهَا^(٢) ، وَنَشَرَ الْعِلْمَ
الصَّحِيحَ بَيْنَ سُكَّانِهَا ، وَلَمْ يَجِدْ عَنِ الْعَمَلِ بِالْأَنْظِمِ^(٣) الَّتِي
سَنَّا الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ - كَانَ خَلِيفَتُهُ فِيهَا حَقًّا ، وَظَلَّ
يَدِهِ زِمَامُ أَعْمَالِهَا .

وَإِنْ أَسَاءَ السَّيْرَةُ ، وَلَمْ يُحْسِنْ الْقِيَامَ عَلَى مَا أُسْتُودِعَ ،
حَلَّ بِهِ مَا حَلَّ بِغَيْرِهِ ، فَصَارَ ذَلِيلًا بَعْدَ الْعِزِّ ، وَضِعْفًا بَعْدَ
الرَّفْعَةِ ، مُحْكُومًا بَعْدَ أَنْ كَانَ حَاكِمًا ، فَقَبِيرًا بَعْدَ أَنْ كَانَ
غَنِيًّا ، وَأَوْرَثَ اللَّهُ مَا كَانَ يَدِهِ غَيْرُهُ ، وَتَزَعَّ عَنْهُ
لِبَاسَ الْإِمَارَةِ ، وَأَلْبَسَهُ مِنْ اخْتَارَهُ لَهَا . وَالْيَ ذَلِكَ الْإِشَارَةُ
بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ^(٤) مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنْ
الْأَرْضَ بِرِثْنَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ » . وَالْمُرَادُ بِالصَّالِحِينَ
فِي هَذَا الْمَقَامِ مَنْ كَانُوا صَالِحِينَ لِمَعَارِثِهَا ، وَتَجَوَّيْدِ أَعْمَالِهَا ،
وَتَحْسِينِ حَالِ سُكَّانِهَا : بِنَشْرِ الْعِلْمِ ، وَبَسْطِ لِيَاءِ الْعَدْلِ ،
وَالْأَحْتِيَاظِ إِرْفَاعِ الْعَدُوِّ ، وَالْأَخْذِ بِيَدِ الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ ،
كَالزَّرَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَالتِّجَارَةِ . وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِمْ مَنْ يُطِيلُونَ

(١) اثار : استخرج وأظهر . واصل معنى الاثارة : التهييج والتحرك

— والكامن : المغتني .

(٢) المناهج : جمع منهج وهو الطريق الواضح

(٣) الاناظيم : جمع نظام

(٤) الزبور : الكتاب المنزل على نبي الله داود عليه السلام . والزبور في اللغة : الكتاب

الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ، وَهُمْ عَنْ اتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ لِوَرَاثَةِ الْأَرْضِ
 'هَجُودٌ' ^(١) . فَبِهَذَا أَمْرٌ رُوحِيٌّ مَحْضٌ ^(٢) ، تَعُودُ مَنَفَعَتُهُ
 فِي الْآخِرَةِ عَلَى الْقَائِمِ بِهِ وَحْدَهُ . وَذَلِكَ أَمْرٌ مَادِّيٌّ لَا يَكُونُ
 إِلَّا بِالْوَسَائِلِ الَّتِي هَدَى اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَالْأَسْبَابِ الَّتِي مِنْ رِعَايَا ^(٣)
 حَقٍّ رِعَايَتِهَا كَانَ يَدُهُ زِمَامُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

أَيُّهَا النَّاشِئُونَ ، إِنَّ أُمْتَكُمْ قَدْ عَرَاها ^(٤) فَسَادٌ فِي أَخْلَاقِهَا ،
 صَرَفَها عَنِ الْعَمَلِ النَّافِعِ ، وَصَدَفَها ^(٥) عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي
 تَجْعَلُهَا صَالِحَةً لِعُمُرَانِ الْأَرْضِ وَوَرَاثَتِهَا . فُخِّلَ فِيهَا الشَّقَاءُ ،
 وَنَزَلَ بِهَا الْبَلَاءُ ، وَأَنَاخَتْ فِيهَا اللَّأْوَاهُ ^(٦) ، وَأَسْتَجِمَ فِيهَا
 الدَّاءُ . وَأَنْتُمْ مَوْرِدُ سَعَادَتِهَا ، وَمَنْهَلُ رَجَائِهَا ^(٧) ، وَمُخَفِّقُو
 شِدَّتِهَا ، وَأَطِبَّاءُ أَدْوَائِهَا ^(٨) ، فَأَصْلِحُوا مِنْ أَمْرِهَا ، وَسَدِّدُوا

(١) هجود : نائمون . والمفرد هاجد

(٢) المحض : الخالص الذي لم يخالطه غيره

(٣) رعاها : حفظها وتعهدها

(٤) عراها : أصابها

(٥) صدفا : صرفا

(٦) أناخت : نزلت وحلت — واللأواه الشدة

(٧) المهمل : المورد

(٨) الادواء : جمع داء

مُخْطَوَاتِهَا^(١) ، وَسَيَرُوهَا فِي مَنَاجِجِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ؛ حَتَّى
تَكُونَ لِلْأَرْضِ وَارِثَةً ، وَلِعُمْرَانِهَا خَادِمَةً ؛ فَتَعُودَ إِلَى
سَيَرَتِهَا الْأُولَى ، وَتَرْجِعَ فِي حَافِرَةِ مَجْدِهَا السَّابِقِ^(٢) .
فَقَدْ كَفَاهَا مَا نَقَصَهُ الْعَدُوُّ مِنْ بِلَادِهَا ، وَمَا أَصَابَهَا مِنْ تَضَعُّفِ
أَخْلَاقِهَا وَمُمَيِّزَاتِهَا وَمُقَوِّمَاتِهَا .

أَنْتُمْ أَنْتُمْ ، أَيُّهَا النَّائِبُونَ ، نِبْرَاسُ الْأَمَلِ^(٣) ، وَنَجْمُ
الْهُدَى ، وَهَدَفُ الْعُلَا^(٤) ، وَغَرَضُ الْمُنَى . فَأَحْسِنُوا
لَأُمَمِكُمْ ، وَأَبْذُلُوا كُلَّ هَيْئَتِكُمْ ، وَأَوْقِدُوا نَارَ عَزِيمَتِكُمْ ،
تَكُنْ لَكُمْ أُمَّةٌ صَالِحَةٌ ، تَحْيَوْنَ بِهَا حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَتُنْجِيَا
بِكُمْ نَاهِضَةً عَظِيمَةً رَاقِيَةً .

(١) سددوا خطواتها : ارشدوها الى طريق السداد والصواب

(٢) رجع فلان في حافره : عاد في الطريق التي جاء فيها

(٣) النبراس : المصباح

(٤) الهدف : الغرض الذي يُنصب ليرى اليه

الحادث الأول

نَبَهَ لِلْحَادِثِ الْأَوَّلِ ؛ فَإِنَّ فِيهِ الصُّعُودَ أَوْ الْهَبُوطَ ،
وَالْتَقْدُّمَ أَوْ التَّأَخُّرَ ، وَالْمَوْتَ أَوِ الْحَيَاةَ .

رَأَيْنَا النَّاسَ - كَثِيرًا مِنْهُمْ - لَا يَأْبَهُونَ ^(١) لِأَوَّلِ
طَارِيٍّ وَلَا يُبَالُونَهُ ؛ كَأَنَّمَا هُوَ أَمْرٌ غَيْرُ ذِي بَالٍ ^(٢) . وَلَوْ
عَلِمُوا أَنَّ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ تَنَلِّحُ أَوَائِلَهَا ، وَتَسِيرُ سِيرَتَهَا ،
لَتَنَبَّهُوا لِلْحَادِثِ الْأَوَّلِ ، وَبَدَّلُوا كُلَّ جُهْدٍ لِدَفْعِهِ ، وَتَلَقَّوْهُ
كَمَا تَلَقَّى الْجِبَالُ الرَّاسِيَّاتُ طَوَارِيَّ النَّكَبَاتِ ^(٣) .

النتائجُ تَتَّبِعُ الْمُقَدِّمَاتِ فساداً وَصَلاحاً ، فَإِذَا صَلَحَتِ
الْمُقَدِّمَاتُ صَلَحَتِ النَّتَاجُ ؛ وَإِنْ فَسَدَتِ فَسَدَتِ .

يَقُومُ بَعْضُ النَّاسِ بِعَمَلٍ ، وَيَسْعَى إِلَيْهِ كُلُّ السَّعْيِ .
وَبَيْنَا هُوَ قَائِمٌ بِهِ ، يَطْرَأُ عَلَيْهِ طَارِيٌّ حَقِيرٌ أَوْ عَظِيمٌ ؛
فَيَجْبُنُ عَنْ إِيْتِمَامِ مَا قَصَدَ إِلَيْهِ ، وَيَتَشَبَّطُ عَنْهُ ^(٤) ، وَتَضَعُفُ
عَزِيمَتُهُ قَبْلَ بُلُوغِ الْمَرَادِ . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ فَقْدِ الصَّبْرِ

(١) لَا يَأْبَهُونَ : لَا يَخْشَوْنَ وَلَا يَمْتَنِعُونَ

(٢) أَمْرٌ غَيْرُ ذِي بَالٍ : لَا يُفْتَكَّرُ بِهِ وَلَا يُنْتَبَهُ لَهُ

(٣) الطَوَارِي : الْحَوَادِثُ - وَالنَّكَبَاتُ : الْمَصَائِبُ

(٤) يَتَشَبَّطُ : يَتَمَوَّقُ وَيَبْطُلُ

وَجُنِبَ النَّفْسُ . وَإِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى .

وَيَنْهَضُ غَيْرُهُ إِلَى أَمْرٍ ، فَتَنْصَبُ عَلَيْهِ الطَّوَارِيُّ ،
وَتُحْبِطُ بِهِ الْعَوَاقِقُ ، وَتَنْهَدُ إِلَيْهِ الْمُشَبَّطَاتُ ^(١) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
فَيَتَحَمَّلُهَا رَابِطَ الْجَأَشِ ، ثَابِتَ الْعَزِيمَةِ ، إِلَى أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا .
ثُمَّ يَسِيرُ نَحْوَ مَا قَصَدَ لَهُ ، بِهَيْمَةٍ لَا تَعْرِفُ الْكَلَالَ ، حَتَّى
يُنَالَ مَا يُرِيدُ . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ صَبَرَ عَلَى الْحَادِثِ الْأَوَّلِ ،
وَتَنَبَّهَ لِبَادِيِ الطَّوَارِيِّ ، وَدَفَعَ عَنْهُ هَاجِسَ الْجُنَنِ
وَالْجَزَعِ ^(٢) ، بِسَبَبِ مَا أُوتِيَهِ مِنْ شَجَاعَةِ الْقَلْبِ ، وَمَا تَوَرَّيَ
عَلَيْهِ مِنَ الصَّبْرِ عِنْدَ أُولَى الصَّدَمَاتِ .

وَمَا نَرَاهُ مِنْ خِيَةِ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَقُومُ بِالْأَعْمَالِ ، إِنَّمَا هُوَ
مُسَبَّبٌ عَنِ الْجَزَعِ عِنْدَ الْحَادِثِ الْأَوَّلِ . فَتَنَبَّهَ لِلْحَادِثِ الْأَوَّلِ .
السَّكُوتُ عِنْدَ أَوَّلِ فُسَادٍ يَعْرِوُ ^(٣) مَا تَعَتَّقَهُ مِنَ الْعَقَائِدِ ،
دَاعٍ لِسَرَيَانِ الْفُسَادِ إِلَى سَائِرِهِ .
وَجُنُبُكَ فِي الدَّفَاعِ عَنْ ثَغْرِ حَقِّكَ ^(٤) ، سَبَبٌ لِتَغْلُفِ
الْعَدُوِّ فِي أَحْشَائِهِ .

(١) تنهد : أسرع وتصد — والمُشَبَّطَاتُ : المَوَاقِفُ

(٢) الهاجس : ما يدور في الخلد ويخطر بالبال — والجزع : الاضطراب ،

وهو قبض الصبر

(٣) يرو : يصيب

(٤) الثغر : الشق بين الجبلين ، وموضع الحاجة من البلد يخاف منه هجوم العدو ؛

واضافة الثغر الى الحق مجاز

وَمَا وَلُوعُ الْإِنْسَانِ بِالشَّرِّ ^(١)، وَضَرَاوُتُهُ بِالْمُنْكَرِ ^(٢)،
إِلَّا لِأَسْتَهْنَاتِهِ بِكَبْجٍ جَمَاحٍ نَفْسِهِ ^(٣) الْأُمَارَةُ عِنْدَ أَوَّلِ
مَيْلٍ لِلْفَسَادِ .

وَالْغَيْثُ ^(٤) أَوَّلُهُ الْقَطْرُ . وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَضْفَرِ
الشَّرَرِ . وَالنَّوَى ^(٥) أَوَّلُ الشَّجَرِ

وَدَاةُ الْخُمَارِ ^(٦)، وَالْأَنْهَمَاكُ فِي الْعُقَارِ ^(٧)، مِنَ الْكَأْسِ الْأُولَى .

وَتَتِيمُ الْفَرَامِ ^(٨)، مِنْ أَوَّلِ السِّهَامِ .

وَالْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ ، وَأَوْسَطُهَا الضَّرَامُ ^(٩) ،
وِخْتَاُهَا الْعِمَامُ ^(١٠) .

وَإِنْ نَجَبَةٌ ^(١١) كُلُّ حَادِثٍ قَبْلَ أَنْ يَجِبَهِكَ ، وَتَدْفَعُ

(١) الولوع بفتح الواو : الولع . وكلاهما مصدر ولع يولع يولع ، بوزن ورجل يوجل

(٢) الضراوة بالامر : تموده حتى يصير عادة

(٣) الكبج : جذب الدابة بالعجام لتقف فلا تحري — والجماح : ان يركب

الفرس رأسه لا يثنيه شيء ولا يردّه شيء ؛ ومثله الجموح

(٤) الغيث : المطر

(٥) النوى : بذر الثمر ونحوه

(٦) الخمار — بضم الخاء : صدادع الخمر واذاها

(٧) العقار — بضم العين : من اسماء الخمر

(٨) تقيم الفرام : تذليله صاحبه وتعييده إياه

(٩) الضرام : الاشتغال

(١٠) العمام : الموت

(١١) نجبه : تدفع وتمنع . وأصل معنى الجبهه ضرب الجبهة

كل طاري قبل أن يعشك^(١) ، تأمن الغوائل^(٢) ، وتعيش
 مطمئناً في سربك^(٣) ، سعيداً في عملك ، عزيزاً بين قومك .
 أيها الناشئون ، إن من أدوائنا^(٤) — التي تحول بيننا
 وبين ما نشتهي — الجزع عند الحادث الأول ، وعدم
 الصبر عند الصدمة الأولى . فذلك الخلق ، ما ملك نفوس
 قوم إلا صيرهم عبيد العصا^(٥) ، وألبسهم رداء الذل ،
 وجعل سفيهم سدًى ، وعملهم هباءً منثوراً ، تذرؤهُ
 رياح الجبن والجزع^(٦) .

فتعودوا ، رعاكم الله ، الصبر ، وتشدّدوا عند
 الحادث الأول ، يسهل عليكم تلقى ما بعده ، وتكونوا في
 أعمالكم ناجحين .

•••••

(١) يشك : يضربك ، او يطلبك . يقال : عشه اذا ضربه ، وعشه اذا طلبه .

(٢) الغوائل : المهلكات

(٣) السرب بكسر السين : النفس

(٤) الادواء : جمع داء .

(٥) عبيد العصا : اذلاء .

(٦) الهباء : الغبار ، او شيء يشبه الدخان يثبت في ضوء الشمس — ومنثوراً :

مترقاً — وتذرؤه : تذرؤه وتفرقه وتطيره .

انتظر الساعة

نَجَاحُ الْعَمَلِ أَنْ يَتَوَلَّاهُ أَهْلُهُ . وَالْإِخْفَاقُ ^(١) فِيهِ أَنْ يُوسَّدَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ^(٢) .

ما رأينا عملاً من الأعمال تَوَفَّقَ فِيهِ الْقَائِمُونَ بِهِ ، إِلَّا كَانُوا مِنَ الصَّالِحِينَ لَهُ . وَمَا شَاهَدْنَا مَضْلَعَةً مِنَ الْمَصَالِحِ أَخْفَقَ فِيهَا عَمَّالُهَا ، إِلَّا كَانُوا مِنَ الطُّفِيلِينَ عَلَيْهَا ^(٣) .

إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ وَسَدًا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ نَهَايَةً ، هِيَ الْخُرَابُ ، وَسَاعَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا أَهْلُهُ ، هِيَ الْحَيَّةُ فِيهِ . وَالْإِشَارَةُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : « إِذَا وَسَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » ، أَيُ سَاعَةَ الْإِخْفَاقِ فِيهِ وَفْسَادِهِ .

وَمَتَى فَسَدَ هَذَا الْمَكُونُ ، وَتَمَادَى مِنْ عَلَيْهِ فِي الْفُسُوقِ وَالْعَصْيَانِ ، وَأَوْسَعُوا الْخُطَا ^(٤) فِي التَّفَرُّقِ بَعْدَ الْأَجْتِمَاعِ ، وَالتَّخْرِيبِ بَعْدَ الْعُمُرَانِ ، وَالْكَفْرِ بِسُنَنِ اللَّهِ ^(٥) بَعْدَ الْإِيمَانِ ،

(١) الاخفاق : الحية ، أي هدم النجاح . اخفق في الامر : لم ينجح فيه

(٢) يوسد : يسند

(٣) الطفيلي : من يدخل في امر لم يُدْعَ إليه ، نسبة الى طفيل : رجل من اهل

الكوفة كان يأتي الولائم من غير ان يدعى اليها

(٤) الخطا : جمع خطوة

(٥) سنن الله : اظلمته التي أسنها لعباده

كانت ساعته ، وقامت قيامته ، وصدمته الصدمات ، تثلوها
 النكبات ^(١) ، يوم تحرجف الرأفة ^(٢) ، تتبعها الرأفة ^(٣) ،
 قلوب يومئذ واجفة ^(٤) ، أبصارها خاشعة ^(٥) . وإنما يكون
 ذلك ، لأن أهله لم يتقوا صالحين له ، بما أتوه من ضرر
 القسوق ^(٦) عن الأنظمة التي سنّها الله ليعملوا بها ، فعادوا عنها ،
 وسلكوا غير سبيلها . وإن الله ينهل ولا ينهل . حتى إذا لم
 يبق في قوس الرجاء منزع ^(٧) ، أخذ الفاسق عن سنته أخذ
 عزيز مقتدر ، وأورده موارد ما كسبه يداه .
 تلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

ما من قوم عهد إليهم في أمر ، فلم يحسنوا في سياسته ، ولم
 يرعوه حق رعايته ^(٨) ، إلا أنزعه منهم من عهد إليهم
 فيه ، ووسده إلى غيرهم ممن يراه صالحاً له . فإن أبقاه في يد

(١) تثلوها : تتبعها

(٢) تجف : تضرب — والرافة : المراد بها النفضة الأولى التي تكون
 مقدمة ليوم القيامة

(٣) الرادفة : التامة ، والمراد بها النفضة الثانية

(٤) واجفة : مضطربة خائفة

(٥) خاشعة : ذليلة خاضعة

(٦) القسوق من القبيح : الخروج منه

(٧) لم يبق في قوس الرجاء منزع : لم يبق أمل ولا رجاء — والمنزع ،

بكسر الميم : السهم

(٨) لم يرعوه : لم يحفظوه ولم يهتموا به

من أساء التصرف فيه ، فانتظر ساعة خرابه .

التوفيق في الأعمال ، أن تؤسد الى صالح أهلها :

فإن يُعهد في العلم الى الجهال ، عمّ الجهل ، وساد أهله ،
فساء بذلك المصير .

وإن تُسند الصناعات الى من لا يحسنها ، كانت عاقبة
ذلك الخسران وفساد الأعمال .

وإن أُلقيت الى الفساق ، أو الجهالة في الدين ، مقلبد^(١)
الوعظ والإرشاد ، ومنحوا مناصب التدريس ، وأُقيدوا على
منصات الأعمال الدينية^(٢) ، ضلّلوا الناس ، وسلكوا بهم غير
سبيل الهدى . وفي ذلك ما فيه من إضعاف الدين في نفوس
العامة ، وتشويه محاسنه في عيون الغرب عنه .

ومتى وُسدت أعمال الدولة الى الأغرار^(٣) — الذين
لا يعرفون منها إلا أسماءها — أو الى الذين لا يوقنون في
مصلحتها إلا^(٤) ولا ذمّة — بل يعملون ليل نهار على ما يضيع

(١) المقلبد : الفاتح ؛ والمفرد : مقلاد

(٢) المنصات : جمع منصة — بفتح الميم وكسر ها — وهي الكرسي . واسلمها

الكرسي توضع عليه العروس في جلأها لترى من بين النساء .

(٣) الأغرار : جمع غرّة ، وهو من لم يجرب الامور

(٤) إلا : الهد

بأسها ، لِيَتَرُّ عُوا حَقَائِبُهُمْ ^(١) ، وَيُشْبِعُوا بُطُونَهُمْ ، وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْخَرَابُ - فَاتَّظَرِ السَّاعَةَ ، وَأَرْتَقِبْ قِيَامَةَ الدَّوْلَةِ ^(٢) .

وَالِى كُلِّ ذَلِكَ الْإِشَارَةُ فِي الْحَدِيثِ : « اسْتَغْنُوا عَلَى كُلِّ عَمَلٍ بِصَالِحِ أَهْلِهِ » . فَإِنْ اسْتَغْنَا عَلَى الْأَمْرِ بِالصَّالِحِ لَهُ ، كَانَ مِنْ وَرَائِهِ التَّوْفِيقُ فِيهِ وَالنَّجَاحُ . وَإِنْ عَهِدْنَا فِي الْعَمَلِ إِلَى غَيْرِ صَالِحٍ لَهُ ، فَقَدْ أَسْلَمْنَاهُ إِلَى الْخَرَابِ ، وَقَدْ فَنَّا بِهِ فِي لُجَجِ الدَّمَارِ ^(٣) .

فَأَوْصِيكَ ، أَيُّهَا النَّاشِي ، أَنْ لَا تَسْتَعِينَ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِكَ ، إِلَّا بِمَنْ يَكُونُ لَهُ أَهْلًا . وَإِلَّا أَخَفَقْتَ فِي سَعْيِكَ ، وَعَرَّتْكَ الْخَبِيْثَةُ فِي أَمْرِكَ .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَوَلَّى عَمَلًا لَا تَصْلُحُ لَهُ ؛ كَيْلَا تَكُونَ مِنَ النَّادِمِينَ ، وَيَكُونُ مُوَلِّيكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ؛ يَوْمَ تَأْتِيكَ سَاعَةُ الشُّؤْمِ ، فَتَذَرُكَ وَعَمَلُكَ فِي الْهَاطِيَةِ ^(٤) . فَأَحْذَرِ ذَلِكَ ؛ إِنْ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ .

(١) الحَقَائِبُ : جَمْعُ حَقِيَّةٍ ، وَهِيَ خَرِيْطَةٌ يَمْلِكُهَا الْمَسَافِرُ . الرَّحْلُ لِلزَّادِ وَنَحْوِهِ .

(٢) ارْتَقِبْ : ارْتَظَرِ .

(٣) اللُّجَجُ : جَمْعُ لُجَةٍ وَهِيَ مَغْطَمُ الْمَاءِ — وَالِدَّمَارُ : الْهَلَاكُ .

(٤) تَذَرُكَ : تَدَعِيكَ وَتَتْرَكَكَ — وَالْهَاطِيَةُ : الْحَفْرَةُ الْعَظِيمَةُ .

(١)

التجويد

تَجْوِيدُ الْعَمَلِ ، مَعَ الْإِبْطَاءِ بِهِ ^(٢) ، خَيْرٌ مِنَ الْإِسْرَاعِ
فِيهِ مَعَ إِرْدَائِهِ ^(٣) .

وَلَا أَنْ تَمْشِيَ كُلَّ يَوْمٍ سَاعَةً ، وَتَسْتَرْبِحَ سَائِرَ الْيَوْمِ ،
حَتَّى تَصِلَ إِلَى الْمَقْصِدِ ^(٤) فِي رَاحَةٍ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَسِيرَ النَّهَارَ
كُلَّهُ ، حَتَّى تَبْلُغَ مَا أَنْتَ تَقْصِدُ لَهُ فِي مَشَقَّةٍ وَعَنَاءٍ ^(٥) .

وَعَمَلُكَ كُلَّ يَوْمٍ سَاعَاتٍ مَعْدُودَةٍ ، مَعَ إِنْتِقَانِ صُنْعِكَ ،
أَوْلَى مِنْ أَنْ تَجْهَدَ نَفْسَكَ ^(٦) الْيَوْمَ كُلَّهُ حَتَّى تَمَلَّ . فَإِنَّ
الْمَلَلَ دَاعِيَةُ الْإِسَاءَةِ فِي الْعَمَلِ ، وَسَبَبُ الْإِنْقِطَاعِ عَنْهُ .

الْعِبَادَةُ شَيْءٌ جَمِيلٌ تَصْبُو إِلَيْهِ ^(٧) نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ .
وَمَعَ هَذَا ، فَلَا تَنْقُطِعُ إِلَيْهَا ، وَتَفْرِغُ النَّفْسَ لِإِقَامَةِ

(١) التجويد : التحسين والانتقان

(٢) الإبطاء بالشيء : تأخير

(٣) الإرداء : الإفساد . اردأ الشيء : أفسده ؛ و اردأ الرجل : ضل فلا ردياً

(٤) المقصد : مكان المقصد

(٥) العناء : التعب والمشقة

(٦) جهد نفسك : تنهبا وتحملها ما لا تطيق

(٧) تصبو إليه : تميل إليه

شعائرها^(١) ، أمرٌ ذمُّهُ الشَّرْعُ ؛ لِمَا فِي الْإِكْثَارِ مِنْهَا مِنْ
إِرْدَائِهَا وَإِهْمَالِ تَجْوِيدِهَا ، حَتَّى تَكُونَ نِهَايَةُ الْأَمْرِ
السَّامَةِ مِنْهَا . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : « إِنْ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ
حَقًّا ، وَإِنْ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنْ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ،
فَأَذِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ » .

رَأَيْنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْمَلُونَ كَثِيرًا فِي وَقْتٍ قَلِيلٍ ؛
حَتَّى إِذَا آتَى وَقْتُ اسْتِثْمَارِ الْعَمَلِ^(٢) ، لَمْ يُوَافِقْ حِسَابُ
الْحَقْلِ حِسَابَ الْبَيْدَرِ^(٣) . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ النَّاسَ
لَا يَخْتَارُونَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ جَيِّدًا مُتَقَنًا . فَيَبْذُلُونَ
فِي سَبِيلِهِ مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الثَّمَنِ . وَإِنْ أَخَذُوا الرَّدِيءَ ، فَلَا
يَنْفَعُونَ صَاحِبَهُ إِلَّا بِالنَّذْرِ الْيَسِيرِ^(٤) الَّذِي يُسَاوِيهِ .

وَرَأَيْنَا بَعْضَ النَّاسِ يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ الْقَلِيلَ فِي مُتَمَسِّعٍ
مِنَ الْوَقْتِ ، لِيَزِيدُوا فِي إِتْقَانِهِ . وَمَتَى دَنَتْ سَاعَةُ النَّتِيجَةِ^(٥) ،

(١) شعائرها : أعمالها . والمفرد شيرة ، وهي كل ما جل هلا لطاعة الله

— والشيرة أيضا : العلامة

(٢) آن : حان وقرب — واستثمار العمل : الانتفاع بشراة

(٣) الحقل : الزرع ما دام اخضر ، والارض الطيبة المخصصة للزرع —

والبيدر : الموضع الذي يُداس فيه الحب . والعبارة مثل للامة ، يقال لا لم توافق
مقدماته نتائج

(٤) ينفعون : يطون . نفعه بشي : اعطاه اياه — والنذر : القليل اليسير

(٥) دنت : قربت

قَطَفُوا مِنْ أَشْجَارٍ صُنِعِهِمْ ثَمَرَاتٍ كَثِيرَةً يَانِعَةً ^(١) . وَمَا
هِيَ إِلَّا ثَمَرَاتُ التَّحْسِينِ وَالتَّجْوِيدِ .

التَّجْوِيدُ ضَرْوُورِيٌّ لِحَيَاةِ الْأَعْمَالِ ، وَضَرْبَةٌ لِأَزْبِ ^(٢)
لِمَنْ أَرَادَ التَّوْفِيقَ فِيهَا . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : « كَتَبَ
اللَّهُ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ » . وَالْإِحْسَانُ مَعْنَاهُ الْإِتْقَانُ
وَالْتَّجْوِيدُ . فَمَنْ أَحْسَنَ فِي عَمَلِهِ وَجَوَّدَهُ ، فَاتَّقَنَ تَجْوِيدَهُ ،
جَنَى مِنْ وَرَاءِ إِتْقَانِهِ مَا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْمُحْسِنُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ .
وَمِنْ أَسَاءَةٍ فِيهِ ، كَانَتْ عَاقِبَتُهُ الْحِرْمَانُ وَالتَّذَمُّرُ .

وَمَا الْأَعْمَالُ إِلَّا كَالْبُسَاتِينِ :

فَكَأَنَّ الْبُسْتَانَ الَّذِي يُجَوِّدُهُ الْبُسْتَانِيُّ ، وَيَخْدُمُهُ
خِدْمَةً صَادِقَةً ، يُؤْتِي أَكْلَهُ جَنِيًّا ^(٣) ، فَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَعْمَالِ .
لَيْسَتْ الْعَجَلَةُ فِي الْعَمَلِ سَبَبَ التَّوْفِيقِ فِيهِ . فَرُبَّ
عَجَلَةٍ أَعْقَبَتْ رَيْثًا ^(٤) ، وَأَوْرَثَتْ نَدَامَةً . وَإِنَّمَا التَّوَّاسِعُ فِي
تَجْوِيدِهِ هُوَ الدَّاعِي إِلَى النَّجَاحِ فِيهِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ :

(١) يَانِعَةٌ : طَيِّبَةٌ . يَنْعُ الثَّمَرُ وَأَيْنَمُ : ادْرَكَ وَطَابَ وَحَانَ قَطَانُهُ

(٢) هَذَا الْأَمْرُ ضَرْبَةٌ لِأَزْبٍ وَضَرْبَةٌ لِأَزْمٍ ، أَيِ : ثَابِتٍ لَا زَمَ لَا بُدَّ مِنْهُ

(٣) الْأَكْلُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالْكَافِ ، وَيَجُوزُ تَسْكِينُ الْكَافِ أَيْضًا : الثَّمَرُ ، وَالرِّزْقُ

الْوَاسِعُ — وَجَنِيًّا : خَصًّا طَرِيقًا . وَالْجَنَى : الثَّمَرُ الَّذِي يُقَطَفُ لِسَاعَتِهِ

(٤) الرِّيثُ : الْبَطْنُ .

« إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفَقٍ ^(١) ، وَلَا تُبَغِضْ
لِنَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ ، فَإِنَّ النَّبْتَ ^(٢) لَا أَرْضًا قَطَعَ ،
وَلَا ظَهْرًا أَبَقَى . »

فَأَحْذَرُوا ، أَيُّهَا النَّاتِبُونَ ، الْإِسْرَاعَ فِي الْعَمَلِ مِنْ غَيْرِ
تَجْوِيدِهِ . فَالْإِسْرَاعُ - قَبْلَ التَّرَوِّيِّ - دَارِعَةُ الْخِيَةِ ،
وَسَبَبُ الْإِخْفَاقِ ^(٣) ، وَالتَّأَنِّي - مَعَ التُّحْسِينِ - سَبَبُ
التَّوْفِيقِ . وَإِنَّ النَّاسَ - كَمَا قَالَ الْفِيلَسُوفُ - لَا يَسْأَلُونَ
عَنْ سُرْعَةِ الْعَمَلِ ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنْ جُودَتِهِ ^(٤) .



(١) أَوْغِلْ فِيهِ : ادْخُلْ فِيهِ . أَوْغِلْ فِي الْبِلَادِ إِخْلَالًا : ذَهَبَ فِيهَا وَبَالِغَ وَأَمْنٍ

(٢) النَّبْتُ : الْمَنْطَعُ عَنْ رِفَاقِهِ فِي السَّفَرِ ، الَّذِي أَمْسَ دَابَّتُهُ فَاقْطَعَتْ بِهِ

(رَاجِعْ شَرْحَهُ فِي عِظَةِ الْاِعْتِدَالِ ، ص : ١١٣)

(٣) الْإِخْفَاقُ : الْخِيَةُ

(٤) الْجُودَةُ : - بَهْمُ الْجِيمِ وَفَتْحُهَا : الصَّلَاحُ . وَجَادَ الشَّيْءُ : يَجُودُ : صَارَ جَيِّدًا

المرأة

من أمثال العرب : « كلُّ ذاتِ صدرٍ ^(١) خالة » ؛
أي : إنَّ من حقِّ الرِّجل أن يغارَ على كلِّ امرأةٍ ، كما يغارُ
على حرمه ؛ لأنَّ كلَّ امرأةٍ أختٌ لأُمِّه في الجِنسيَّة ،
فتكونُ خالةً له .

كانت حالةُ المرأةِ الاجتماعيَّةُ - ولم تزلْ - على أطوار
مُختلفة ، وشكولٍ مُتباينة ^(٢) ، بالنِّسبة إلى تنوُّعِ الأزمنةِ
والبيئات ^(٣) . فهي بينُ صُعودٍ وهبوطٍ ، وأحترامٍ واحتقارٍ ،
وعِلْمٍ وجهلٍ ، تابعَةٌ ترقِّي البِيشةَ وتدبِّبُها ^(٤) ،
ونورَ الزَّمنِ وظلمته .

المرأةُ لم تُخلَقْ إلَّا لتكونَ والرجلَ عامِلينِ في بُستانِ
الحياةِ . يَدُ أَنْ لِكُلِّ واحدٍ منها عَمَلًا خاصًّا به ، لا يَجُملُ

(١) الصدر : ثوب صغير يلي الجسم

(٢) الشكول : الاشياء والامثال ، والأشور المختلفة المشككة . والمفرد شكل ،

بفتح الشين - ومتباينة : مختلفة متضادة

(٣) البيئات : جمع بيئة وهي المنزل ، ويراد بها ما يُحيط بالإنسان من المؤثرات

(٤) التدبِّي : الانحطاط

به ^(١) أَنْ يَتَعَدَّاهُ . قَالَ رَجُلٌ يَفْلَحُ أَرْضَهُ وَيَغْرِسُ غَرْسَهُ ، وَيَبْذُرُ حَبَّهُ ^(٢) . وَالْمَرْأَةُ تَعْمَدُ الْحَبَّ وَالْغَرْسَ بِالسَّقِي ، وَتَنْفِي مَا يُجَاوِرُهُمَا مِنْ فاسد النَّبَاتِ .

وَمَا الْبُسْتَانُ إِلَّا الْبَيْتُ . وَمَا عَمَلُ الرَّجُلِ إِلَّا السَّقِي لَعَنَ يَحْوِيهِ مِنَ الْأَهْلِ ، وَبَذَلَ الْجُهْدَ لِيَحْيُوا حَيَاةَ السَّعَادَةِ . وَمَا عَمَلُ الْمَرْأَةِ إِلَّا تَنْظِيمُ الْمَنْزِلِ وَتَرْبِيَةُ الْأَطْفَالِ ، وَبَثُّ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ^(٣) فِي نُفُوسِهِمْ ، وَتَنْجِيَةُ الضَّرَائِبِ الْفَاسِدَةِ ^(٤) عَنْ مَوَارِدِ قُلُوبِهِمْ ، لِيَتَكُونَنَّ مِنْهُمْ مَجْمُوعٌ فَاضِلٌ ، تَنْهَضُ بِهِ الْأُمَّةُ ، وَيَسْتَدُّ بِهِ سَاعِدُ الْوَطَنِ ^(٥) ، وَيَشْتَدُّ رُكْنُهُ .

فَإِنْ أَهْمَلَ الرَّجُلُ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ ، أَوْ جَاوَزَتْ الْمَرْأَةُ مَا خُلِقَتْ لَهُ ، أَوْ فَصُرَتْ عَنْهُ ، فَسَدَ نِظَامُ الْأُسْرَةِ ^(٦) ، وَتَثَلَّمَ رُكْنُ الْحَيَاةِ الْبَيْتِيَّةِ ^(٧) ، فَكَانَ مِنْ جَرَائِ ذَلِكَ ^(٨) الْفَتْرَةُ

(١) لَا يَجْمَلُ بِهِ : لَا يَحْسُنُ بِهِ وَلَا يُلِيقُ بِهِ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ

(٢) يَبْذُرُ حَبَّهُ : يَقْبِضُ فِي الْأَرْضِ لِلزَّرْعَةِ

(٣) الْبَثُّ : الْبَثْرُ

(٤) التَّنْجِيَةُ : الْإِزَالَةُ وَالْإِبَادَةُ — وَالضَّرَائِبُ : الطَّبَائِعُ ، وَالْمُفْرَدُ ضَرْبِيَّةٌ

(٥) يَسْتَدُّ : يَكُونُ سَائِدًا قَوِيًّا

(٦) الْأُسْرَةُ : رَهْطُ الرَّجُلِ وَاهْلِهِ ، سِوَا بِالْأُسْرَةِ — وَهِيَ الدَّرْعُ الْحَصِينَةُ —

لَا يَتَقَوَّى بِهِمْ ، وَجَمْعُهَا أُسَرٌ

(٨) مِنْ جَرَائِ ذَلِكَ : مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ

(٧) تَثَلَّمَ : تَشَقَّقَ

فِي عَضْدِ الْأُمَّةِ وَالْكَسْرِ فِي سَاعِدِ الْوَطَنِ ^(١) . لِأَنَّ صَلَاحَ
الْأُمَّةِ ، وَنُهُوضَ الْوَطَنِ ، مُتَوَقِّفَانِ عَلَى صَلَاحِ الْإِمْرِ .

وَلَا رَيْبَ أَنَّ سَعَادَةَ النَّشْءِ - وَهُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ -
أَكْثَرُ مَا تَكُونُ بِالرَّأَةِ . فَهِيَ ، إِنْ شَاءَتْ أَفْسَدَتْ أَخْلَاقَهُمْ ؛
وَإِنْ شَاءَتْ أَصْلَحَتْهَا ؛ لِأَنَّ يَدَيْهَا زِمَامَ تَرْبِيَتِهِمْ وَتَهْذِيبِهِمْ .
لِذَلِكَ وَجِبَ أَنْ تَكُونَ الرَّأَةُ مُحْتَرَمَةً الْجَانِبِ ، رَفِيعَةً
الْمَنْزِلَةِ ، مُتَعَلِّمَةً ، مُتَرَبِّيةً ، مُتَخَلِّقَةً بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ ،
صَالِحَةً لِإِدَارَةِ الْمَنْزِلِ ، عَالِمَةً بِمَا وَجِبَ عَلَيْهَا نَحْوَ الْعَالَمِ
الصَّغِيرِ - أَلَا وَهُوَ الْبَيْتُ -

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ جَمَاهِيرَ نِسَاءِ الشَّرْقِ الْيَوْمِ ^(٢) ، وَقَبْلَ بَضْعِ
مِائَاتٍ مِنَ السِّنِينَ ^(٣) ، قَدْ أَهْمِلَتْ كَالسَّوَانِمِ ^(٤) . فَقَدْ ظَنَّ الرِّجَالُ
أَنَّ الرَّأَةَ آلَةٌ فِي أَيْدِيهِمْ ، يُدِيرُونَهَا كَيْفَ شَاءُوا ، زَاعِمِينَ

(١) نَفَتْ فِي الْعَضْدِ وَالْكَسْرِ فِي السَّاعِدِ : كُنَايَةٌ عَنْ إِضْطَافِ الْقُوَّةِ وَتَفْرِيقِ الْإِعْوَانِ

(٢) الْجَمَاهِيرُ : جَمْعُ جُجُورٍ ، وَهُوَ مَعْظَمُ الشَّيْءِ وَكَثَرِيَّتُهُ . وَأَصْلُ مَعْنَاهُ :

الرَّمْلُ الْكَثِيرُ الْمُتْرَاكِمُ الْوَاسِعُ

(٣) الْبَضْعُ : مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الثَّلَاثِ . فَإِنْ قُلْتَ : جَاءَتْ فِي بَضْعَةِ رِجَالٍ جَازِئًا

يَكُونُ الْجَاءُونَ ثَلَاثَةً أَوْ تِسْعَةً أَوْ مَا بَيْنَهُمَا . وَهِيَ تَذَكُّرٌ مَعَ الْمَعْدُودِ الْمُؤَنَّثِ وَتَوْثُوتٌ مَعَ

الْمَعْدُودِ الْمَذَكَّرِ ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي الْعَدَدِ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى التَّسْعَةِ

(٤) السَّوَانِمُ : الْإِبِلُ الَّتِي لَا تُحْلَفُ فِي مَكَانٍ مُبَيَّنٍّ ، وَإِنَّمَا تُتْرَكُ تَرْصِيٍّ مِمَّا تَنْبَتُهُ

الْأَرْضُ مِنَ الرَّمْعِ الْمُبَاحِ

أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِيَكُونُوا أَسِيرًا أَوْ مَمْلُوكًا . وَاهْتَضَبُوا
 مَا لَهُمْ مِنَ الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ ، وَحَرَمُواهَا التَّعْلِيمَ
 وَالتَّرْيِيَةَ . فَسَاءَتْ بِذَلِكَ الْحَيَاةُ الْبَنِيَّةُ ، وَفَسَدَتِ الْأُسْرَةُ ،
 وَأَنْحَطَّتِ الْجَمَاعَاتُ بِأَنْحِطَاطِ الْأَفْرَادِ .

وَقَدْ شَمَرَ الشَّرْقُ الْيَوْمَ بِذَلِكَ الضَّعْفِ وَالنَّقْصِ ،
 فَهَضَبَ فِيهِ بَعْضُ مَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَأَنْصَرَفَتْ
 هِمَمُهُمْ إِلَى تَعْلِيمِ الْبَنَاتِ وَتَهْذِيبِهِنَّ . لِأَنَّهُمْ أَعْتَقَدُوا جِدَّةَ
 الْأَعْتِقَادِ أَنَّ الْمَرْأَةَ رُكْنُ الْحَيَاةِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ الرَّائِجَةِ ^(١) ،
 وَسَنْدُ نُهُوضِ الْأُمَّةِ الْأَقْوَى . وَلَكِنْ هَذَا التَّنْبِيْهُ ضَعِيفٌ ،
 فَحَسَى أَنْ يَقْوَى بِكُمْ ، أَيُّهَا النَّاشِئُونَ الْكَرَامَ ،
 فَإِنَّ لِلنَّاشِئَاتِ عَلَيْكُمْ حَقُوقًا عَظِيمَةً ، لِأَنَّهُنَّ خَالَاتُكُمْ ،
 وَالْحَالَةُ كَالْأُمِّ ، أَوْ هِيَ الْأُمُّ . وَمَنْ لَا يُوَدُّ لِأُمِّهِ
 الْحَيَاةَ السَّعِيدَةَ !

إِنَّ مَا تَمَرَّدَتْهُ مِنْ أَنْحِطَاطِ الْجَمَاعَاتِ ، إِنَّ هُوَ نَاشِئٌ
 إِلَّا مِنْ أَنْحِطَاطِ الْمَرْأَةِ وَجَهْلِهَا وَفَسَادِ تَرْبِيَّتِهَا . فَعَلِّمُوا
 الْبَنَاتِ ، تَسْتَحْذُوا عَلَى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ^(٢) .

(١) الركين : القوي

(٢) تستحذوا : تستولوا - والباقيات الصالحات : الاعمال الصالحات التي يبقى

أثرها الصالح وتعود بالثواب على فاعلها

أَلَا إِنَّ نَبْذِيرَ الْمَرْأَةِ ، وَإِسْرَافَهَا ، وَحَيْدَانَهَا عَنْ جَادَّةٍ ^(١)
 الْأَقْتَصَادِ فِي اللَّبُوسِ وَالزَّيْنَةِ وَغَيْرَهُمَا ^(٢) - حَتَّى نَهَكَتْ ثَرْوَةَ
 الرَّجُلِ ^(٣) ، وَجَرَّتْ عَلَى الْهَيْئَةِ الْأَجْتَمَاعِيَّةِ الْوَيْلَاتِ ^(٤) -
 هُوَ لِأَنَّهَا لَمْ تَتَعَلَّمِ الْعِلْمَ الْمُنْفِيدَ ، وَلَمْ تُتَرَّبِ التَّرْبِيَةَ الصَّحِيحَةَ .
 فَعَلَيْكُمْ ، مَعْشَرَ النَّاثِثِينَ ، أَنْ تُتَرَّبُوا بِنَايَتِكُمْ - مَتَى
 صِرْتُمْ أَرْبَابَ بُيُوتٍ - تَرْبِيَةً فَاضِلَةً ، وَتُعَلِّمُوهُنَّ تَعْلِيمًا
 مُنْفِيدًا ، يَنْهَضِ الْوَطَنُ ، وَتَشْرُفِ الْأُمَّةُ .

(١) الحيدان : الميل والمدول - والجادة : وسط الطريق ومعظمه

(٢) اللبوس بفتح اللام : كل ما يلبس

(٣) نهكت ثروتها : نقصنها أو أبادتها . يقال : نهكت الضرع إذا استوفى

جميع ما فيه ، ونهكت الحمى فلاناً إذا أضنته وقصت لحمه . ونهكت ماء الاناء إذا شرب جميع ما فيه

(٤) الويلات : المصائب ، والمفرد ويلة

اعقل وتوكل

ما رأيتُ أَقْلَ عَقْلًا ، وَلَا أضعفَ مُنَّةً ^(١) ، مِمَّنْ يُقدِّمُ
على الأمر قبل أن يستعِدَّ له .

بلى ، أشدُّ منه حنقًا ، وأكثُرُ ضعفًا ، من يخوضُ ميدانَ
العمل قبل أن يأخذَ له عُدَّتَه ، وهو يعلمُ أن من عَمِلَ
عَمَلَهُ كانت عاقبَةُ أمرِهِ الخسارَ والبوار ^(٢) .

وليس أَقْلٌ بَلَمًا ، مَنْ بَتَرُكُ الأمور أتكلاً على البخت
وهبوبِ رياحِ المقادير ، من غير أن يسعى فيما يُدني له
الشَّاسِعُ ^(٣) ، ويُسهِّلُ له الصُّعْبُ !

الإخفاقُ في الطَّلَبِ ^(٤) ناتجٌ عن أحد أمرين - هما
الطَّرْفَانِ المُفسِدَانِ لكلِّ مشروع - الجبنُ والتهوُّرُ .

فالجبنُ يصدِّفه ^(٥) عن العمل ^(٦) ، ويَدْعُهُ ^(٧) مُتَكَيِّفًا على
عَصَا المقادير . وإنَّ اللهَ قد جعلَ لكلِّ شيءٍ سَبِيلًا .

(١) المنَّة : القوة

(٢) البوار : الهلاك

(٣) يدني : يقرب - والشاسع : البعيد

(٤) الإخفاق في الأمر : الحيرة فيه ، أي : عدم النجاح فيه

(٥) يصدِّفه : يهزئه

(٦) يدعه : يتركه

وَسَبَبُ النَّجَاحِ فِي الْأَمْرِ السَّعْيُ إِلَيْهِ مِنْ أَبْوَابِهِ الْمَوْصِلَةُ .
وَالْتَهَوُّرُ يَدْفَعُهُ نَحْوَ غَايَتِهِ ، قَبْلَ التَّرَوِّي فِي الْأَسْبَابِ
الْمَوْصِلَةِ إِلَيْهَا ، وَأَخْتِيَارِ أَنْجَحِ الْوَسَائِلِ لِلْحُصُولِ عَلَيْهَا . وَكَثِيرًا
مَا تَكُونُ الْعَاقِبَةُ شَرًّا وَوَبَالًا ^(١) . وَمَنْ نَأْمَلُ فِي
الْعَوَاقِبِ ، أَمِنْ الْمَصَائِبِ .

وَالسَّلَامَةُ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْ يَتَرَيِّثَ قَبْلَ الْإِقْدَامِ ^(٢) .
فَلَا يَنْدِفِعُ فِي الْعَمَلِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ يَعْلَمُ الْيَقِينُ - أَوْ مَا
يَقْرُبُ مِنْهُ - أَنَّهُ لَا يَفْشَلُ عَنْهُ ^(٣) . وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنْ
يُجْهِمَ لِأَوَّلِ صَدْمَةٍ ، أَوْ نُؤْخِرَهُ شُبْهَةً تَعْرِضُ لَهُ ،
فَيَتَّخِذَهَا حُجَّةً لِلْإِحْجَامِ ^(٤) . فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْجُبْنُ بَعِينُهُ .

يُقَدِّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ ، فَلَا يَلْبَثُ
أَنْ يَعْتَوِرَ ^(٥) إِقْدَامَهُ الْإِخْفَاقُ . وَلِذَلِكَ أَسْبَابٌ مِنْهَا : إِهْمَالُهُ
الْأُهْبَةَ ^(٦) ، وَعَدَمُ اتِّخَاذِ الْعُدَّةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ :

(١) الْوَبَالُ : سُوءُ الْعَاقِبَةِ ، وَالْوَخَامَةُ ، وَالشَّدَّةُ

(٢) يَتَرَيِّثُ : يَتَمَهَّلُ

(٣) فَشَلٌ عَنِ الْأَمْرِ : جَبْنٌ فَتَكُلُّ عَنْهُ وَلَمْ يُبَيِّضْهُ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّعْ ، لِأَنَّهُ
مِنْ جَبْنٍ عَنْ أَمْرٍ فَتَرَكَهُ فَقَدْ خَابَ فِيهِ وَلَمْ يَوْفُقْ لَهُ . وَأَصْلُ مَعْنَى الْفَشَلِ : الْجَبْنُ
وَالضَّعْفُ وَذَهَابُ الْقُوَّةِ

(٤) الْإِحْجَامُ : التَّأَخُّرُ

(٥) يَعْتَوِرُ : يَجِيبُ . اعْتَوَرَهُ الْأَمْرُ : تَوَلَّى بِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ

(٦) الْأُهْبَةُ : الْعُدَّةُ . جَمْعُ أُهْبٍ

«عِنْدَ النَّطَاحِ يُغْلَبُ الْكَبْشُ الْأَجْمُ^(١)» ؛ وهو مثلُ
يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُبَارِسُ الْأُمُورَ بِغَيْرِ عُدَّةٍ فَيَخِيبُ .

وكثيرٌ منهم يُنْهَلُ الْأَمْرَ أَتَكْلًا عَلَى أَنْ الْقَدَرَ
يَحْفَظُهُ . وكانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْفَظَهُ ، ثُمَّ يَكِلَهُ إِلَى عَيْنِ
الْعِنَايَةِ مَرَعَاهُ^(٢) . وقد قال رجلٌ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :
«أُرْسِلْ نَاقِي وَأَتَوَكَّلْ» ، فَقَالَ لَهُ : «إِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»^(٣) .

ومن أمثالهم : «أَنْ تَمْرِدَ الْمَاءُ بِأُكَيْسٍ»^(٤) ؛ يَعْنُونَ
بِذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ الْأَمْرَ بِالْحَزْمِ وَالْوَثِيقَةِ . ومن ذلك
قَوْلُهُمْ : «اشْتَرِ لِنَفْسِكَ وَلِلشُّوقِ» ؛ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ
الْمَرْءَ الْحِيطَةَ لِنَفْسِهِ^(٥) ، قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَى الْعَمَلِ ، وَأَنْ
يَسْتَشِيرَ مَنْ يَثِقُ بِهِمْ لِيُرْشِدُوهُ إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ .

ومن الناس من إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ نَاصِيَةِ الْأَمْرِ^(٦) ، عَقَدَهُ

(١) الاجم الذي لا قرن له

(٢) يكله : يسلمه — ومرعاه : تحفظه وتعهده

(٣) أعقلها : اربطها . والعقل : الربط . ومنه سمي العقل المعروف ، لأنه
يربط الإنسان أن يأتي ما يضره

(٤) اكيس : اعقل . والكيس — بفتح الكاف وسكون الياء : العقل ،
والفطنة ، وحسن التأني في الأمور

(٥) الحيطه : الاحتياط

(٦) الناصية : مقدم الرأس . ويراد بالتمكن من ناصية الامر الاستيلاء عليه

بأنشُوطه^(١) . حتى إذا أفلتَ من يَدِهِ ، نَدِمَ على ذلك نَدَامَةً
الْكُسْبِيَّةِ^(٢) ، وَهِيَّاتٍ^(٣) أَنْ تُفِيدَهُ النَّدَامَةُ .

أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَهُوَ مِمَّنْ عَلَّمُوا قَلِيلًا وَلَيْسَ
لَهُمْ مَعْقُولٌ^(٤) . لَأَنَّ الْعَقْلَ يَرْبَأُ بِالْمَرْءِ^(٥) أَنْ يَرِدَ مَوَارِدُ
الْإِهْمَالِ وَالْإِتْكَالِ . فَالْعَاقِلُ مِنْ لَا يَرِدُ حَتَّى يَعْرِفَ
الصَّدَرَ^(٦) . فَهُوَ يُفَاضِلُ بَيْنَ الضَّرَرَيْنِ لِيَرْتَكِبَ أَخَفَّهُمَا .
فَإِنَّ فِي الشَّرِّ خَيْرًا . وَلَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ،
وَأَمَّا هُوَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرِّينِ . فَإِنَّ بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوَنُ
مِنْ بَعْضٍ .

فإِليك ، أَيُّهَا النَّاشِي ، يُسَاقُ الْحَدِيثُ :

إِحْذَرُ أَنْ تُبَاشِرَ عَمَلًا قَبْلَ الْأُسْتَعْدَادِ لَهُ . وَلَا تَتْرُكْ
عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِكَ أَنْكَالًا عَلَى مَا سِيَّجِي بِهِ الْقَدَرُ . فَالْعَاقِلُ
مِنْ عَقْلٍ وَتَوْكَلٍ .

(١) الانشوطه : حقة يسهل حلها

(٢) الكسبي : رجل يضرب به المثل في الندامة

(٣) هيئات : اسم فعل ماض بمعنى جد ، وهي مثلثة التاء

(٤) المعقول : العقل

(٥) يربأ بالمرء : يرفعه وينهض به ويمنعه

(٦) الصدر : الرجوع عن الماء بعد وروده

الاعتماد على النفس

لا شيء أضر بالإنسان من إهماله شؤن نفسه ، معتمداً على من يقوم له بها . هذا إن تحقق أن من يعتمد عليه يلبّيه — إن دعاه — من غير تترُّث^(١) ولا ببطء . أما إن كان نصره إياه أمراً مشكوكاً فيه ، فاعتماده عليه ضرب من الجنون .

جاء في أمثال العرب : « عَمَّكَ خَرْجُكَ »^(٢) ؛ يُقال ذلك للمشكِّل على غيره . وذلك أن رُجلاً أراد السفرَ مع عَمِّهِ ، فقال لأهله : « إِنَّا نَخِذُ إِلَى طَعَامًا ، وَأَجْعَلُوهُ فِي خَرْجٍ ، أَصِيبُ مِنْهُ إِذَا أَحْتَجْتُ إِلَيْهِ » ؛ فقالوا له : « عَمَّكَ خَرْجُكَ » ؛ أي اتَّكِلَ عَلَيْهِ فِي مَطْعَمِكَ .

المُعْتَمِدُ على غيره يكون ضعيف الإرادة ، بليد الحزم ، خامل النفس . وما سرى هذا الداء في أمةٍ إلا أنحلَّ عَقْدُ اجتماعها ، وفَسَدَ نِظَامُ عُمرانها ؛ حتى تُصْبِحَ في مَوْخَرَةِ الامم . فالأَتَكَالُ على غير النفس مدعاةُ الأتَقْرَاضِ ؛ لآَنِهِ

(١) التريث : التهلل

(٢) الخرج : مروف ؛ وجمعه اخراج . ويجمع أيضاً على خَرْجَةٍ —

بكسر الحاء وفتح الراء .

يُنْبَسُ الْإِنْسَانُ رِداءَ الضَّعَةِ^(١) وَالضَّعْفُ ، وَيَضُرُّهُ عَنِ
النَّظَرِ فِيمَا يَقُودُهُ إِلَى حُصُونِ الْقُوَّةِ وَالْمَنَّةِ^(٢) .

يَنْشَأُ الطِّفْلُ مُعْتَمِداً - فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِ نَفْسِهِ
- عَلَى آبَوَيْهِ ، إِلَى أَنْ يَبْلُغَ أَشَدَّهُ^(٣) . ثُمَّ يَدْخُلُ غِمَارَ
الْحَيَاةِ^(٤) ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا تَكَاً عَلَى عَصَا نَفْسِهِ مَعْنَى ؛
لأنه لم يتعوّد ذلك في نشأته الأولى - وَلِكُلِّ أَمْرٍ
مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَ - فَيَزِيدُ بِذَلِكَ الْأُمَّةَ بَلَاءً عَلَى بَلَائِهَا ،
وَيُخْذِلَانَا عَلَى خُذْلَانِهَا .

مَتَى نَشَأَ الْوَلَدُ فَلْيَتَعَوَّدْهُ آبَاؤُهُ الْأَعْتَادَ عَلَى نَفْسِهِ ، فِي
كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ ، حَتَّى إِذَا شَبَّ كَانَ رُجُلًا يَخْدُمُ الْأُمَّةَ
خِدْمَةَ الرَّجُلِ الْقَوِيِّ الْقَادِرِ . وَمَتَى كَثُرَ مَجْمُوعُ الشُّبَّانِ
الْمُتَّكِئِينَ عَلَى أَعْضَادِ أَنْفُسِهِمْ^(٥) ، تَكُونَتْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ صَالِحَةٌ
لأن تكونَ وَاثِقَةً الْأَرْضِ .

(١) الضعة : الانحطاط والخذلة

(٢) المنّة ، بفتح الميم والنون ، وقد تأسكى النون : العز ، والقوة ، والمقل يُنتع به ،
والعشيرة ، لأنها تنمّه فلا يقدر عليه من يريد من الأعداء .

(٣) يبلغ أشده : يشب ويتقوى

(٤) غمار الحياة : شدائدُها

(٥) الأعضاد : جمع عضد ، وهو الساعد

نحنُ في حاجة الى شُبَّانٍ يُجِلُّوا على الاستقلال في الفكر ،
والاعتماد على النفس . وما نأخرنا ، إلا بعد أن ضعفَ فينا
هذان الخلقان . وما ترقى الغريُّون ، وبلغوا الغاية
القُصوى ^(١) - من المدنية والعمران والسلطان ^(٢) - إلا بعد
أن ربَّوا نشأهم عليها ^(٣) .

وليس معنى ذلك أن ينشأ الولدُ مُنفرداً برأيه ، مُستبدّاً
بفكره ، لا يستشيرُ أهلَ العقل والعلم . وإنما هو أن لا يترك
التفكير والعمل ، مُعتمدًا على أن غيره . يتفكر أو يفعل .
فإن رأى أن فكرَ غيره أضمنُ لنجاح العمل من فكره ،
انتقاد له ، وتمسك بعراه ^(٤) . وإلا مضى فيما يُفكر فيه ،
وأخرج عمله الى حيز الوجود ^(٥) .

فتعوذ ، أيها الناشي ، الاعتماد على نفسك ، والاستقلال
برأيك - على نحو ما شرحتُ لك - تكن من المفلحين .
وأحذر أن تُنقاد لرأي يدفعك في الهاوية ، أو تُذعن ^(٦)

(١) القُصوى : البعدى ، مؤت الاقصى

(٢) السلطان : السلطة والقدرة

(٣) النشأ - بفتح الشين - والنشأ - بسكونها : جمع ناشيء

(٤) الرى : جمع عروة ، وهي كل ما يوثق به ويُعول عليه . وأصلها : مقبض

الدلو والكوز ، وما يدخل فيه الزر من القemis ونحوه

(٥) الحيز : المكان والجهة

(٦) تذعن : تخضع وتطيع

لَمَنْ لَا يَخْفِزُكَ إِلَى مَنَهِجِ السَّدَادِ^(١) .

وَلَا تُتَّبِعْ أَمْرًا مِنْ يُؤَيِّمُكَ مِنَ الْمَخُوفِ لِيُورَثَكَ
فِيهِ^(٢) . بَلِ اتَّبِعْ أَمْرًا مِنْ يُخَوِّفُكَ عَوَاقِبَ إِسَاءَتِكَ
لِتَحْذَرَهَا . فَإِنَّ مِنْ يُخَوِّفُكَ حَتَّى تَلْتَقَى الْأَمْنَ أَشْفَقُ عَلَيْكَ
مِمَّنْ يُؤَيِّمُكَ حَتَّى تَلْتَقَى الْخَوْفَ . وَقَدْ جَاءَ فِي أَمْثَالِهِمْ :
« أَمَرَ مُبْكِيَاتِكَ ، لَا أَمَرَ مُضْحِكَاتِكَ » ، أَيِ الزَّمِّ مِنْ
بُيُوتِكَ لِيُنْجِيَكَ ، لَا مِنْ بُضْحِكَ لِيُرْدِيَكَ^(٣) . وَمَنْ
خَالَفَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَخَالَفَ النَّصِيحَ عَنْهُ^(٤) ، سَقَطَ الْعِشَاءُ
بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ^(٥) ، فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ الْخُسْرَانُ .

إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ ؛ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ^(٦) . فَاتَّبِعْ
مَا يُلْقَى إِلَيْكَ ، يُبَارِكُ اللَّهُ عَلَيْكَ .

(١) يَخْفِزُكَ : يَدْفَعُكَ — وَالْمَنَهِجُ : الطَّرِيقُ الْوَاضِعُ — وَالسَّدَادُ : الصَّوَابُ

(٢) يُوْرَثُكَ : يُوْقَعُكَ فِيهَا لَا تَتَخَلَّصُ مِنْهُ ؛ وَأَصْلُ مَعْنَاهُ : يُوْقَعُكَ فِي الْوَرِثَةِ

— بِإِتِّحَانِ الْوَاوِ وَسُكُونِ الرَّاءِ — وَهِيَ الْهَوَاةُ الْغَامِضَةُ ، وَالْهَالِكَةُ ، وَالشَّدَّةُ ، وَكُلُّ أَمْرٍ
شَاقٍّ تَمُرُّ النِّجَاجَةُ مِنْهُ . يُقَالُ أَوْرَطَهُ إِبْرَاطًا وَوَرَّطَهُ تَوَرِّيطًا ، إِذَا أَوْقَعَهُ فِي الْوَرِثَةِ

(٣) يُرْدِيكَ : يَهْلِكُكَ

(٤) خَالَفَنِي عَنِ الْأَمْرِ : وَلِيَ عَنْهُ وَأَنَا أُرِيدُهُ . وَخَالَفَنِي إِلَى الْأَمْرِ : قَصَدَهُ

وَأَنَا مُوَلِّ عَنْهُ

(٥) السَّرْحَانُ : الذُّئْبُ . وَالْكَلَامُ مِثْلُ مَنْ ذَهَبَ فِي طَلَبِ أَمْرِ فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ الْهَلَاكُ

(٦) الْمُمْتَرِينَ : الشَّاكِّينَ . اِمْتَرَى فِي الْأَمْرِ : شَكَّ فِيهِ وَارْتَابَ

التربية

إنَّ هؤلاء الاطفال سيكونون في المستقبل رجالاً . فإذا
تَمَوُّدُوا الأخلاقَ الصالحة التي تُعَلِّي شَأْنَهُمْ ، وحصلوا من العلوم
ما يَنْفَعُون به وطنهم ، كانوا أساساً مَكِيناً ^(١) لِنَهْضَةِ الأُمَّة .
وهذا أمرٌ لا يَخْتَلِفُ فيه أَثْنَان . وإنِ اسْتَعَادُوا سَافِلَ
الأخلاق ^(٢) ، وَهَجَرُوا العِلْمَ - الذي هو سَبَبُ حياة الأُمم -
كانوا وِيلاً عَلَى الأُمَّة ، وَشَرّاً عَلَى البلاد التي يَقْطُنُونَهَا ^(٣) .

وقد ذَكَرْتُ لَكَ ، أَيُّهَا النَاشِي ، فيما مَضَى من العِظَاتِ
'جَزْءاً' صالحاً من الأخلاقِ حَسَنِهَا وَفَيِّحِهَا ، وَأَوْضَحْتُ لَكَ
ما يَجِبُ عَلَيْكَ التَّخَلُّقُ بِهِ ، وَكَشَفْتُ عَنْ الأخلاقِ الفاسدة ،
التي يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُنْفِرَ مِنْهَا نَفَرَةً الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ .
فَاخْتَرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ ما تَرَاهُ لَكَ نَافِعاً ، وما إِخْلَاكَ ^(٤) 'مُخْتَاراً'
إِلَّا ما أَرشَدْتُكَ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، لِأَنَّكَ تَعْلَمُ جِدّاً العِلْمَ أَنِّي
لَكَ نَاصِحٌ أَمِينٌ .

التَّربِيَّةُ ، أَيُّهَا القَوْمُ ، أَمْرٌ عَظِيمٌ الْخَطَرُ ^(٥) ، كَبِيرُ الْقِيَمَةِ .

(١) مَكِيناً : قَوِيّاً

(٢) اسْتَعَادُوا : تَمَوَّدُوا

(٣) يَقْطُنُونَهَا : يَسْكُنُونَهَا

(٤) إِخْلَاكَ : أَخْلَاكَ

(٥) الْخَطَرُ : الشَّرُّ وَارْتِفَاعُ الْقَدَرِ

و«الطِّفْلُ» - كما قال الإمامُ الغزاليُّ - أمانةٌ عندَ والدَيْهِ .
 وقلْبُهُ الظَّاهِرُ جوهرَةٌ نَفِيسَةٌ خَالِيَةٌ مِنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ .
 فَإِنْ عَوَّدَ الْخَيْرَ وَعَلَّمَهُ ، نَشَأَ عَلَيْهِ ، وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،
 وَشَارَكَهُ فِي ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ وَكُلُّ مُعَلِّمٍ وَمُؤَدِّبٍ . وَإِنْ عَوَّدَ
 الشَّرَّ وَأَهْمَلَ ، شَقِيَ وَمَلَكَ . وَكَانَ الْوِزْرُ^(١) فِي
 رَقَبَةٍ وَلِيهِ وَالْقِيَمُ عَلَيْهِ^(٢) .

التَّربِيَةُ : هِيَ غَرْسُ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ فِي نُفُوسِ النَّاشِئِينَ ،
 وَسَقْيُهَا بِمَاءِ الْإِرْشَادِ وَالنَّصِيحَةِ ؛ حَتَّى تُصْبِحَ مَلَكَةً مِنْ
 مَلَكَاتِ النَّفْسِ^(٣) ؛ ثُمَّ تَكُونُ ثِمَرَاتِهَا الْفَضِيلَةَ ، وَالْخَيْرَ ،
 وَحُبَّ الْعَمَلِ لِنَفْعِ الْوَطَنِ .

تَجِبُ تَرْبِيَةُ الطِّفْلِ عَلَى الشَّجَاعَةِ ، وَالْإِقْدَامِ ، وَالْجُودِ ،
 وَالصَّبْرِ ، وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ ، وَتَقْدِيمِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ عَلَى
 الْمَصْلَحَةِ الْخَاصَةِ ، وَشَرَفِ النَّفْسِ ، وَالْجُرْأَةِ الْأَدْبِيَّةِ^(٤) ،
 وَالَّذِينَ يَنْتَهِزُونَ مِنَ الشَّوَابِّ^(٥) ، وَالْمَدَنِيَّةِ الْمُنَزَّهَةِ عَنِ الْفُسَادِ ،

(١) الوزر : الذنب

(٢) ولي الطفل والقيم عليه : من يتهمده ويقوم بشئونه

(٣) ملكة : صفة راسخة

(٤) الجرأة : الشجاعة

(٥) الشوائب : الاخلاط ، والميوب ، والادناس

والحرية الصحيحة في القول والعمل ، وحب الوطن .

وعلينا أن نربي فيه ملكة الإرادة والصديق ، وحب إعانة البائسين ^(١) والمشروعات النافعة ، وأن نعوّده القيام بالواجب ، الى غير ذلك من الأخلاق الشريفة ، وأن نباعد بينه وبين أضداد هذه الأخلاق .

ولكن الحال اليوم عندنا على غير ما شرحناه :

فالطفل - وهو في اللغائف - يُخَوِّفُهُ أبواه بالغيلان و « البعابيع » إرهاباً له ^(٢) ، ليخلصا من صراخه . وما يدريان أن نفس الطفل كالشمعة اللينة ، قابلة لكل نقش ، أو كناقل الهيئة « القوتغراف » ينطبع في زجاجته كل صورة . فإذا ما نشأ ، عاودته تلك النقوش والصور ، التي طبعها في مخيلته ^(٣) أبواه . حتى إذا رأى غير شيء ظنه شيئاً . فكانت حياته - بما جنيهاً عليه - حياة خوف وجبن وأوهام .

فإذا جاوز الطفل دور الطفولة الى دور غيره - فكان

(١) البائسين : جمع بائس ، وهو من اشتدت حاجته

(٢) ارهاباً : تخويفاً

(٣) الخبة : القوة التي تخيل الاشياء وتصورها ، وهي مرآة العقل

دارجاً^(١) ، فَحَفَرَا^(٢) ، فَيَا فَعَا^(٣) - أَخَذَا يُرَيَانَهُ تَرْيَةً
 الحيواناتِ الْعُجَمَ : بِالْأَنْتَهَارِ تَارَةً ، وَبِالضَّرْبِ الْمُبَرَّحِ^(٤) تَارَةً
 أُخْرَى . وَلَا تَسَلْ عَمَّا يَسْمَعُهُ مِنْ أَبَوَيْهِ مِنْ بَذِي الْكَلَامِ^(٥) ،
 وَالكَذِبِ ، وَالتَّفَاقُ ؛ بَلَهُ^(٦) مَا يَكْسِبُهُ مِنْ سَيِّئِ الْأَخْلَاقِ .
 وَكَثِيرًا مَا تَكُونُ حَيَاتُهُ الْمَدْرَسِيَّةُ لَيْسَتْ خَيْرًا مِنْ حَيَاتِهِ
 الْبَيْتِيَّةِ ، خُصُوصًا إِذَا كَانَ الْأُسْتَاذُ أَوْ الْمُرَبِّي مِمَّنْ غَلُظَتْ
 طِبَاعُهُمْ ، وَخَشُنَتْ أَخْلَاقُهُمْ ، وَفَسَدَتْ ضَمَائِرُهُمْ . وَإِنْ
 دُفِعَ إِلَى مَدْرَسَةٍ كَامِلَةٍ ، فَإِنَّهُ يُضَيِّعُ فِي بَيْتِهِ مَا كَسَبَهُ
 فِي مَدْرَسَتِهِ .

وَمَتَى شَبَّ النَّاشِي^(٧) ، كَانَتْ حَيَاتُهُ فِي أُمِّهِ صُورَةً مُكَبَّرَةً
 عَنْ حَيَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَمَدْرَسَتِهِ . فَإِمَّا أَنْ تَحْيَا بِهِ الْأُمَّةُ حَيَاةَ
 السَّعَادَةِ ، إِنْ كَانَ قَدْ تَرَبَّى تَرْبِيَةً صَحِيحَةً ؛ وَإِمَّا أَنْ تَحْيَا حَيَاةَ
 الشَّقَاءِ ، بِمَا يَجْنِيهِ عَلَيْهَا ، إِنْ تَرَبَّى تَرْبِيَةً فَاسِقَةً .

(١) الدارج : الصبي الذي دبَّ ونما

(٢) الحفر - بالحاء المهملة : الصبي الذي سقطت رواقه ، وهي اسنانه التي

تثبت وهو في الرضاعة

(٣) اليافع : من قارب البلوغ ؛ أو هو من قارب الشرين من عمره

(٤) الضرب المبرح : الذي يؤذي الجسم

(٥) بذي الكلام : فاحشه وقبيحه . ورجل بذي وبذي : فاحش . والبذاء

والبذاءة والبذاءة : فحش الكلام . يقال : بَذُوْ يَبْذُوْ بَذَا وبذاءة فهو بذي ،
 وَبَذُوْ يَبْذُوْ ، وَبَذَا يَبْذُوْ بَذَاة فهو بذي .

(٦) به : اسم فعل امر بمعنى دع واترك

رَبِّي أَيُّهَا الْأُمَّةُ النَّابِتَةُ ، تَكُنْ لَكَ عَوْنًا وَسَاعِدًا ، وَتَنْهَضْ
بِكَ مِنْ كَبُورَةِ الذُّلِّ وَالْخُمُولِ ^(١) .

وَأَنْتُمْ ، أَيُّهَا النَّاشِثُونَ ، تَعَوَّدُوا الْخُلُقَ الصَّالِحَ ، وَأَقْدُمُوا
عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ .

إِنَّ مَيْدَانَ الْعَمَلِ أَمَامَكُمْ ، فَاسْتَعِدُّوا لِخَوْضِ غَمَارِهِ ^(٢) .
الْيَوْمَ الْأَسْتِعْدَادُ لخدمةِ الْأُمَّةِ ، وَهَنَّاكَ - بَعْدَ أَنْصِرَامِ ^(٣)
زَمَنِ الصَّبَا - يَكُونُ السِّبَاقُ ، وَسَنَرَى مَنْ يَكُونُ الْفَائِزُ .
فَمَنْ جَدَّ الْيَوْمَ نَالَ فِي الْفَيْدِ . وَمَنْهَا يَفْعَلُ النَّاشِثُ فِي هَذِهِ
السِّنِّ ، فَسَوْفَ يُبْلَاقِيهِ فِي زَمَنِ الشَّبَابِ .

فَمَا أُعِدَدْتُ ، أَيُّهَا النَّابِتُ ، لِفَيْدِكَ ؟ وَأَيُّ عَمَلٍ تَعْمَلُ
الْآنَ ، لِتَكُونَ أُمْتُكَ سَعِيدَةً بِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؟
- أُعِدَدْتُ رَهْمَةً وَنَشَاطًا ، وَعِلْمًا وَأَخْلَاقًا ،
وغيرَ وَحَمِيَّةٍ ، وَمَحَبَّةٍ وَطَنِيَّةٍ .
- بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَحَقَّقَ آمَالَنَا فِيكَ ، فَبِكَ يَغْمُرُ
الْوَطَنُ وَتَحْيَا الْأُمَّةُ .

(١) الكِبُورَةُ : السَّقَطَةُ

(٢) الغَمَارُ : جَمْعُ غَمْرٍ ، وَهُوَ الْمَاءُ الْكَثِيرُ الْبَعِيدُ الْقَعْرِ

(٣) الْأَنْصِرَامُ : الْإِقْطَاعُ وَالذَّهَابُ

خاتمة العظات

السَّلامُ عَلَيْكَ ، أَيُّهَا النَّاشِي ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وبعدُ فإنَّ صَدِيقَكَ - صاحبَ العِظَات - يُودِعُكَ
وَدَاعَ مُجِبِّكَ ، رَاغِبٍ فِي نَجَاحِكَ ، وَيَرْجُو مِنْكَ أَنْ
لَا تُنْبِذَ^(١) عِظَانَهُ ظَهْرِيًّا . فَإِنَّ رُوحَ الْمُطَالَعَةِ أَنْ تَعْمَلَ
بِمَا تَقْرَأُ . وَمَا أَضَرَّ هَذَا الشَّرْقَ إِلَّا تَرَكَ الْعَمَلَ بِمَا يَعْلَمُ .

إِنَّ الْأُمَّةَ تُنَادِيكَ ؛ فَلْيَكُنْ جَوَابُهَا الْعَمَلَ لِمَا يُحْيِيهَا ،
وَالسَّعْيَ فِي إِصْلَاحِ شُؤْنِهَا . وَأَعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً
إِلَّا بِحَيَاتِهَا ، وَقُوَّةٍ بِأُسُسِهَا^(٢) ، وَاسْتِجَارٍ مُمَرَّاتِهَا^(٣) ،
وَبَسْطَةِ مُلْطَافِهَا^(٤) . فَاحْزُمُ^(٥) ، وَأَعْمَلْ ؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ
سَعَادَةُ الْحَيَاةِ :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا عَزِيزًا

(١) تَنْبِذَ : تَطْرَحَ

(٢) الْبَاسُ : الشَّدَّةُ وَالْقُوَّةُ

(٣) اسْتِجَارَ الْعِمْرَانَ : اتَّسَاعَهُ وَانْبِسَاطَهُ

(٤) الْمُلْطَافُ : الْقُوَّةُ وَالسَّلْطَنَةُ وَالسَّبْطَةُ

(٥) أَحْزَمَ : كُنْ حَازِمًا فِي أَمْرِكَ . أَحْزَمَ الرَّجُلُ يَحْزُمُ حَزْمًا - مِنْ مَابِ

ظَرْفٍ - كَانَ حَازِمًا

مَهِيْبَ الْبَاسِ مَعْرُوضَ الْقَنَاءِ ^(١)
 فَلَا تَرْجُ الحَيَاةَ بغيرِ حَزْمٍ
 يَقُلُّ السَّيْفَ مَحْدُودَ الشَّبَاةِ ^(٢)
 وَيَتْرُكُ فِي صَمِيمِ الدَّهْرِ جُرْحًا
 يُحَيِّرُ دَاوُدَ نَطْسِ الْأَسَاةِ ^(٣)
 فَهَلْ مِنْ نَهْضَةٍ ، يَأْتِشُ ، نُذْنِي
 بِهَا تِلْكَ الْأَمَانِي النَّائِيَاتِ ؟ ^(٤)
 وَهَلْ مِنْ نَجْدَةٍ مِنْكُمْ ، فَتَسْمُو
 إِلَى أَعْلَى النُّجُومِ الزَّاهِرَاتِ ؟ ^(٥)
 وَهَلْ مِنْ هِمَّةٍ وَثَبَاتٍ جَاشٍ
 نَهْدُهُ بِهِ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ ؟ ^(٦)

(١) مهيب : مخوف — ومعرض القناة : تحمل فئاتك بالمرض — والقناة : الرمح .

ومرض القناة ، أي حملها بالمرض : كناية عن العزة والامتناع

(٢) يقل السيف : يثلمه أي يحدث فيه شقوقاً — ومحدود : مشحوذ مسنون —

والشباة : حد السيف والسكين ونحوهما ، وجمعها شبا وشبوات

(٣) الصميم : العظم الذي به يقوم العضو — والنطس — بضم النون والطاء :

الاطباء الخذاق ؛ وطبيب نطس — بفتح النون وسكون الطاء وكسرهما : العالم —

والاساة : الاطباء ، والمفرد آس ، والاثني آسية ، وجمعها آسيات وأواس .

(٤) نذني قرتب — والاماني : جمع أمنية ، وهي ما يتمناه الانسان ، ويجوز

في الاماني تشديد الباء وتخفيفها — والنائبات البعيدات

(٥) النجدة : القوة ، والشدة والمعزة — والزاهرات الثلاث بالانوار

(٦) الجاش : النفس

فَقَدْ طَالَ الْخُمُولُ ؛ وَنَحْنُ نَلْهُو
 — عَنِ الْخُلُقِ الْأَبِيِّ — بِالْمُخْزِيَّاتِ !^(١)
 فَكَمْ قَدْ قَامَ فِينَا مِنْ هُدَاةٍ ؛
 وَلَكِنْ لَا تُنْهِنُهُ بِالْعِظَاتِ !^(٢)

فَهَبُوا ، أَيُّهَا النَّاشِئُونَ ، إِلَى الْمَجْدِ ؛ وَسِيرُوا فِي
 سَبِيلِ الْعِزِّ ؛ فَإِنِّي :

أَرَى الْمَجْدَ — الَّذِي نَبِيَّ — عَتِيداً ،
 أَقَامَ لِطَالِيهِ بِالْوَصِيدِ^(٣)
 فَهَبُوا نَحْوَهُ وَدَعُوا التَّوَانِي
 وَسِيرُوا سِيرةَ الرَّجُلِ الرَّشِيدِ^(٤)
 أَيْعِجِبُكُمْ بِأَنْ نَبْقَى رُقُوداً
 عَنِ الْعَلْيَاءِ ، نَرُسُفُ فِي الْقُبُودِ ؟^(٥)
 نَصَحْتُ لَكُمْ . وَفِي هَذَا بِلَاغُ
 لِقَوْمٍ رَاغِبِينَ عَنِ الْجُمُودِ^(٦)

- (١) الابي : المتع بما يجب . ويجوز تشديد يائه وتخفيفها — والمخزيات :
 الاحمال التي تخزي صاحبها ، اي توقعه في الخزي ، وهو الهوان والفقوة والبعد والندامة
 (٢) الهداة : جمع هاد — ولا تنهته : لا تزجر
 (٣) عتيداً مهياً حاضراً — والوصيد : فناء الدار ، واعتبها
 (٤) دعوا : اتركوا — والتواني : التقصير والتهمل
 (٥) رقوداً : نياماً — ونرسف : نشي مشية المقيد (٦) بلاغ : كفاية
 ان ما ورد من الشعر في هذه اللفظة هو لما صاحب العظات

مضامين الكتاب

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الارادة	٩٥	مقدمة	٣
الزعامة والرئاسة	١٠٠	الاقدام	٥
عشاق الزعامة	١٠٢	الصبر	٨
الصدق والكذب	١٠٩	النفاق	١٠
الاعتدال	١١٢	الاخلاص	١٣
الجود	١١٥	البأس	١٦
السعادة	١٢٠	الرجاء	٢٠
القيام بالواجب	١٢٢	الجبين	٢٣
الثقة	١٢٩	التهور	٢٧
الحسد	١٣٥	الشجاعة	٣٠
التعاون	١٣٩	المصلحة المرساة	٣٢
التقريط والانتقاد	١٤٢	الشرف	٣٩
التصعب	١٥١	الهجمة واليقظة	٤٢
ورثة الارض	١٥٨	الثورة الادبية	٤٩
الحادث الاول	١٦٣	الامة والحكومة	٥٢
انتظر الساعة	١٦٧	الفرور	٥٨
التجريد	١٧١	التجدد	٦٣
المرأة	١٧٥	الترف	٦٨
اعقل وتوكل	١٨٠	الدين	٧٢
الاعتماد على النفس	١٨٢	المدنية	٧٧
التربية	١٨٥	الوطنية	٨١
خاتمة العظات	١٩٣	الحرية	٨٦
		انواع الحرية	٩٠